علماء المغرب المغمورين

(تذكير بسيرة عشرين عالما مغربيا).

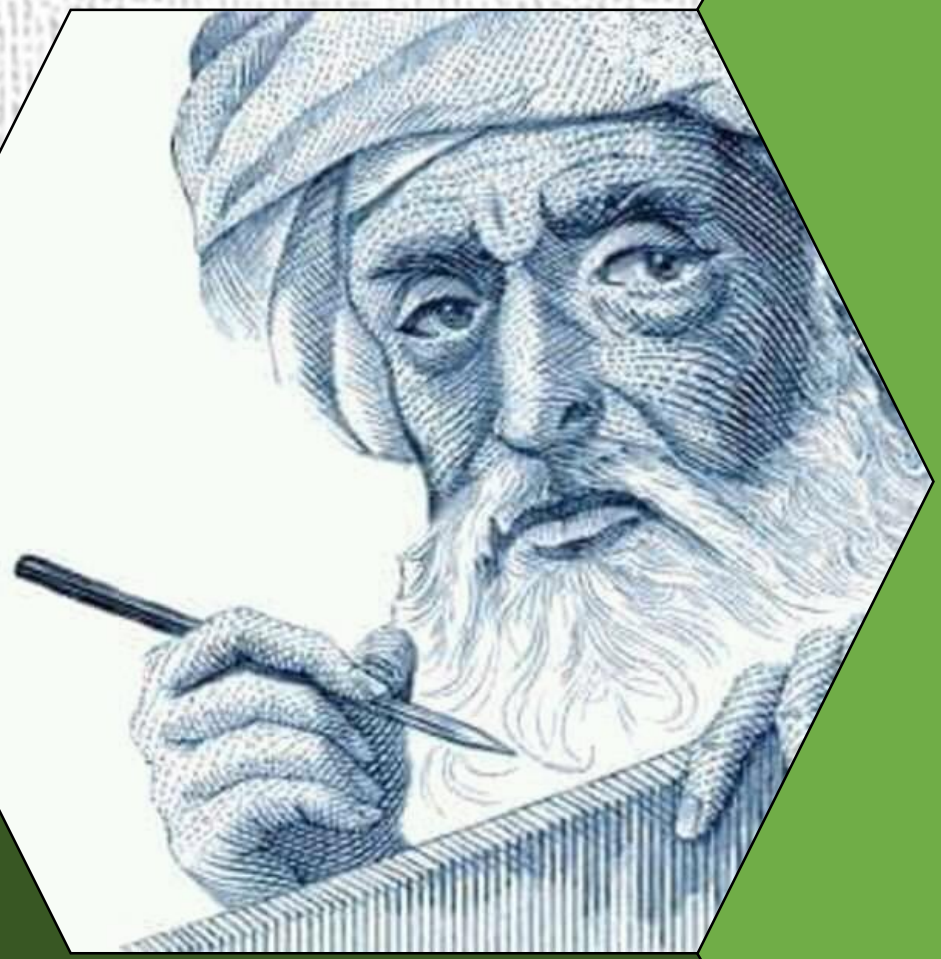

جمع وترتيب:

محمد بن حميد نجار

1441/1440هـ، 2020/2019م.

قال الله عز وجل في سورة فاطر:

إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

وقال رسول الله ﷺ:

«من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله عز وجل به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

{رواه أبو داود في سننه كتاب العلم رقم 3641، وابن ماجة برقم 223}.

إلى كل عالم يعي رسالته، ويقدر مسؤوليته،

ويعرف مهامه، ويصدح بالحق دون محاباة

لأحد ولا يخاف في الله لومة

لائم تشبها بمن سبقه.

إلى كل قارئ يريد أن يجعل سِيَّرَ

هؤلاء الأعلام نبراسا وقدوة

له ولمن يحبه.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، خالق الخلائق بقدرته، ورازقها من فضله، ومسخرها بمشيئته، عالم الغيب، وغافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، رضي للناس دين الإسلام، وأرسل لهم رسولا من عند أنفسهم يبشرهم وينذرهم، فأنقذ الله به الناس من الجهالة، وبصر به من العماية، وأخرج به الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وخالقهم، فصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، أما بعد:

يقول الله عز وجل ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ [آل عمران الآية 7]، ويقول جل شأنه: ﴿**فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما**﴾ [طه الآية 114]، ويقول عز من قائل ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد**﴾ [سبأ الآية 6]، وقال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور**﴾ [فاطر الآية 28]، وقال تعالى ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير**﴾ [المجادلة الآية 11].

وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ: «**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله عز وجل به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[1].

[1] رواه أبو داود في سننه، كتاب العلم، برقم 3641، وابن ماجة برقم 223.

وقال النبي ﷺ «**من يرد الله به خيرا يفقه في الدين** (...)»[1]، وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسُلِّطَ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[2]، وقال ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[3].

هي آيات وأحاديث كثيرة في بيان فضل العلم والعلماء، فالعلماء هم حماة الشريعة والدين ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فكما دافع المجاهدون عن هذا الدين القويم بدمائهم، كان للعلماء دور يوازيهم في الدفاع عنه بأقلامهم وأفواههم، وذلك كله تحقيقا لقول الله عز وجل ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ **[الحجر الآية 9]**.

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء[4].

لذلك اهتم الناس بسير هؤلاء الأعلام، وتتبعوا أحوالهم وأقوالهم ومروياتهم، وألفوا في تراجمهم الكتب الطوال لتمييز العالم الذي ينبغي الأخذ عنه خصوصا في علوم الشريعة من غيره، وسَدِّ الباب أمام كل من يريد الطعن في كتبنا وتراثنا الإسلامي بوضع السند أمامه فنحن أمة فضلها الله عز وجل بالسند، وهو سلسلة الرجال الموصلة للمتن، فهذه السلسلة نخلها العلماء نخلا، وتتبعوا أحوال أصحابها، وحكموا عليهم جَرحا أو تعديلا، فلا مجال إذن أمام من يريد الطعن وتزييف الحقائق.

وعلم التأريخ والتراجم علم واسع، وفضله ظاهر، وأهميته بالغة، ويكفي أن بعض العلماء

---

1 رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، برقم 81.
2 نفس المصدر برقم 73.
3 رواه الترمذي في سننه، أبواب العلم، برقم 2652، وغيره.
4 من أعيان السلف: 8/1.

الفطاحل الكبار قد اشتهروا بالاشتغال به وبغيره من فنون وعلوم، ولكنهم أكثروا من التأليف في التراجم، فاقترن اسمهم وشهرتهم به، ومن أشهرهم الإمام شمس الدين الذهبي وموسوعته التاريخية "سير أعلام النبلاء"، وابن حجر العسقلاني وكتبه الكثيرة في التراجم منها "تقريب التهذيب"، و"لسان الميزان" وغيرها مما لا يُستغنى عنه في التراث الإسلامي، وغيرهم كثير ممن ألف وتبحر في هذا المجال لأهميته الكبيرة، جاء في كتاب الأديب المؤرخ أبو بكر محمد بن خميس المالقي الأندلسي "أعلام مالقة" قوله:

"إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ويلم بجانبه بعد الكتاب والسنة معرفة الأخبار، وتقييد المناقب والآثار، ففيها تذكرة بتقلب الدهر بأبنائه، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه، وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم، وتدون مناقبهم وأخبارهم، ليكونوا كأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال، ومتصرفون ومخاطبون لك في كل حال، ومعروفون بما هم به متصفون، فيتلو سورهم من لم يعاين صورهم، ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يعاينهم، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم، ويعلم المتصرف منهم في المنقول والمفهوم، والمتميز في المحسوس والمرسوم، ويتحقق منهم من كسته الآداب حليها، وأرضعته الرياسة ثدييها، فيجدَّ في الطلب ليلحق بهم، ويتمسك بسببهم"»[1].

وقال ابن العماد الحنبلي في مقدمة كتابه "شذرات الذهب": "فإن حفظ التأريخ أمر مهم، ونفعه من الدين بالضرورة علم، لاسيما وفيات المحدثين والمتحملين لأحاديث سيد المرسلين، فإن معرفة السند لا تتم إلا بمعرفة الرواة، وأجل ما فيها تحفظ السيرة والوفاة"»[2].

إذا علم العبد أخبار من مضى ... توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره ... إذا كان قد أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالما ... حليما كريما فاغتنم أول العمر»[3]

[1] أنظر كتاب أعلام مالقة لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس: ص 46، وكتاب أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي: ص 22.
[2] شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: 111/1.
[3] من أعيان السلف: 10/1.

ومنذ دخول الإسلام إلى بلاد المغرب، وانتشاره في مدنه وقراه، وقضائه على غيره من الأديان التي كانت سائدة آنذاك، ومخالطة بشاشته للقلوب والأرواح والعقول، انبثقت في تاريخنا العلمي والثقافي نماذج لعلماء جمعوا بين العلوم العقلية والنقلية ما فاقوا به غيرهم، فتجد الرجل لا يشق له غبار في الفقه، والعربية، والتفسير، والأصول، والعقائد، وغيرها من العلوم الشرعية، وفي المقابل تجده مهندسا بارعا، أو رياضيا متفوقا، أو طبيبا ماهرا، أو فلكيا عارفا، ولم يتوقف اطلاعهم على هذه العلوم عند مرحلة إزالة الجهالة فقط، بل تشربوها وعرفوها وفهموها ووعوها، والعجيب في كل ذلك أنهم ألفوا فيها الكتب المشهورة، والمؤلفات المعتمدة، بل بعض هؤلاء الأعلام ترجمت كتبهم إلى اللغات الأخرى لما حوته من علم وفائدة.

ومع كل هذه الموسوعية، وهذه الإحاطة النوعية للعلوم المختلفة نجهل أغلبهم، ولا نعرف أسماءهم فضلا عن سيرهم ومؤلفاتهم، بل لا نقيم اعتبارا لعلماء مغربنا الإسلامي البتة مع ما هم عليه من التمكن الكبير، وهذا الإهمال والجحود هو الذي عانى منه الإمام الكبير، والفقيه النحرير أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري المتوفى سنة 456هـ رحمه الله فقال يرثى حاله، ويضمن هذا المعنى في أبيات شعرية جميلة فيقول:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ... ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع ... لجدَّ على ما ضاع من ذكري النهب
ولي نحو أكناف العراق صبابة ... ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم ... فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر ... وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
هنالك يدري أن للبعد قصة ... وأن كساد العلم آفته القرب
فيا عجبا من غاب عنهم تشوفوا ... له ودنوُّ المرء من دارهم ذنب
وإن مكانا ضاق عني لضيق ... على أنه فسح مهامه سهب
وإن رجالا ضيعوني لضُيَّع ... وإن زمانا لم أنل خصبه جدب»[1].

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي: ص 45.

وهذا ليس وليد الحاضر بل إن العلماء المغاربة قد قصروا كثيرا في التعريف ببعضهم البعض، وزهد كثير منهم في تأليف مؤلفات كبيرة في التراجم تضاهي "سير أعلام النبلاء" للذهبي، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان والكتب التي على شاكلتهما، وإهمال التعريف بالشخصيات العلمية، وجعلهم قدوة لأبناء البلد، ومنارا يتشوف الصغار والكبار للسير على طريقهم ونحو منحاهم يعتبر من إهمال التاريخ وتضييع الحاضر، يقول محمد الحجوي الثعالبي في كتابه "الفكر السامي" عند ترجمته لنفسه: " ليت المغاربة كان لهم ولوع بالتاريخ، وبالأخص تاريخ الرجال، فأكتفي بأمانتهم واعتنائهم عما سأورده من هذه الترجمة المخجلة التي أقصد بها إظهار الحقيقة من حياتي ربما لا يعرفها غيري كما أعرفها أنا، وإني لأشعر بعبء ذلك على كاهلي ولكنني لا أجد منه بدا"»[1]، ويقول الشيخ عبد الله كنون في كتابه الماتع "الذكريات": "فهل تريد دليلا أقوى من هذا على إهمالنا لنبغائنا، وعدم إنصافنا لهم حتى بعد الممات؟ وهل آن لنا أن نتخلص من هذا الإهمال الذي قضى على جل مآثر أسلافنا وبالتالي على أحسابنا الموروثة، وهي لقاح الأحساب المكتسبة التي نسعى لإيجادها وتهيئة أسبابها؟"»[2].

غير أن هذا الإهمال والزهد في التأريخ والتراجم وسير الرجال لم يكن مقصودا لأن علماء المغرب اهتموا بالعلوم الشرعية والكتابة فيها وغفلوا عما سواها، وإلا فكيف نفسر كثرة المؤلفات في الفقه والحديث والعربية وغيرها من العلوم، وقلة ما كتب في تراجم الرجال والتعريف بحياتهم العلمية؟، ولم تظهر بعض الكتب التي اهتمت بالتراجم وسير الرجال إلا في القرن العاشر الهجري إذا استثنينا بعض المحاولات الجبارة والكتب المؤسسة التي ظهرت قبل هذا القرن في التعريف بعلماء المذهب المالكي عموما سواء كانوا مغاربة أو لا مثل:

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة 544هـ.

[1] الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 200/4.
[2] ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: ص 1329.

- والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لابن فرحون المتوفى سنة 799هـ.
- والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي المتوفى سنة 703هـ، وغير ذلك من الكتب القليلة جدا.

ففي هذه الفترة –أعني القرن العاشر– ظهرت بعض الكتب والمؤلفات التي حاولت سدَّ النقص، وتدارك ما ضاع من أخبار العلماء المالكية عموما والمغاربة خصوصا، وهي مؤلفات لعلماء مغاربة نذكر منها مثلا:

- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن عسكر الشفشاوني المتوفى سنة 986هـ.
- درة الحجال في أسماء الرجال.
- وجذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: وكلاهما لأحمد بن القاضي المكناسي المتوفى سنة 1025هـ.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر.
- ونزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: وكلاهما لمحمد بن الحاج الصغير الإفراني من علماء القرن الثاني عشر الهجري.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: لمحمد بن الطيب القادري المتوفى سنة 1187هـ. وغيرها من مؤلفاته التي ألفها في الأنساب والتراجم.

ثم ظهرت في هذا القرن والقرون الموالية بعض الفهارس التي ألفها العلماء للتعريف بشيوخهم وما أخذوه عنهم من علوم، أو ذكر أسانيدهم ومروياتهم من ذلك مثلا:

- فهرس محمد بن غازي المكناسي (ت 919هـ) المسمى "التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد".

- وفهرس أبي العباس أحمد المنجور (ت 995هـ).
- وفهرس أحمد ابن القاضي (ت 1025هـ) المسمى "رائد الفلاح في ذكر مالي من الأسانيد الصحاح".
- وفهرس الشيخ محمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت 1072هـ).
- وفهرس أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي (ت 1090هـ) المسمى "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر".
- وفهرس محمد بن الحسن البناني (ت 1194هـ)، وهي فهرسة صغيرة شملت أسانيد صاحبها في مصنفات العلوم المختلفة، وتقتصر على ذكر اسم الشيخ الذي يسند إليه رواية المصنف دون تعريف به.

وغيرها من الفهارس، وهي مؤلفات تقتصر على ترجمة لشيوخ مؤلفيها وما أخذوه من علوم عمن يترجمون له، وفي بعض الأحيان ترجمة لبعض شيوخ شيوخهم البارزين، وقد تتبع الدكتور عبد الله المرابط الترغي هذه الفهارس وجمع فيها كتابا سماه: "فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها، تطورها، قيمتها العلمية".

وفي منتصف القرن الرابع عشر الهجري تقريبا انبثق بعض الاهتمام من جديد في تقييد أخبار علماء المغرب خصوصا دون خلطهم بغيرهم إلا من زار المغرب من الغرباء أو استوطن بعض مدنه، إضافة إلى إيراد تراجم لعلماء قريبي العهد منا نوعا ما، فظهرت هذه الكتب التي سدت بعض النقص، وتداركت شيئا مما تم إهماله والزهد فيه، من ذلك:

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: لعبد الرحمن بن محمد السجلماسي المعروف بابن زيدان المتوفى سنة 1365هـ، وهو كتاب ساق فيه مؤلفه تاريخ مكناس منذ الأجيال القديمة ومنذ ملوكها الأولين حتى عصر المؤلف، مع إيراد كثير من التراجم الفريدة للعلماء والفقهاء وغيرهم.

- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية: لمحمد بن محمد بن الموقت المراكشي المتوفى سنة 1369هـ.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: لقاضي مراكش العباس بن إبراهيم السملالي المتوفى سنة 1378هـ.
- وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى سنة 1345هـ.
- وإتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة.

وغيرها من الكتب القليلة التي تعد على رؤوس الأصابع، وهي غير كافية في الإحاطة تعريفا وتشهيرا بكل علماء المغرب المتميزين، وإشباع القارئ من أخبارهم وسيرهم، والتعريف بكتبهم ومناقبهم ومواقفهم.

ومساهمة مني في التعريف ببعض هؤلاء النوابغ، وإفادة نفسي بالتعرف عليهم، ومعرفة أخبارهم وأسمائهم، وبعض كتبهم ومناقبهم، بدأت أبحث عن علماء المغرب خاصة ممن كنت أجهلهم كغيري، فانبهرت أثناء دراستي لسير بعضهم بما رأيته من علم وموسوعية وإحاطة نوعية لمختلف الفنون وذلك مقرون بالأدب الجم، والعبادة الكثيرة، والخشوع والورع الكبير، فرثيت نفسي على جهلي بهم، وعدم معرفتي بأخبارهم وسيرهم وأحوالهم، فاخترت بعض العلماء الكبار المشهورين المغمورين في آن واحد كما قال الأستاذ حسن وكاك، مشهورين في المغرب إما بأسمائهم أو بكتبهم، غير أن أحوالهم وسيرهم لا يعرفها إلا من اطلع عليها، وفتش عنها بين ثنايا الكتب، فنحن الذين شاركنا هؤلاء الأعلام الأرض والهوية، نجهل أكثرهم فما بالك بغير المغاربة، فمعظمهم إن سئلوا عن علماء المغرب لا يكاد أحدهم يضيف على القاضي عياض إلا اسما أو اسمين فقط، أو يقتصر على القاضي عياض دون غيره إن عرفه هو الآخر.

لهذه الأسباب ولغيرها وأهمها أن أعرف شخصيا بعض نبغائنا الذين ينبغي أن نفاخر بهم أمام غيرنا لما قدموه للمكتبة الإسلامية عامة، والمكتبة المغربية خاصة من مؤلفات عز نظيرهـا، وقل شبيهها، اخترت أن أترجم لعشرين عالما مغربيا، وهو عدد قليل مقارنة بما قدمته الأراضي المغربية من علماء، ولكن لا أملك إلا أن أقول هذا جهدي وليس مثلي ممن يكتب عن هؤلاء الأطهار، ولكنني تجرأت على ذلك، وما لا يدرك كله لا يترك كله، وهذه أسمائهم مجللة بلباس الإكبار والاحترام مرتبين على حسب تاريخ وفياتهم:

1. أبو عمران الفاسي
2. السموأل بن يحيى المغربي
3. ابن القطان الفاسي
4. ابن البنا المراكشي
5. ابن رشيد السبتي
6. ابن آجروم الفاسي
7. ابن بري التازي
8. أحمد بن قاسم القباب
9. محمد بن أحمد الفشتالي
10. محمد بن قاسم القوري
11. ابن غازي المكناسي
12. محمد الهبطي
13. أبو العباس المنجور
14. أحمد بن القاضي
15. عبد الواحد بن عاشر
16. محمد ميارة الفاسي
17. أحمد بن الونان
18. محمد الحضيكي
19. ابن عبد السلام الناصري
20. فريد الأنصاري

أما عن منهجية هذا البحث فهي في الغالب تعريف باسم العالم ونسبه الكامل، وشيوخه وتلاميذه، ومؤلفاته، وذكر أشعاره إن وجدت، ثم وفاته ومكان دفنه، وهي ترجمة بسيطة لا أدخل فيها في تلك التحليلات والاستنباطات والتشعبات الكثيرة التي تفقد الترجمة متعة قراءتها إلا نادرا مما تمليه الضرورة للبيان والتعريف الجيد، بل ألتزم بالوسطية فلا هي بالترجمة القصيرة المخلة، ولا هي بالطويلة المملة.

وأما العالم المذكور فالمهم أنه ولـد في بلاد المغرب، وجنسيتـه كمـا يطلق على ذلك في

حاضرنا مغربي، ولو ارتحل من المغرب لأسباب ألجأته لذلك وعاش في دول أخرى.

وأما عن مصادر الترجمة فإني أذكر اسم العالـم ونسبه الكامل، ثم أحيـل على المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة ترجمته بالجزء والصفحة، ثم لا أحيل بعد ذلك إلا نادرا وكل المعلومات التي تجيء في الترجمة لا تخرج عن المصادر التي سميتها أول الأمر.

أما عن بعض العقبات التي تواجه أي شخص يريد البحث في سيرة عالم فهي عدم شمولية المعلومات، وقلتها في بعض الأحيان إلى حد كبير، أو تجد المعلومات متوفرة بشكل مقبول عن شخصيته العلمية ومؤلفاته وما يتصل بذلك بيد أن نشأته الأولى وشيوخه الأوائل لا يعرف عنهم شيء، وهذا راجع كما قلنا إلى قلة الكتب التي اهتمت بالتراجم من جهة، ومن جهة أخرى هي حكمة الله عز وجل في خلقه بأن يكون الوضوح التام لسيرة رسول الله ﷺ من كل جوانبها وأطوارها ومراحلها، فالصحابة رضي الله عنهم نقلوا كل شيء عن شخصية رسول الله ﷺ سواء في جانبها الخِلقي والخُلقي، أو ما يتعلق بالعبادات والمعاملات والعقائد كل شيء سلطوا عليه الأضواء الكاشفة، وبينوه لمن خلفهم رضي الله عنهم وجزاهم عن المسلمين خيرا.

وسميته علماء المغرب المغمورين (تذكير بسيرة عشرين عالما مغربيا)، **وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.**

1. أبو عمران الفاسي (430/368هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو العالم العارف، والفقيه المفوه، والأصولي الجيد، والمفتي الورع، **موسى بن عيسى بن أبي حاج بن وليم بن الخير الغفجومي أبو عمران الفاسي**[1]، وغفجوم فخذ من زناتة، وقال السمنطاري من هوارة»[2].

---

[1] اختلف الناس في كنيته وقبيلته كثيرا خصوصا عند الكلام عن أبي حاج فمنهم من قال: بن أبي الحاج، ومنهم من قال: ابن أبي حجاج، ومنهم من قال: بن يحُج، إلى غير ذلك مما ليس مجالا لتحقيقه هنا، وأوردت اسمه ونسبه كما أوردهما القاضي عياض في "المدارك"، ومن أراد أن ينظر إلى الخلافات التي وردت في ذلك فليراجع كتاب "أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي" القسم الأول للدكتور عبد الهادي حميتو.

[2] أنظر ترجمته في:

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض: 243/7.
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الدباغ وأكمله وعلق عليه أبو الفضل التنوخي المتوفى سنة 839هـ: 159/3.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون: 337/2.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: 153/5.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: 33/5.
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 280/2.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 344.
- سير أعلام النبلاء للذهبي: 545/17.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 106/1.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة لعبد الله كنون: ص 188.
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لابن الزيات: ص 87.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأخمد بن خالد الناصري: 5/2.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 598.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي الثعالبي: 41/4.
- الأعلام قاموس تراجم للزركلي: 326/7.
- معلمة المغرب: ص 6184.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني: ص 159.
- أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي: ص 19.

يعتبر هذا الرجل من أهم علماء المغرب في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس، وقد كان له دور جوهري في مرحلة من مراحل المغرب السياسي حيث كان له دور كبير في قيام دولة المرابطين التي أسسها عبد الله بن ياسين الجزولي وصغبها بصبغتها الدينية والعلمية المعروفة، ولكن للأسف لم يستفد منه المغاربة الذين أدركوا مرحلة عطائه، فقد رحل عن بلاد المغرب واستقر في القيروان عزيز الجانب لظروف ألجأته لذلك، وبقي فيها إلى أن مات رحمه الله.

- **مولده ودراسته:**

ولد أبو عمران الفاسي في فاس في بيت عريق مشهور ذكرهم إسماعيل ابن الأحمر في كتابه "بيوتات فاس الكبرى" فقال: "ومنهم بيت بني أبي حاج (...) بيت حسب وثروة وفقه وعلم وعدالة، ولهم زقاق بفاس يقال له: درب أبي حاج، منهم الفقيه الإمام موسى بن أبي حاج (...) المعروف بأبي عمران الفاسي"، ولا يعرف شيء عن نشأته، واختلف الناس في تاريخ مولده على قولين:

الأول: أنه ولد سنة 368هـ قال الذهبي: "قال ابن عبد البر: ولدت مع أبي عمران في سنة ثمان وستين وثلاث مئة"، والثاني: أنه ولد سنة 365هـ وهو قول لصاحب "جذوة الاقتباس"، و"شذرات الذهب"، وبه قال أبو عمرو الداني كما في "معالم الإيمان"، وكاتب مقال (أبو عمران الفاسي) في "معلمة المغرب"، قال في "الجذوة": "توفي رحمه الله بالقيروان في رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة، وهو ابن خمس وستين سنة".

فلعل القول الأول يكون الأصح لقول ابن عبد البر لأنه مبني غالبا على السماع من أبي

عمران نفسه، إذ كان الحافظ ابن عبد البر قد صحبه في رحلته، وهو الذي دله على كبـراء شيوخه في قرطبة.

ولا يعرف شيء عن نشأته كما سلف، ولكن ما دام أنه ولد في مدينـة فاس العلمية فلا غرو أنه حفظ القرآن الكريم في بداية طلبه، وأتبعه ببعض المتون العلمية مما كان يشتغل به علماء وطلاب ذلكم الزمن، فلما صلب عوده، واشتد ساعده، رحل في طلب العلم رحلة طويلة مليئة بالعلم والعبادة، فقد تتلمذ رحمه الله على شيوخ كبار طبقت شهرتهم الآفاق، وذلك في مدن كثيرة من بقاع العالم الإسلامي، فرحل بادئ ذي بدء إلى **القيروان**:

وتتلمذ فيها على ألمع شيوخها منهم: **أبو الحسن القابسي** وكان من أجل شيوخه فقد ذكر أبو زيد الدباغ في "معالـم الإيمان" أنه لما مات مكث أبو عمران على قبره سنة كاملة حتى وقف له القابسي في النوم وقال له: "نورت قبري نور الله قبرك، أدخل القيروان وفقه أهلها في الدين"، وسمع بها أيضا من **أبي بكر الدويلي**، و**علي بن أحمد اللواتي السوسي**.

ثم رحل إلى **قرطبة**:

فتفقه بها عند **أبي محمد الأصيلي**، وسمع بها من **أبي عثمان سعيد بن نصر**، و**عبد الوارث بن سفيان**، و**أحمد بن قاسم التاهرتي** كما ذكر الذهبي، وغير هؤلاء.

ثم شد الرحال قاصدا المشرق، ولما مر في طريقه **بمصر**:

حط رحاله وأخذ بها عن **أبي الحسن عبد الكريم بن أحمد بن أبي جدار** القراءات، و**أحمد بن نور القاضي**، و**عبد الوهاب بن منير**، و**ابن الوشا**.

ثم دخل **مكة المكرمة**:

فحج حججا كثيرة بمعنى أقام فيها سنوات عديدة وسمـع بهـا من **أبي إسحاق عبيد الله بـن**

محمد بن أحمد السرقسطي، ومن **أبي ذر الهروي** سمع منه الصحيح كما ذكر عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس" غير أنه لم يذكر أي الصحيحين سمع منه؟، وكان وقع بينهما شيء فكان يقول إذا أراد أن يحدث عنه: أبو عيسى وكان أبو ذر يكنى بذلك، ولا يذكر اسمه كما قال في "ترتيب المدارك".

وسمع **بالحجاز** أيضا من: **أبي الحسن بن فِراس**، و**أبي القاسم السقطي**.

ثم خرج من مكة وطوى الطريق صوب **العراق**:

فدخل بغداد سنة 399هـ وقد رجع منها إلى مكة، وسمع بالعراق من: **أبي الفتح بن أبي الفوارس**، و**أبي الحسن علي بن إبراهيم المستملي**، و**أبي الحسن ابن الخضر**، و**أبي أحمد الفرضي**، و**أبي الطيب المحمدي**، و**أبي العباس الكوخي**، و**أبي الحسن علي بن عمر الحمامي** المقرئ أخذ عنه القراءة عرضا كما ذكر ابن الجزري، و**أبي الحسين بن الرفك**، و**أبي الحسن بن المحاملي**، و**أبي عبد الله بن أبي بكر الرازي**، و**أبي القاسم الصفري**، و**أبي عبد الله الجعفي القاضي**، و**أبي أحمد بن جامع الدهان**، و**هلال الحفار**، و**أبي الحسين بن المفضل العطار** وغيرهم، كما درس الأصول على القاضي **أبي بكر الباقلاني** ولقي جماعة من العلماء.

ولا أحد يجزم أن رحلته العلمية هذه كانت على هذا الترتيب، ولكن الثابت في كتب التراجم أنه أخذ عن هؤلاء الأعلام.

- **عودته إلى فاس وجلوسه للتدريس وخروجه إلى القيروان:**

وبعد هذه الرحلة العلمية والتعبدية الطويلة كانت قد امتلأت حوصلته العلمية بما يؤهله لأن يجلس للتدريس ويقول فيسمع لقوله، عاد إلى القيروان واستوطنها فيما يقوله مترجموه، وذكر حاتم بن محمد أنه لقيه بالقيروان في رحلته إليها سنة 402هـ وبذلك يظهر أنه لم يعد إلى بلده فاس بعد رحلته.

ولكن رجح بعض المترجمين أن الأمر لم يكن هكذا، بل عاد من رحلته الطويلة إلى فاس، وجلس فيها للتدريس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير أنه وقعت له بعض الأحداث التي اضطرته إلى ترك فاس بصفة نهاية، ونزوحه نحو القيروان، يقول عبد الهادي حيمتو: "ولذلك فيبدو أنه لما عاد من رحلته الثانية إلى بلده فاس عاد محملا بهذا الرصيد العلمي الثخين من علوم الرواية، وكانت قبلته كرسي التدريس بالقرويين ليزاحم عليه بالمناكب ويزحزح عن الصدارة طائفة من المشايخ الذين ليست لهم في الرواية ولا في لقاء الشيوخ منزلة تضاهي منزلته، ولذلك جاء أنه حين وصل إلى فاس تصدر للإقراء بالقرويين، وأقبل على دروسه جمهور الطلاب لما أظهر من تبحر في العلوم، وتوفيق في الإلقاء والتفهيم، كما التف حوله أهل فاس من الخاصة والعامة، وصار مرجعهم في كافة شؤونهم، وموئلهم في المدلهمات، وكان له صبر كبير على الإقراء وقوة على العمل، ولما شاهد علماء وقته هذا النجاح الذي حصل عليه أبو عمران وهذه المحبة التي تمتع بها من قبل أهل فاس غاروا منه وحسدوه، وأخذوا يناوئونه ويسعون في إذايته سرا، فقرر أن يهاجر من بلده ويقصد مدينة القيروان التي سبق له أن دخلها ودرس بها وشاهد من لطف أهلها ما حبب له المقام بها".

ويذكر إسماعيل ابن الأحمر في "بيوتات فاس الكبرى" سببا آخر ربما يكون له تأثير مباشر في تركه فاس وهو قوله: "كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وبسبب ذلك أخرجه من فاس الطغاة من أهلها العاملون عليها لمغراوة"، ولم يكن خروجه في المرة الأولى من فاس إلا بغرض التعلم إذ مكانته العلمية وسنه الصغير لا يسمحان له بالتصدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الدرجة التي تحوجه إلى المغادرة، ولا مما يدفع الطغاة من أهل بلده إلى إخراجه منها كما رجح عبد الله كنون.

وهناك رواية أخرى تذكر أن أبا عمران الفاسي أفتى بتبديع جماعة من الناس من أهل الزهد والعبادة كانوا يجتمعون في مسجد بُني بجبل فاس فيقرأون القرآن، ويحكون حكاية الصالحين،

وينشدون الأشعار الرقيقة، فقال أبو عمران: "هذه بدعة لم تكن في الزمن الأول، ونهى عن حضوره".

فهذه كلها أسباب ربما تضافرت واجتمع أهلها على أذيته مما دفعه إلى العودة إلى القيروان التي كان قد قرأ بها وخبر أحوالها وأحب المقام هناك.

- **تصدره للاقراء بالقيروان وتلاميذه:**

بعد أن وصل أبو عمران إلى القيروان واستقر أمره لم يرد أن يزاحم الفقهاء أصحاب النفوذ في جامع القيروان في مجالسهم الفقهية، ولذلك اكتفى بإقراء القرآن، وكان ذلك في حياة شيخه أبي الحسن القابسي، ثم بعد مدة من الزمن ترك إقراء القرآن، وتصدر لتدريس الفقه والحديث وما كان يحسنه مما جال في طلبه البقاع، واستغل في سبيل تحصليه السنوات الطوال، في داره التي كانت قرب السماط، قال أبو زيد الدباغ في "معالم الإيمان": "وكان يجلس للمذاكرة والسماع في داره من غدوة إلى الظهر فلا يتكلم بشيء إلا كتب عنه إلى أن مات"، وقد كان رحمه الله عالما مفوها موسوعيا حتى أن بعض خواص طلبة أبي بكر بن عبد الرحمن تركوه من أجل الجلوس عند أبي عمران والأخذ عنه قال القاضي عياض في المدارك: "ولما ورد القيروان وجلس بها وبان علمه قال كبار أصحاب أبي بكر بن عبد الرحمن: نسير إليه، وقالوا: إنه يعز على شيخنا ذلك، وتراوضوا في الحضور عنده، ثم عزموا على ذلك وقالوا: إنه لا يحل لنا التخلف عن مثله، فأسخطوا شيخهم حتى يحكى أنه دعا عليهم وهجرهم".

وبتصدره للإقراء ونشر العلم في فاس والقيروان كان قد أخذ عنه جماعة من الفاسيين والأندلسيين والسبتيين فضلا عن القيروانيين كما قال عبد الله كنون **كأبي القاسم بن محرز، وأبي إسحاق التونسي، وأبي القـــاسم السيوري، وأبي حفص العطار، وابن سعدون عبد الحق الصقلي، وعتيق السوسي، وأبي محمد الفحصلي، ومحمد بن طاهر بن طـــاوس، وواجـــاج بن زلـــو اللمطي** وهو أستاذ مؤسس الدولة المرابطية المباشر عبد الله بن ياسين

الجزولي وخبر ذلك كما في "الاستقصا":

أن يحيى بن إبراهيم الكدالي أمير صنهاجة حج في سنة من السنين، فلما قضى حجه وقفل راجعا إلى بلاده مر بالقيروان فلقي بها الشيخ أبا عمران الفاسي وحضر مجلسه فتأثر بوعظه وأراد أن يرسل معه أحد طلابه ليعلم قومه الذين كانوا يغرقون في الجهل والبعد عن الإسلام، انقرضت منهم شرائع الإسلام ولم يبق لهم إلا اسمه، فانتدب أبو عمران طلابه ليخرج أحدهم معه لكنهم استصعبوا حياة الصحراء ومشاقها، فقال له أبو عمران: "إني أعرف ببلد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا ورعا أخذ عني علما كثيرا واسمه واجاج بن زلو اللمطي من أهل السوس الأقصى أكتب إليه كتابا لينظر في تلامذته من يبعثه معك فسر إليه لعلك تجد حاجتك عنده"، فكتب إليه الشيخ أبو عمران كتابا يقول له فيه: "أما بعد إذا وصلك حامل كتابي وهو يحيى بن إبراهيم الكدالي فابعث معه من طلبتك من تثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم في دين الله، ولك وله في ذلك الثواب والأجر العظيم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا"، فانتدب واجاج هذا تلامذته فقبل عبد الله بن ياسين الجزولي ودخل مع يحيى بن إبراهيم الصحراء يدعوا الناس إلى دين الله، فآثروا البقاء في جهلهم فاعتزلهم في قلة معه في جزيرة صغيرة يعبد الله ويعلم أصحابه، فسمع الناس برجل في جزيرة يعبد الله ويعلم العلم فتقاطر على جزيرته الرجال ممن كرهوا ما كان عليه قومهم حتى اجتمع له قرابة ألف رجل فانتدبهم إلى الجهاد، فكان ما كان من الأحداث التي أدت إلى ظهور دولة المرابطين.

- **تزكية العلماء له:**

تعرف قيمة العالم العلمية والأخلاقية من خلال أمرين اثنين: أولهما: ما خلفه من تراث علمي، والآخر: ثناء علماء زمانه ومن بعدهم عليه، وقد حاز مترجمنا على المدح والثناء من العلماء الشيء الكثير، فقد مدحـــه الذين ألفوا في مختلف المجالات من قراءات، وفقه،

وحديث، ورجال، وتصوف وغير ذلك، مما يـدل على أنه كان شخصية فريدة في ذاتها ذات إشعاع علمي مترامي الأطراف، اجتمعت فيه صفات عديدة خاصة العلمية والأخلاقية شأنه شأن كثير من علماء وصلحاء أمتنا:

- قال فيه القاضي عياض: "قال حاتم بن محمد: كان أبو عمران من أعلم الناس وأحفظهم، جمع حفظ المذهب المالكي إلى حفظ حديث النبي ﷺ ومعرفة معانيه، وكان يقرأ القرآن بالسبعة وجودها، مع معرفته بالرجال وجرحهم وتعديلهم، أخذ عنه الناس من أقطار المغرب والأندلس، واستجازه من لم يلقه، وخرج من عوالي حديثه نحو مائة ورقة".
- وقال ابن عمار الميورقي في رسالته: "كان إما في كل علم، نافذا في علم الأصول، مقطوعا بفضله وإمامته، ولما دخل بغداد شاع أن فقيها من أهل المغرب مالكيا قدم، فقال الناس: لسنا نراه إلا عند القاضي أبي بكر الباقلاني وهو إذ ذاك شيخ المالكيـــة بالعراق وإمام الناس (...)".
- وقال القاضي عياض: "قال عمر الصقلي: أبو عمران الثقة، الإمام، الدين، المعلم، وذكر أن الباقلاني كان يعجبه حفظه ويقول: لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر –وكان إذ ذاك بالموصل– لاجْتمع فيها علم مالك، أنت تحفظه، وهو ينصره، ولو رآكما مالك لسر بكما".
- وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء": "الإمام الكبير، العلامة، عالم القيروان".
- وقال ابن الجزري في "غاية النهاية": "إمام، علامة، فقيه، أصولي".
- وقال عبد الله كنون في "الذكريات": هذا اسم من ألمع الأسماء في تاريخ المغرب العلمي والسياسي على السواء، فصاحبه من أعلام الفقه والحديث والدراسات الإسلامية العليا، وهو كذلك من رجال الإصلاح والتوجيه والمشاركة في الأحداث العامة حتى أن له يدا في قيام دولة المرابطين وصبغتها الدينية المعروفة".

- وقال عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس": "كان من أئمة الفقه والحديث اشتهر به الشهرة التامة".
- وقال ابن زيات التادلي في "التشوف": "وكان مقدما في الفضل والإمامة".
- وقال فيه الشيخ عبد الهادي حيمتو قصيدة بعنوان: خلت القرون وأنت في الريعان، جاء في مطلعها:

هـا أنـت ذا فـيـنـا أبـا عـمـران — تحـيـا بـداخـلـنـا بـعـمـر ثـان
هـا أنـت بعـد الألف يبعثـك الهوى — حيـا ويملي مجـدك الـمـلوان
هـا أنـت بعـد الألف لم تبرح وقـد — خلـت القرون وأنـت في الريعـان
هـا أنـت حين دعتـك رابطـة العلا — لـبـيـت مـنـتـفـضـا بـغـير تـوان
لبيـت والجمع الـمـكرم حـافـل — مـتـحـفـز يـلـقـاك بـالأحضـان

• بعض فتاويه واجتهاداته:

كان أبو عمران عالما موثوقا بعلمه، مرجوعا إليه في المدلهمات والصعاب لتحليه باليسر وعدم التشدد في الإفتاء، والنظر الجيد والاستنباط العميق المبني على أسس علمية راسخة، ومن ذلك ما جاء في "المدارك" و"معالم الإيمان" وغيرهما أن القيروان جرت بها مسألة في الكفار هل يعرفون الله أم لا؟ فوقع فيها تنازع عظيم بين العلماء والعوام من الناس، فأشار أحدهم أن يأتوا أبا عمران الفاسي ليقضي بينهم في هذه المسألة ويريحهم من تنازعهم، فأتوا باب داره واستأذنوا فأذن لهم، وأعلموه بالمسألة فقال: إن أنصتم وأحسنتم الاستماع أجبتكم بما عندي، وقال: لا يكلمني منكم إلا واحد والباقون ينصتون، فامتثلوا، فقصد أحد السائلين وقال له: أرأيت لو لقيت رجلا فقلت له: أتعرف أبا عمران الفاسي؟ فقال: أعرفه، فقلت له: صفه لي، قال: هو رجل يبيع البقل والحنطة والزيت في سوق ابن هشام، ويسكن صبرة، أكان يعرفني؟ قال: لا، قال: فلو لقيت آخر فقلت: تعرف الشيخ أبا عمران؟ قال: نعم، فقلت: صفه لي، فقال: نعم، رجل يدرس العلم ويدرسه، ويفتي الناس، ويسكن بقرب السماط، أكان يعرفني؟ قال: نعم، قال: والأول ما كان يعرفني، قال: لا، فقال: كذلك الكافر إذا قال

إن لمعبوده صاحبة وولدا، وأنه جسم، وعَبد من هذه صفته فلم يعرف الله ولم يصفه بصفته، ولم يقصد بالعبادة إلا من هذا صفته، وهو بخلاف المؤمن الذي يقول: إن معبوده الله الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، فهذا قد عرف الله ووصفه بصفاته وقصد بعبادته من يستحق الربوبية سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، فقامت الجماعة وقالوا: جزاك الله خيرا من عالم، فقد شفيت ما بنفوسنا ودعوا له، ولم يخوضوا في المسألة بعد هذا المجلس الذي قاله فيه كلمته الرصينة.

وأنجى الله تعالى بسبب تريثه، وعمق علمه، وتشربه لآيات القرآن الكريم، وفهمه الجيد لها رجلا من الموت بتأويله السليم ونظره الحكيم في القرآن الكريم، جـــاء في "معالم الإيمان" أن رجلا قال: أنا خير البرية، فهمَّ به الناس، وحملوه إلى دار أبي عمران فقيل ذلك له، فقال لقائل ذلك: أنت مؤمن؟ قال نعم، قال: تصلي وتصوم وتفعل الخير؟، قال: نعم، قال: اذهب بسلام قال الله تعالى ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ فانفض الناس عنه ولـم يقربوه بسوء.

- **مؤلفاتــه:**

لـم يؤلف أبو عمران الفاسي الكثير من الكتب، فجل ما ذكر منسوبا إليه لا يتعدى ثلاثة كتب، وإن كانت هذه الكتب له فإنها ليست على قدر علمه وتحصيله واتساع روايته، وقد كان رحمه الله رجلا معلما يحب التدريس، ويقضي فيه جل وقته، إضافة إلى أنه كان مفتيا مرجوعا إليه في الصعاب وهذا لا شك مما يأخذ الوقت الطويل في البحث والتثبت، يقول الشيخ عبد الله كنون: "وفي الحق أن هذه الكتب ولو ثبتت كلها ليست على قدر علم الرجل وتحصيله واتساع روايته ومشاركته في العلوم، فإن

غيره ممن يعد في تلامذته له عشرات الكتب والمؤلفات، ولكن التأليف موهبة، كما أن الاشتغال بالدرس وهو ما كان أبو عمران منكبا عليه إلى أن مات، يعوق عن الكتابة ويستنفد مجهود العالم، ومع ذلك فإن علم أبي عمران وفقهه متفرق في الكتب، ومسجل في فتاواه التي تضم كتب النوازل والمسائـــل الشيء الكثير منها"، ومما ذكر له من كتب وتعاليق ما يلي:

1. التعاليق على المدونة وهو كتاب جليل إلا أنه لم يكمله.
2. وخرج عوالي حديثه في نحو مائة ورقة.
3. ويوجد في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا مخطوط يسمى "الأحكام" منسوبا إليه.
4. وذكر عبد السلام بن سودة في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى أن له فهرسة أي برنامجا لرواياته ومشيخته.
5. وينقل القاضي عياض في "المدارك" عما يسميه أحيانا التعليق لأبي عمران وأحيانا أخرى يقول: وجدت بخط أبي عمران، وذلك في تراجم بعض الأفراد وتواريخهم فهل له كتاب آخر أو إنما تقييد مما ظفر به القاضي عياض من آثار أبي عمران.
6. إضافة إلى فتاويه التي اشتهرت التي بين الناس فقول القاضي عياض: "فطارت فتاويه في المشرق والمغرب" يدل على وفرت من كتب عنه كمـــا يدل على أن فتاويه هي أشهر آثاره بين الناس، وقد جمعها الباحثان المساعدان بمركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء نور الدين شوبد ومحمد فوزار تحت عنوان: "فتاوى أبي عمران الفاسي جمع وترتيب".

- **وفاته ومكان دفنه:**

بقي أبو عمران الفاسي في القيروان يدرس العلم، ويفتي الناس، ويعبد ربه إلى أن اشتاق للحـج مرة أخرى، فعزم على السفر وأعد عدته لذلك عام 426هـ، فتكدر جو بعض إخوانه وحزن لمفارقته وغيابه وهو محمد بن علي الطبني الذي كتب إليه أبيـات شعرية يقول فيها:

أقول والنفس حرى منك والهة ... مما تحاذره من فقد محياها
ومن له رب ما ترضاه من عمل ... بر وإن كان في بقياه بقياها
فإن تقم لم يرعني نأي مرتحل ... وإن ترد سفرا ودعتك الله
نفسي بما ترتضيه غير كارهة ... وحسبها أن ما أرضاك أرضاها

فأجابه أبو عمران بقوله:

حياك ربك من خل أخي ثقة ... وصان نفسك بالتكريم مولاها
من كل غم وشان لا يوافقها ... فهو العليم بما يبديه مولاها
ولا أضاع لها الرحمن حرمتها ... وقولها إن تسر ودعتك الله
فالله يجمعنا من بعد أوبتنا ... ويؤتنا من وجوه البر أسناها

فحج أبو عمران الفاسي حجته الأخيرة ولقي بمكة عبد الله بن أحمد الهروي فأخذ عنه، وفي هذا دليل على أن العلم يطلب ولو كان الإنسان شيخا كبيرا فالاستزادة من العلم لا يمنعها سن، ثم لما أكمل حجه رجع إلى القيروان، ولم ينشب أن مرض ومات رحمه الله، ولما حضرته الوفاة جعلت زوجته تمرغ وجهها على رجليه فقال لها: مرغي أو لا تمرغي أما والله ما مشيت بهما إلى معصية قط، وهذا من كمال دينه وتقواه رحمه الله، وكانت وفاته في 13 رمضان سنة 430هـ وصلى عليه عتيق السوسي بوصية منه، وحضر جنازته السلطان وجمع كبير من أهل القيروان، ودفن بداره وقبره مشهور هناك، رحمه الله رحمة واسعة.

2. السموأل بن يحيى المغربي (.../569 أو 570هـ):

- **اسمه ونسبه ومولده وشيوخه ودراسته:**

هو العالم الفذ، المغربي الأصل والفاسي المولد، الطبيب الماهر، والمهندس البارع، واللغوي المفوه، من أعلم وأمهر وأبرع من أنجبتهم الأراضي المغربية **شموائيل بن الراب يهوذا بن آبون أو بالعربية: السموأل أبو نصر بن الحبر أبو البقاء يحي بن عباس المغربي»**[1].

لم تذكر المصادر التاريخية سنة مولده، واختلفوا في سنة وفاته أيضا، وهو نفسه لم يتطرق إلى ذكر سنة مولده عندما ترجم لنفسه ترجمة جميلة تنقصها بعض المعلومات غير أنها كانت كافية في التعريف بنشأته وبعض من أخذ عنهم في كتابه "إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ".

ولد السموأل لأب يهودي مغربي الأصل، وأم عراقية من البصرة يهودية الديانة وكانت من المنجبات في علوم التوراة والكتابة بالقلم العبري كما كان أبوه من علماء الدين اليهودي في

---

[1] أنظر ترجمته في:
- كتاب إفحام اليهود إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي: ص 36.
- تاريخ الحكماء للقفطي: ص 312.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: ص 470.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ص 143.
- الأعلام قاموس التراجم: 140/3.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 409/1.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 800/1.
- تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ص 377.
- مقال نشر بمجلة الفسطاط بعنوان: السموأل بن يحيى المغربي "الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبون" بقلم: محمد عبد الله الشرقاوي منشور على موقع المكتبة الشاملة.

المغرب، اهتم به أبواه كثيرا لأنه كان وحيدهما وقد رزقا به بعد أن كادا يفقدا الأمل في الإنجاب يقول السموأل عن ذلك: "فمكثت أمي عند أبي مدة لا ترزق ولدا حتى استشعرت العقم فرأت في منامها أنها تتلو مناجاة (حنة) أم شموائيل لربها، فنذرت أنها إن رزقت ولدا ذكرا تسميه شموائيل لأن اسمها كان باسم أم شموائيل، فاتفق أنها بعد ذلك اشتملت علي وحين رُزقتني دعتني شموائيل وهو إذا عُرب: السموأل وكناني أبي: أبا نصر"، فلأجل هذا اهتم به أبوه جدا وشغله بتعلم الكتابة بالقلم العبري، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها حتى أحكم ذلك وأتقنه وهو في سن صغيرة عند اكتمال السنة الثالثة عشرة من مولده.

ثم انتقل به أبوه بعد ذلك إلى تعلم الحساب الهندي وحل الزيجات أو الجداول الفلكية عند الشيخ الأستاذ **أبي الحسن بن الدسكرى** وقد أتقن ذلك في أقل من سنة وذلك حين كمل له أربع عشرة سنة، ثم قرأ الحساب الديواني، وعلم المساحة، والجبر والمقابلة على الشيخ **أبو المظفر الشهرزوري**، وقرأ علم الهندسة على أستاذه الأول **أبي الحسن بن الدسكرى** وعلى **أبي الحسن بن النقاش**، وحلل المقالات التي كانا يحلانها من كتاب الأصول لأقليدس، وقد كان متوقد الذهن في كل فن وهذا مما ساعده على نبوغه وتفوقه وفطنته في حل المسائل التي كانت مستعصية على علماء عصره وهو في سن صغيرة لم يبلغ العشرين بعد يقول عن نفسه مخبرا عن هذا:

"وبقي بعض كتاب أقليدس وكتاب الواسطي في الحساب وكتاب البديع في الجبر والمقابلة للكرخي لا أجد من يعرف منه شيئا وغير ذلك من العلوم الرياضية مثل كتاب شجاع بن أسلم في الجبر والمقابلة وغيره، وكان بي من الشغف بهذه العلوم والعشق لها ما يلهيني عن المطعم والمشرب إذا فكرت في بعضها، فخلوت بنفسي في بيت مدة وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها، ورددت على من أخطأ من واضعيها، وأظهرت أغلاط مصنفيها، وعزمت على ما عجزوا عن تصحيحه وتحقيقه، وأزريت على أقليدس في ترتيب أشكال كتابه بحيث

أمكنني إذا غيرت نظام أشكاله أن أستغني عن عدة منها لايبقى إليها الحاجة بعد أن كان كتاب أقليدس معجزا لسائر المهندسين إذ لم يحدثوا أنفسهم بتغيير نظام أشكاله ولا الاستغناء عن بعضها، كل ذلك في هذه السنة أعني الثامنة عشرة من مولدي".

ورغم كل هذا التوفيق في علم الهندسة وعلوم الحساب إلا أن الطب كان قرة عينيه من بين كل العلوم فقد قرأ الطب على الفيلسوف **أبو البركات هبة الله بن علي** وكون معرفته الطبية الكبيرة بنفسه وبحثه واطلاعه على أنواع الأمراض وعلاجاتها حتى صار مبرزا في هذا العلم قال: "وفي خلال ذلك ليس لي مكسب إلا بصناعة الطب وكان لي منه أوفر حظ إذ أعطاني الله من التأييد فيها ما عرفت به كل مرض يقبل العلاج من الأمراض التي لا علاج لها، فما عالجت مريضا إلا وعوفي، وما كرهت علاج مريض إلا وعجز عن علاجه سائر الأطباء وكفوا عن تدبيره فالحمد لله على جزيل نعمته وعظيم فضله".

وقد كان قبل اشتغاله بهذه العلوم ونبوغه فيها يحب الأخبار والسير وكتب التاريخ فقرأ الكثير والكثير منها فبدأ يبحث عن الأخبار الصحيحة والأسانيد النقية بعد أن كون رصيدا معرفيا تاريخيا مهما فاتجه إلى التواريخ والسير الإسلامية بشكل خاص فرأى فيها أخبار النبي ﷺ وما عاناه هو أصحابه من الأذى في مكة، وقرأ عن كراماته ﷺ، وعن غزواته وظهوره على الأعداء رغم قلة العدد والعدة، وقرأ عن سير أصحابه رضي الله عنهم بعد موته ﷺ فرأى فيها ما يَسعد به كل مسلم، وأثناء قراءته الكثيرة هذه تكونت عنده قوة في البلاغة ومعرفة بالفصاحة وكان له في ذلك ما حمده عليه الفصحاء وتعجب منه البلغاء، وأثناء كل هذا

المسير في سبيل التعلم وتثقيف النفس وتكوين شخصية العالم شاهد معجزة القرآن الكريم، المعجزة التي لا تباريها الفصاحة الآدمية فعلم صحة إعجازه.

- **كراهيته للتقليد والجمود وقصة إسلامه:**

كان قد تجمع له فيض زاخر من المعرفة بالإسلام وأهله وأخلاقه ومعاملاته التي يدعو لها، وكان قلبه قد اطمأن إلى صحة معجزة القرآن الكريم، ولأن حسه قد تربى على المنطق وعقله قد تهذب بالعلوم الرياضية والهندسية وما تقتضيه من ضروب البرهنة والتحقق من صحة الفروض تحققا عقليا،كان للعقل عنده دور عظيم جدا ولم يكن للتقليد والجمود إلا حظ النفور، فراجع نفسه في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب وفكر وتدبر، وكان قبل ذلك قد رسخ يقينه بأن العقل حاكم يجب تحكيمه على كليات الأمور يقول ما نصه:

"فعلمت أن العقل حاكم يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا، إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل وتصديق المشايخ والسلف لما صدقناهم في سائر ما تلقيناه عنهم، وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف وأصل اتباع الأنبياء مما أدى إليه العقل فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب"، ثم ساق كلاما كثيرا عن التقليد وترك التعصب وتواتر الأخبار وما إلى ذلك إلى أن يقول: "وعلمت أيضا أني لم أر موسى بعيني ولم أشاهد معجزاته ولا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام، ولولا النقل وتقليد الناقلين لما عرفنا شيئا من ذلك، فعلمت أنه لا يجوز للعقل أن يصدق بواحد ويكذب بواحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام لأنه لم ير أحدهم ولا شاهد أحواله إلا بالنقل وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم فليس من العقل ولا من الحكمة أن يُصدق أحدهم ويُكذب الباقون، بل الواجب عقلا إما تصديق الكل وإما تكذيب الكل، فأما تكذيب الكل فإن العقل لا يوجبه أيضا لأنا إنما نجدهم قد أتوا بمكارم الأخلاق وندبوا إلى الفضائل ونهوا عن الرذائل، ولأنا نجدهم ساسوا العالم بسياسة بها صلاح حال أهله، **فصح عندي بالدليل القاطع نبوة**

المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم وآمنت بهما".

فمكث مدة على هذه الحال معتقدا لنبوة رسول الله ﷺ ومؤمنا به غير أنه لا يلتزم بالتعاليم الإسلامية والواجبات والفرائض خوفا من غضب أبيه وحرصا على بره، فمراقبته لأبيه وحب كلاهما للآخر جعله يخشى إظهار إسلامه رغم بعد المسافات بينهما[1] فمكث مدة إلى أن رأى منامين كانا هما السبيل الذي شجعه ودفعه إلى إظهار إسلامه والالتزام بالفرائض وطرد شبهة مراقبة والده.

- أما المنام الأول: فرأى فيه النبي شموائيل الذي دعاه إلى الإيمان بنبوة محمد ﷺ وأن ذلك مذكور في التوراة وأن الكتب السابقة له قد بشرت به.
- وأما المنام الثاني: فكان هو الفيصل إذ رأى فيه رسول الله ﷺ يقول رحمه الله: "(...) فذهلت لهيبته عما كنت قد عزمت عليه من السلام فسلمت سلاما خاصا فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، وألغيت الجماعة فلم ألتفت ببصري وقلبي إلا إليه، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ولم يكون بين تسليمي عليه وبين سعيي إليه توقف ولا زمان بل جريت إليه مسرعا وأهويت بيدي إلى يده ومد يده الكريمة إلي فأمسكتها بيدي وقلت:

أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وذلك أنه خطر بقلبي أن النحاة منهم من زعم أن الأسماء الأعلام هي أعرف المعارف، ومنهم من يقول إن الأسماء المضمرة هي أعرف المعارف وهو الصحيح لأن الكاف من قولي "أنك" لا يشارك المخاطب فيه أحد لأنها لا تقع إلا عليه".

فلما أصبح رحمه الله كان فرحا ومستبشرا فتوضأ وصلى صلاة الفجر وهو حريص على إشهار

[1] فهو كان بالمراغة بأذربيجان وأبوه كان بحلب وفي هذا دليل على أن والده انتقل كذلك من بغداد إلى حلب على ما ذكر لأنه بعد إسلامه أرسل لوالده رسالة يعلمه فيها إسلامه قال: "وكتبت كتابا إلى أبي إلى حلب وأنا يومئذ بحصن كيفا وأوضحت له في ذلك الكتاب عدة حجج وبراهين مما أعلم أنه لا ينكره ولا يقدر على إبطاله وأخبرته أيضا بخبر المنامين، فانحدر إلى الموصل ليلقاني وفاجأه مرض جاءه بالموصل فهلك فيه".

كلمة الحق وإعلان انتقاله من اليهودية إلى دين الإسلام، وكان حين أشهر إسلامه بمراغة بأذربيجان في ضيافة الصاحب الأمجد فخر الدين عبد العزيز بن محمود بن سعد بن علي بن حميد المضري فدخل إليه في أوائل نهار الجمعة وعرفه أن الله عز وجل قد فتح عليه نور الهداية فأسلم وقال له مد يدك **فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله** فسر به كثيرا وفرح وأخذه إلى الجامع وأعلن إسلامه أمام الكل فاستبشر الناس بإسلام هذا العالم الكبير والطبيب البارع ودخوله إلى دار الإيمان والإسلام.

وكان إسلامه رحمه الله في يوم الجمعة تاسع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة وذلك بمراغة عاصمة إقليم أذربيجان بإيران حاليا، إلا أنه لم يذكر لأحد قصة المنامين مدة طويلة لأسباب عقلية ذكرها فقال: "وكان ذلك لشيئين:

- أحدهما: أني كرهت أن أذكر أمرا لا يقوم عليه البرهان فربما يسرع خاطر من يسمعه إلى تكذيبه لأنه أمر نادر قليلا ما يتفق، إذ العاقل يكره أن يعرض كلامه للتكذيب سرا أو علانية.
- والثاني: "أني كرهت أن يصل خبر المنامين إلى من يحسدني في البلاد على ما فضلني الله به من العلم والحرمة فيجعل ذلك طريقا إلى التشنيع عليَّ والإزراء على مذهبي فيقول: إن فلانا ترك دينه لمنام رآه، وانخدع لأضغاث أحلام!! فأخفيت ذلك إلى أن اشتهر كتاب "إفحام اليهود" وكثرت نسخه وقرأه جماعة كثيرة من الناس فلما تحقق الناس أعني انتقالي من مذهب اليهود إنما كان بدليل وبرهان وحجج قطعية عرفتها وأني كنت أخفي ذلك ولا أبوح به مدة مراقبة لأبي وبرا به، فحينئذ أظهرت قصة المنامين وأوضحت أنهما كانا موعظة من الله تعالى وتنبيها على ما يجب تقديمه ولا يحل لي تأخيره بسبب والد أو غيره".

وقد ختم قصة إسلامه وقصة حياته بالتأكيد على أنه أسلم اتباعا للدليل والبرهان العقلي المحض بعد مقارنته للأديان ومعرفة عقائدها وحججها لا من أجل المنامين، وأما المنامان

فقد كانا دافعا له فقط ليترك مراقبة أبيه لما تحقق له الحق من الباطل والهدى من الضلال بالدليل والبرهان.

- **مؤلفاته واقوال العلماء فيه:**

قبل ذكر تآليفه وما خلفه من تراث علمي زاخر لابد من الإشارة إلى تدريسه، وإذا تحدثنا عن عالم في درجته ينبغي السؤال والبحث عن تلاميذه، ولم يذكر له على حد علمي واطلاعي اسم تلميذ قط في التراجم التي ترجمت له، وهو كذلك في سيرته التي قص فيها خبر إسلامه لم يتحدث قط عن أحد تلاميذه أو عن الناس الذين أخذوا عنه عموما، وهذا من الغرائب والعجائب!! إذ لابد لعالم مفوه وطبيب بارع ومهندس متمكن في درجته وعلمه ونبوغه أن يرغب الناس في الأخذ عنه، وأن يتوافد عليه الطلاب من كل حدب وصوب للاستفادة من علمه، ولكن لم يتم الإشارة من قريب أو بعيد إلى شيء من ذلك، وهذا يدعونا إلى طرح سؤال جوهري مفاده: ألم يجلس السموأل للتدريس قط كما كان يفعل علماء عصره؟! وهذا مستبعد في نظري لأنه كما يذكر في سيرته لما كان بمراغة بأذربيجان كان من المقربين إلى الصاحب الأمجد فخر الدين عبد العزيز بن محمود المضري وكان هذا المذكور يُجله ويعظمه ويحب علمه وتمكنه ونبوغه، ولابد له أن يكون قد دعاه إلى الجلوس للتدريس وتبليغ علمه للناس، ونقل خبرته الطبية والهندسية إلى الباقي حتى لا يضيع علمه بموته، لأن التلاميذ هم السند الذي يعرف به العالم، وبهم يستمر ذكره وتنتشر سيرته ويشيع علمه في الآفاق، ولكن للأسف هذا لم يثبت لسبب ما، ولم يشتهـر له تلميذ ولم يعرف له آخذ عنه، وكل الكتب التي ترجمت له مما طالعناه لم تشر إلى ذلك، اللهم إلا إشارة صغيرة ذكرها ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء" أنه أقام بمدينة المراغة وأولد أولادا هناك سلكوا طريقته في الطب غير أنه لـم يذكر أسماءهم، ولكن بالرغم من عدم ذكر تلاميذه إلا أنه انتشرت له كتب ومؤلفات واختراعات ذكر بعضها الذين ترجموا له ومما ذكر له من الكتب ما يلي:

1. إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ أو بذل المجهود في إفحام اليهود وهذا الكتاب ابتدأ تأليفه عشية إسلامه وكان له دور كبير في فضح أعمال اليهود وفضح معتقداتهم ومواضع الدليل على تبديلها وقد لاقى هذا الكتاب قبولا واسعا في حياة السموأل وبعدها.
2. المفيد الأوسط في الطب.
3. رسالة إلى ابن خدود في مسائل حسابية جبر ومقابلة.
4. كتاب إعجاز المهندسين.
5. الزاوية في الهندسة.
6. الباهر في الرياضيات.
7. كتاب المثلث القائم الزاوية.
8. كتاب القوامي في الحساب الهندي.
9. المنبر في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدور مجهولها.
10. كتاب في المياه.
11. نزهة الأحباب في معاشرة الأصحاب.
12. الكافي في حساب الدرهم والدينار.
13. إضافة إلى أنه اخترع أدوية لم يسبقه أحد إلى مثلها قال عن نفسه موضحا هذا: "واتضح لي بعد مطالعة ما طالعته من الكتب التي بالعراق والشام وأذربيجان وكوهستان الطريق إلى استخراج علوم كثيرة واختراع أدوية لم أعرف أني سُبقت إليها مثل الدرياق الذي وسمته بالـمخلص ذي القوة النافذة وهو يبرئ من عدة أمراض في بعض يوم، وغيره من الأدوية

التي ركبتها مما فيه منافع وشفاء للناس بإذن الله تعالى".

هذا ما وقفت عليه من كتبه ومؤلفاته وبهذه الكتب وبغيرها ربما مما لم يذكر عرفه العلماء وعرفوا علمه ونبوغه وأثنوا عليه بمعرفتها وكانت بمثابة الأبناء الذين أحيوا ذكر والدهم ونشروا خبره وخلدوا ذكره إلى ما شاء الله:

- قال ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء في طبقات الأطباء": "كان فاضلا في العلوم الرياضية، عالما بصناعة الطب، وأصله من بلاد المغرب وسكن مدة في بغداد ثم انتقل إلى بلاد العجم ولم يزل بها إلى آخر عمره".
- وقال موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي: "هذا السموأل شاب بغدادي كان يهوديا ثم أسلم، ومات شابا بمراغة وبلغ في العدديات مبلغا لم يصله أحد في زمانه، وكان حاد الذهن جدا، بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى".
- وقال يوسف القفطي في "إخبار العلماء بأخبار الحكماء": "وكان أبوه يشدو شيئا من الحكمة وكان ولده السموأل هذا قد قرأ فنون الحكمة وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها ونوادرها وكان عدديا هندسيا حقيقيا وله في ذلك مصنفات رأيت منها كتاب المثلث القائم الزاوية وقد أحسن في تمثيله وتشكيله".
- وأشار ابن القيم رحمه الله إشارة ضمنية إليه فقال: "قال بعض أكابرهم بعد إسلامه" ثم نقل عنــه صفحات وفصولا كثيرة.

- **وفاتـــــه:**

ولد السموأل في فاس في المغرب غير أن سنة مولده مجهولة فلم يتطرق لذكرها أحد ممن ترجم له ولا ذكرها هو عندما ترجم لنفسه كما سبقت الإشارة، ثم ما لبث أن انتقلت الأسرة إلى بغداد التي كانت مركز الحضارة الإسلامية لوقت طويل، إلا أن المصادر التاريخية لم تذكر سنة الانتقال ولا عمر السموأل عند ترك فاس ولا غيره وإنما يذكرون أنه مغربي الأصل سكن بغداد

قليلا ثم ما لبث أن تركها هي الأخرى وانتقل إلى بلاد العجم إلى مراغة بأذربيجان ففيها عاش معظم حياته وفيها أسلم وفيها مات، وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ وفاته فإنهم لم يذكروه على وجه التحديد كما يقول الدكتور عبد الله محمد الشرقاوي الذي يضيف:

"اللهم إلا القفطي الذي ذكر أنه توفي قريبا من سنة 570هـ، ويذكر ابن أبي أصيبعة أنه ألف كتابه "إعجاز المهندسين" سنة 570هـ بيد أن السموأل نفسه قد ذكر لنا تواريخ إنجاز بعض كتبه التي ألفها وكان آخرها سنة 558هـ كما أن ناسخ مخطوطة "إفحام اليهود" قد ذكر أنه نقلها عن نسخة بخط السموأل كتبها سنة 565هـ والسموأل نفسه يذكر أنه لم يظهر قصة إسلامه ورؤياه المصطفى ﷺ إلا بعد أربع سنوات من إشهاره إسلامه وتصنيفه كتابه "إفحام اليهود" أي أن ذلك كان في سنة 565هـ تقريبا، ومهما يكن من أمر فإن بعض من ترجم له ذكر أنه توفي شابا وهذا يعني أنه توفي في القرن السادس الهجري يقينا أي أنه رحمه الله من أعيان هذا القرن، وكان حيا في سنة 569 قطعا، وقد عاش بعد ذلك ولعله عاش إلى سنة 570هـ كما ذكر القفطي، وقد ألف في غضون هذه السنة كتابه الموسوم بإعجاز المهندسين كما ذكر ابن أبي أصيبعة".

فرحمه الله رحمة واسعة وجعل أعماله خالصة لوجهه الكريم، وسيرة هذا العالم الفذ والطبيب الكبير الكاملة مما تم إغفاله وتضييعه فضاع بذلك جزء كبير من فهم شخصيته ودوره العلمي والثقافي في الحضارة الإسلامية ونرجو من الله عز وجل أن يشحذ همة أحدهم للغوص كثيرا وكثيرا في كتب التراجم لعله يجد ما يزيح به بعض الإبهام عن شخصيته ويساعد في التعريف به على أكمل وجه والله تعالى الموفق.

3. ابن القطان الفاسي (628/562هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو **أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن خصلة بن سماحة**، الحميري، الكتامي الأصل، فاسي الدار والمولد، مراكشي المسكن، المشهور بابن القطان، حتى إن اسمه الشخصي لا يعرفه إلا من اطلع عليه وحفظه، وشهرته المطبقة كانت بلقبه: ابن القطان الفاسي، وقد خالف ابن عبد الملك المراكشي في كتابه "الذيل والتكملة"، وأحمد بابا التنبكتي في "نيل الابتهاج" في اسم جده الرابع إذ جعلته الجماعة إبراهيم وجعلاه هما يحيى»[1].

---

[1] أنظر ترجمته في:
- تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ص 1407 رقم الترجمة 1130.
- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي: 306/22.
- تاريخ الإسلام للذهبي: 866/13.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي: 47/22.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام: 75/9.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري: 180/3.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: 225/7.
- طبقات علماء الحديث لأبي عبد الله محمد بن عبد الهادي الدمشقي: 190/4. رقم الترجمة 1009.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي: 17/5.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: ص 178.
- علم علل الحديث من خلال كتاب بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لأبي الحسن بن القطان إعداد الأستاذ إبراهيم بن الصديق: 239/1.
- بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام للحافظ ابن القطان الفاسي بتحقيق الدكتور الحسين آيت سعيد: 57/1.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ص 317.
- شجرة النور الزكية: 179/1.

إذا ذكر علماء الحديث المغاربة يذكر ابن القطان الفاسي رحمه الله في جملتهم، فهو محدث المغرب ورافع راية الإسناد فيه، بلغ كتابه "بيان الوهم والإيهام" المبلغ الأقصى مـــن الشهرة، وشهد له العلماء بالتفرد فيه، ولم يذكره أحد ممن ترجم له، أو تناول أخباره، أو قرأ كتبه إلا مدحه بصناعة الحديث، ومعرفة أحوال الرجال، ونوه بإتقانه لذلك:

- قال ابن الأبار: "كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدهم عناية بالرواية، رأس طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة، وله تصانيف، درَّس وحدَّث".
- وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء": "الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد المجود القاضي".
- وقال في "تذكرة الحفاظ": "قال ابن مسدي: كان معروفا بالحفظ والإتقان ومن أئمة هذا الشأن".
- وقال ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب": "قاضي الجماعة، كان حافظا ثقة مأمونا".
- وقال ابن عبد الملك في "الذيل والتكملة": "وكان ذاكرا للحديث مستبحرا في علومه، بصيرا بطرقه، عارفا برجاله، عاكفا على خدمته، ناقدا مميزا صحيحه من سقيمه، مثابرا على التلبس بالعلم وتقييده عمره، وكتب بخطه على ضعفه الكثير، وعني بخدمة كتب بلغ

- الأعلام للزركلي: 331/4.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 470.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج للتنبكتي: 337/1.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 603.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 149.

فيها الغاية منها نسخة بخطه من صحيح مسلم، والسنن لأبي داود وغير ذلك، وصنف في الحديث ورجاله، والفقه وأصوله مصنفات نافعة أخذت عنه".

- وقال الزركلي في "الأعلام": "من حفاظ الحديث ونَقَدَته".
- وقال عبد كنون في "النبوغ: "هو المحدث الحافظ النظار".

- **مولده وشيوخه:**

ولد ابن القطان بمدينة فاس فجر يوم عيد الأضحى سنة اثنتين وستين وخمسمائة 562هـ، ولا يعرف شيء عن مراحل تعلمه الأولى لأنها مجهولة، فالمصادر لم تذكر شيئا عن نشأته، ولا عن آبائه، ولا عن دراسته، ولا عن تاريخ انتقاله من مدينة فاس إلى مراكش، وإنما تتحدث عنه بعد استقراره بمراكش واتصاله بملوك الموحدين واشتهار أمره وظهور نجمه.

ولكن لا ريب أنه تلقى العلوم الأولى بفاس من حفظ للقرآن الكريم، واستظهار للمتون العلمية التي تعتبر مفاتحا للعلوم الشيء الذي يساعده على فتح مداركه العلمية، وقد كان رحمه الله شغوفا بالعلوم، حافظا متقنا، رحالة في طلب هذا الشأن، فهو أخذ عن شيوخ فاس ومراكش، كما رحل إلى إفريقية والأندلس للأخذ عن شيوخ تلكم البقاع، وقد ذكره ابن الأبار وابن عبد الملك في قسم الأغراب الزائرين للأندلس، وقد أولى الدكتور إبراهيم بن الصديق في كتابه "علم علل الحديث" عناية خاصة لترجمة ابن القطان رحمه الله فميز شيوخه الفاسيين من غيرهم على سبيل التخمين، كما حاول ذكر السنة التي ترك فيها فاس وانتقل إلى مراكش، وفند بعض ما قيل في حقه من جَرح، إلى غير ذلك مما تناوله في ترجمته، وفي هذه الأسطر سأورد بعض شيوخه جملة من غير تمييز بين الفاسيين والمراكشيين وغيرهم، لأن الغرض ذكر بعض من أخذ عنه ابن القطان لا التعمق في ذلك، ولنا في كتاب الأستاذ بن الصديق كفاية، وعليه فقد أخذ ابن القطان رحمه الله عن علماء كثيرون منهم:

أبو لحسن بن النقرات واسمه علي بن موسى بن علي بن خلف السالمي، وأبو القاســـم

عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف بن الملجوم الفاسي، ومحمد بن إبراهيم بن حزب الله أبو عبد الله بن البقار، وأبو إسحاق بن العشاب، وأبو البقاء يعيش بن علي بن مسعود بن يعيش القديم الأنصاري، وأبو بكر بن المواق والد الحافظ أبي عبد الله تلميذ ابن القطان، ومن أجل شيوخه الفاسيين الحافظ المغربي الكبير **أبو عبد الله محمد ابن الطاهر الحسيني الشريف الصقلي**، كما أخذ عن **أبي عبد الله بن الفخار المالقي الحافظ**، والحافظ **أبو عبد الله التجيبي، وأبو الخطاب بن واجب، وأبو القاسم بن بقي** من ذرية بقي بن مخلد ذكر ابن عبد الملك أن ابن القطان جالسه كثيرا، وذاكره طويلا، وسمع منه مسند جده بقي بن مخلد وتفسيره، وكان أهلا للرواية، و**أحمد بن سلمة بن أحمد أبو العباس الصيقل**.

وهؤلاء وغيرهم هم شيوخه بالسماع في الحديث وروايته، أما شيوخه في الفنون الأخرى كالنحو والفقه والأدب وما إلى ذلك فمنهم: **أبو الحسن بن خروف النحوي، وأبو الحسن بن مومن، وأبو محمد بن السكاك، وأبو ذر الخشني، وأبو محمد التادلي**، وغيرهم ممن هم على شاكلتهم كثير.

- **وظائفه التي تقلدها:**

بعدما أخذ ابن القطان رحمه الله كفايته من العلم، وكان قد استقر بمدينة مراكش بعد أن ترك فاس أيام الطلب وقد حدد الأستاذ بن الصديق أنه انتقل إلى مراكش ما بين سنة 583هـ إلى 585هـ لأن الشيوخ الذين أخذ عنهم بمراكش منهم من مات في هذا التاريخ أو بعده بقليل، وقد كان له في مراكش سيادة ووجاهة وحظوة عند السلاطين الموحدين، معظما عند الخاصة والعامة كما يقول ابن عبد الملك، خصوصا أنه كان نابغة في علم الحديث وهو العلم الذي يعتني به الملوك والرعية قال الأستاذ إبراهيم بن الصديق: "وقد نبغ في علم الحديث الذي كان هو العلم المعتنى به من الملوك والرعية، وبلغ فيه رتبة الإمامة فلا غرو أن يكون عالم الدولة الأول، والمقصود من كل الجهات والآفاق للأخذ والسماع والرواية، ويصفه

معاصره الحافظ جمال الدين ابن مسدي بأنه: كان شيخ شيوخ أهل العلم في الدولة المؤمنية"، ومن كان في هذه الدرجة من العلم لابد أن يُقلد أرفع المناصب في الدولة، وهذا ما كان لابن القطان، فتولى رحمه الله فيما ذكره المترجمون ثلاثة مناصب رفيعة هي:

رئاسة الطلبة: هذه الوظيفة وصفه بها ثلة ممن ترجم له، قال التنبكتي: "رأس طلبة العلم بمراكش"، وقال ابن الأبار: "كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدهم عناية بالرواية، رأس طلبة العلم بمراكش (...)".

وتعتبر هذه الرئاسة أرفع وظيفة تقلدها ابن القطان، وهو منصب علمي بحت وصل إليه بما حصله من علوم ومعارف، وكان هؤلاء الطلبة يفدون من جهات شتى للعلم والأخذ عن العلماء، وقد كانوا محل عناية الخليفة الموحدي، يغمرهم ببره، ويعطف عليهم، ويقضي مآربهم، ولكن هل كان لهم مدرسة خاصة، أو كان ابن القطان يدرسهم في المسجد؟ محل نظر، والأقرب أنه كان لهم مكان يسكنون فيه، ويدرسون دراسة تعمقية تخصصية.

القضاء: تولى القضاء في أواخر عمره بسجلماسة[1] لما فر إليها مع المعتصم، وقد توصل الشيخ إبراهيم بن الصديق في رسالته إلى أنه تولى القضاء أقل من سنة في سجلماسة، ولكن لم يعرف نوع القضاء الذي مارسه في أثناء تلك المدة، والمهم أنه مارس القضاء شأنه شأن كبار العلماء الذين يوثق بعلمهم، ويُدْعَونَ إلى تولي القضاء لما عرف عنهم من تمكن ودراية وعلم في حل المشكلات، وفك النزاعات، والحكم على الخلافات، وضمان تحقيق العدل بين طبقات المجتمع حتى لا يعتدي القوي على الضعيف، والغني على الفقير،

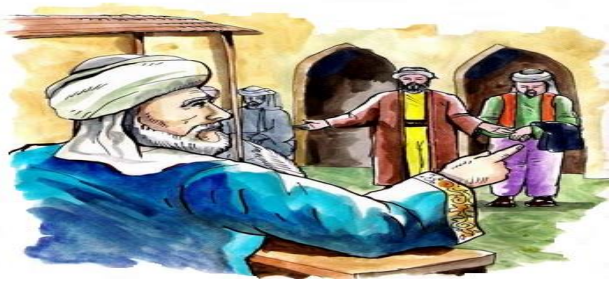

[1] مدينة تاريخية كانت تقع وسط واحة كبيرة جنوب الأطلس الكبير، مقابلة لمدينة الريصاني في تافيلالت الحالية.

فيشيع بذلك الظلم وينتشر.

المجالس الإملائية: حظي ابن القطان بشرف إملاء الحديث بحضرة يعقوب المنصور الموحدي، ولا شك أن تعمقه في الحديث مكنه من الجلوس للإملاء خاصة أن هذه المجالس كان يغشاها أصحاب تخصصات عدة من فقهاء، ومحدثين، ومتكلمين، ورواة، وفلاسفة، ومؤرخين، وغير ذلك، قال ابن عبد الملك: "وكان قد سعد عند المنصور منهم كثيرا، فكان المنصور يؤثره على غيره من أهل طبقته، وجرت له أخبار طريفة معه منها: أنه عينه لقراءة الحديث الذي كان يقرأ بين يديه، وكان أبو الحسن يعتريه بعض الأحيان توقف في كلامه، فابتدأ أول يوم القراءة فبسمل وصلى على النبي ﷺ، وكان العادة إتباع القارئ التصلية بالدعاء للمنصور بالرضا، فحين فرغ أبو الحسن من التصلية عرض له التوقف الذي كان يعتريه، فمكث قليلا ثم قال: ورضي الله عنكم، واصلا الدعاء بالتصلية فيما رأى، ثم اعترته سكتة أيضا، ثم اندفع يقرأ الحديث، فاستبشر لذلك المنصور واشتد إعجابه به، واستحسانه إياه، وقال: هكذا ينبغي أن يقرأ الحديث من يقرؤه بين أيدينا فاصلا بين الدعاء لنا، والتصلية المتبعة بالبسملة، وبينه وبين حديث النبي ﷺ، فأما سرد البسملة والتصلية والدعاء لنا في نسق من غير فصل بين ما يخصنا من الدعاء وما قبله وما بعده فإنا نبرأ إلى الله منه، فعجب الحاضرون لسعادة أبي الحسن بما ظن أن فيه نقصا عليه".

- **تلاميذه:**

وبتقلده لهذه المناصب وتنقله فيها وخصوصا رئاسة الطلبة، إضافة إلى دروسه الخاصة والعامة، كان قد أخذ عنه جم غفير من الطلبة، فمن سمع بعلم ابن القطان ووصله خبر نبوغه وتفوقه، وكان مهتما بالعلم لابد له أن يشد الرحال صوب مراكش ليسمع منه، أو ينتظر قدومه إلى بلده أو مدينته في رحلة معينة فيسارع للأخذ عنه والسماع منه، وقد كثر الآخذون عنه جدا في معظم البقاع التي جلس فيها للتدريس بصفة دائمة أو مؤقتة، فابن عبد الملك بعد أن عدَّدَ

تلامذته قال: "في خلق لا يحصون كثرة أخذوا عنه بمراكش وغيرها من بلاد العدوة إلى إفريقية وبالأندلس"، وممن أخذ عنه:

محمد بن يحيى بن أبي بكر أبو عبد الله بن المواق، وأبو **عبد الله محمد بن علي بن يحيى المعروف بالشريف**، وأبو **عبد الله محمد بن أحمد بن الطراوة**، وابنه **الحسن بن علي بن محمد بن القطان**، وابنه الثاني **الحسين بن علي بن القطان**، وابن **مسدي واسمه محمد بن يوسف بن موسى المهلبي الغرناطي**، و**علي بن محمد بن علي الغافقي أبو الحسن الشاري السبتي**، وأبو **الخطاب عبد الرحمن بن أبي عمرو بن أبي الحسن بن عبد الرحمن بن الطفيل**، و**محمد بن عياض بن محمد بن عياض أبو عبد الله** حفيد القاضي عياض بـــن موسى اليحصبي، و**محمد بن إبراهيم بن محمد الكتامي الحميري**، وأبو **بكر بن محرز**، وأبو **عبد الله الرندي**، وأبو **مروان الباجي**، والأديب البارع والشاعر المجيد **عمر بن محمد بن أحمد القيسي**، وأبو **عبد الله بن الآبار**، وغيرهم كثير.

- **مؤلفاته:**

ابن القطان رحمه الله لم يكن عالما متخصصا في مجال الحديث وما يتعلق به فقط، بل كان عالما مشاركا في علوم عدة، وهذا يظهر من خلال مؤلفاته العديدة التي كانت في مختلف المجالات، نعم اشتهر بعلم الحديث وما يتعلق به فبرع في ذلك ونبغ، وألف فيه مؤلفات تزينت باحتوائها المكتبة الإسلامية، ولكن هذا لم يمنعه من التصدي للتأليف في غيره من العلوم، فمكتبته رحمه الله لها اعتبارها في ميزان المعرفة والعلم بتنوع موضوعاتها، وقد أسدى خدمة جليلة للعلوم بتأليفه أكثر من خمس وثلاثين كتابا، أربعين كتابا على وجه التحديد وهي التي ذكرها الأستاذ الحسين آيت سعيد في تحقيقه

لكتاب "بيان الوهم والإيهام" ولكن للأسف ضاع معظمها، ولم يسلم من عوامل الفقد والإتلاف إلا ثلاثة كتب أو قريبا منها، وهذا وقع له في أواخـــــر حياته في محنة كبيرة كانت كالليلة الظلماء لم يبزغ فجرها حتى أخذت معها معظم كتبه ومؤلفاته، وبسبب ذلك مات رحمه الله، وهو ما سيأتي ذكره في القابل من السطور، يقول الحسين آيت سعيد: "وهذه الكتب التي بلغت أربعين كتابا ما بين كبير وصغير قد ضاعت لما انتهبت داره، وما نجا منها فقد تلف بمرور الزمن، ولا يوجد منها فيما نعلم الآن إلا ثلاثة كتب قد ذكرناها قبل"، وقال كذلك: "فلو كانت مؤلفاته نجت من حوادث الزمن لأطلعتنا على كثير من قضايا ومشاريع علمية نحن في أمس الحاجة إليها، وهكذا يجني الدخول في السياسة على إنجازات علمية ضخمة تذهب سدى، وتحرم الأمة من رصيد معرفي مهم، وتضاف بذلك مثل هذه النكسة إلى النكسات السابقة فتتراكم أسباب التخلف وتعطي عطاءها، فتزداد هوة الأمة، ويتسع خرقها على الواقع" فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وأما مؤلفاته التي عرف أغلبها بأسمائها فقط وأما ما تحتويه من علم مما ضمنه إياها فضائع، فهي كما يلي:

في الحديث:

1. بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام.
2. نقع الغلل ونفع العلل في الكلام على أحاديث السنن لأبي داود.
3. كتاب في الرد على أبي محمد بن حزم في كتاب المحلى مما يتعلق به من علم الحديث، ولم يتمه.
4. كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند حيث وقع من المسندات والمصنفات كمل منه كتاب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة في نحو عشر مجلدات.
5. رسالة في حديث عاشوراء في التوسعة على العيال وهي في نحو خمس عشرة ورقة وقد

انتهى فيها إلى تحسين حديث: «**من وسع على أهله وعياله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته**».

6. رسالة في منع المجتهد من تقليد المحدث في تصحيح الحديث لدى العمل.
7. رسالة في تفسير قول المحدثين في الحديث: إنه حسن.
8. أحاديث في فضل التلاوة والذكر.
9. مقالة في تبيين التناسب بين قول النبي ﷺ: «**ويتوب الله على من تاب**» وما قبله من الحديث.

مؤلفاته في الرجال:

10. تجريد من ذكره الخطيب في تاريخه من رجال الحديث بحكاية أو شعر، وهو في مجلدين متوسطين.
11. شيوخ الدارقطني في مجلد متوسط.
12. برنامج شيوخه.
13. مقالة في فضل عائشة.

مؤلفاته في الفقه:

14. النظر في أحكام النظر، يتكلم فيه عما يجوز من النظر وما لا يجوز، والنظر للضرورة، ونظر الرجال للنساء، والنساء للرجال، والنساء للنساء، والرجال للرجال، وقد حقق هذا الكتاب تحت إشراف فاروق حمادة.
15. البستان في أحكام الجنان.
16. مقالة في الوصية للوارث.
17. مقالة في الرهن يوضع على يد أمين فيعتدي عليه.
18. مقالة في الطلاق الثلاث.

19. مقالة في الختان.

20. مقالة في معاملة الكافر، قال ابن عبد الملك: "جمعها للناصر حين وفد عليه البابوج أحد عظماء النصرانية".

21. مقالة في نفي التعسير.

22. مقالة في الأيمان اللازمة.

23. مقالة في المنع من إلقاء التفث في عشر ذي الحجة للمضحي.

24. مقالة في مشاطرة العمال.

25. مقالة في الأوزان والمكاييل.

26. مقالة في حث الإمام على القعود لسماع مظالم الرعية.

27. مقالة في تحريم التساب.

28. مقالة في الوصية للجنين.

29. مقالة في الإمامة الكبرى.

30. مقالة في القراءة خلف الإمام.

31. الإقناع في مسائل الإجماع وهو قيد التحقيق بقلم فاروق حمادة.

32. المقالة المعقولة في حكم فتوى الميت والفتوى المنقولة.

33. مقالة في التسعير، وفي الذيل والتكملة "التسفير"، وفي الإعلام "مقالة في نفي التسفير".

34. مؤلفاته في أصول الفقه: النزع في القياس لمناضلة من سلك غير المهيع في إثبات القياس.

35. مسائل في أصول الفقه زعم أنها لم يذكرها الأصوليون في كتبهم.

36. مقالة إنهاء البحث منتهاه عن مغزى من أثبت القول بالقياس ومن نفاه.

مؤلفات متنوعة:

37. تقريب الفتح القدسي.

38. كتاب ما يحاضر به الأمراء.

39. أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها.

40. أبو قلمون: وهو ثوب رومي يتلون ألوانا ولا سيما إذا أشرقت عليه الشمس ويشبه به الدهر والروض وزمن الربيع.

هذه مؤلفاته التي ذكرها علماء التراجم، وقد رتبها على حسب مجالاتها وتخصصاتها كما مضى الأستاذ الحسين آيت سعيد، ومعظمها ضائع مفقود.

- **شعره:**

يعتبر التمكن من نظم الشعر، وتذوق حلاوته وعذوبته من علامة نجابة الشخص، وفيه دلالة على تمكنه من اللغة العربية لغة القرآن والسنة، وإتقانه التلاعب بالكلمات، واستخدامها في المكان الذي يريد للغرض الذي يريد، وهو تاج من اللؤلؤ يزيد من جمالية العالِم ويكسبه هيبة وإجلالا واحتراما لتمكنه من إتقان العلوم بما فيها نظم الشعر وإتقان قوله، فالشعر كمالٌ للفتى إن لم يتخذه وسيلة للرزق كما قال ابن الونان في "الشمقمقية":

واعن بقول الشعر فالشعر كما ... لٌ للفتى إن به لم يرتزق
والشعر للمجد نجاد سيفه ... وللعلا كالعقد فوق العنق

ولا أدل على تمكن ابن القطان من الأدب وتوسعه في معرفته، وإجادته نظم الشعر سليقة وتحضيرا من تلك الأبيات التي قالها في المصحف الإمام وقد وضعه الخليفة المنصور في حجره بمحضر كبراء قومه:

ألا فاقدروا قدر هذا المقام ... فهذا الإمام وهذا الإمام
إمام المصاحف في حجر من ... حفظ الله هذا الأنام
وناهيك من صحف كرمت ... بحجر الكريم سليل الكرام

فطوبى لـــــمن فـاز من ذا وذا بـــــما فيـه حظ ولو بـالســـلام

وأنشد في صفة نهر ماء بضيعته التي كانت له خارج باب فاس وتعرف هناك بتاووتي:

ومـهـنـد لـزم الـتـجـرد فـهـو لا ينـفـك مســـلـولا لـغـير قـتـال
ضـمن النسـيم صـفاء صـفحة وجهه فـتراه مصـــقـولا بـغـير صـــقـال
وإذا تـنـفس فـيـه ســـال فِـرِنْـدُهُ وطـفـا عـلـيـه حـبـابـه كـلآلي
أعـجـب بـه مـن صـــارم آثـاره نقع الصـــدى وتنفس الآصـــال

ومنه وقد عثرت به بغلته في وجهته إلى ضيعته المذكورة وهو يساير أبا المناصف رحمهما الله فقال له ابن المناصف: ما بالها عثرت وما بالها قلقه؟، فأجابه مرتجلا ومداعبا:

لـــم تعثر البغلة السـفواء إذ عثرت من ضـــعف أيـد ولا من أنهـا خرقـه
لكنهـا عشـــيـت من نور مـا حملـت من العلوم فخرت تحتـه صـــعقـه

ذكرها ابنه أبو محمد حسن وقال لراويها ابن عبد الملك: "كان متى ذكرهما يستعبر ويستغفر الله منهما، وقد رأيته ضرب عليهما في بعض معلقاته".

- **محنته ووفاته ومكان دفنه:**

بدأت حياة ابن القطان تعرف نوعا من عدم الاستقرار منذ بويع العادل بن المنصور الموحدي سنة 621هـ لوحشة كانت بينه وبين العادل بعدما تولى الخلافة، قال ابن عبد الملك:

"والذي أوجب إيحاش العادل إياه ما حدثني به ابنه أبو محمد وغيره من شيوخه أنه لما توفي أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المستنصر بالله تشـاور أهل الحل والعقد بمراكش في تعيين من يُقلد الأمر بعده، فأشار بعضهم بتقديم أبي محمـد عبد الله العادل بن المنصور، وكان يرمي بالميل إلى البطالة، وإيثار الشهوات، والإخلاد إلى الراحات، وكان أبو الحسن حاضرا لتلك الشورى فأنشد متمثلا ومنبها على التفرقة بينهما:

إذا رتـل القرآن في جنح الليـل أُبَـــيٌّ بن كعب لـــم يغن مخارق

ولما تولى العادل نمي إليه عدم ارتياح أبي الحسن لخلافته، وما أنشده في حقه، فهم بالقبض

عليه والإيقاع به، لكنه انصرف عن ذلك مراعيا لخدمة أبي الحسن لأبيه ولأخيه المستنصر، فتركه، ثم بدأ يجرده من الوظائف التي كانت في يده واحدة تلو الأخرى، وصرفه عن التعرض للقصر، والدخول إلى محاضر خواص الطلبة فيه، فبقي مبعدا يتوجس خيفة دائما مـن العادل حتى توفي، وبويع أخوه أبو العلاء الملقب بالمأمون وهو بإشبيلية، ثم نقضت بيعته، وبويع أبو زكريا يحي الملقب بالمعتصم، وكان ابن القطان من جملة من حضر نكث بيعة المأمون خوفا على نفسه منه، وتقديم المعتصم عليه، ودخل المأمون مراكش، ونكل بالموحدين الذين نكثوا بيعته، وانهزم المعتصم أمام عمه المأمون، ولجأ إلى سجلماسة ومعه ابن القطان فتوفي هناك.

ويضيف ابن عبد الملك فيقول: "لما دخل المأمون مراكش على الوجه الشنيع الذي دخلها عليه، فصل المعتصم من ظاهرها في فل أصحابه، وشيعته وكان منهم أبو الحسن بن القطان متوليا القضاء بين حزبه، فانتهبت داره، وذهب كل ما كان فيها من مال وكتب، وكـــانت سبعة عشر حملا منها حملان بخطه، ولم يزل مع مغروره المعتصم في حركاته، واضطراب أمره مع عمه المأمون إلى أن لجأ المعتصم أمام عمه إلى سجلماسة، فأدركت أبا الحسن بها منيته مبطونا حسيرا على ما فقد من أهله وبيته وكتبه وسائر ممتلكاته، وكان وفاته بين العشاءين من الليلة التي أهل فيها شهر ربيع الأول من سنة ثمان وعشرين وستمائة 628هـ، ودفن بالركن الواصل بين الصفحين الشمالي والغربي من الزنقة لصق الجامع الأعظم بسجلماسة، وقبره هناك معروف حتى الآن".

وهكذا بعد حياة دامت ستا وستين عاما انتهت حياة عالم جهبيذ عمَّرها بالعلم والدراسة والتدريس والتأليف، فرحمه الله رحمة واسعة، ونفعه بكتبه التي سلمت من عوامل الفناء، وغفر لنا وله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

4. ابن البنا المراكشي (654/721هـ):

- **اسمه ونسبه ومولده وشيوخه:**

هو العالم الرياضي المتمكن، والفلكي الجهبيذ الكبير الذي جاوزت شهرته حدود وطنه وموطنه الأم، مفخرة المغاربة والعالم الذي زاوج بين العلوم الشرعية والعقلية فبرع فيهما معـــا، واعترف بقدره وعلمه وتمكنــه وموسوعيته الغرب قبل العرب حتى لقد ترجمت بعض كتبه وخاصة الرياضية منها إلى غير اللغة التي تعلم وتكلم وألف بها

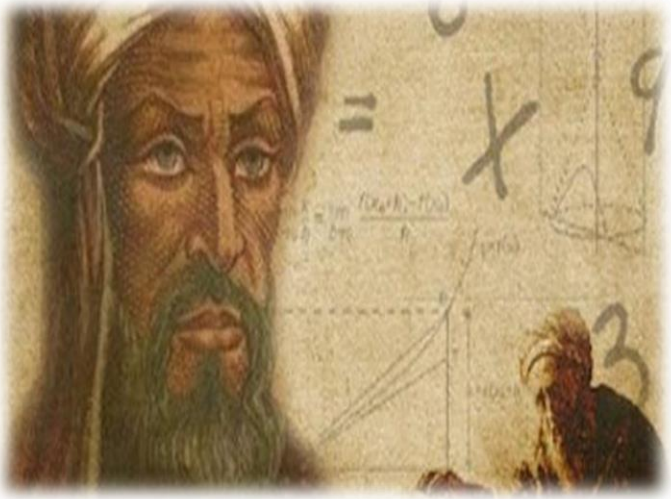

أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المشهور بابن البناء العددي»[1].

[1] أنظر ترجمته في:
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ص 83.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 278/1.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بفاس: ص 148.
- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية: ص 41.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم السملالي: 202/2.
- الأعلام قاموس التراجم: 222/1.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: 108/1.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 104/1.
- شجرة النور الزكية في أعلام المالكية: 216/1.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 278/1.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسياسة والأدب: ص 351.
- القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: ص 52.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 72/4.

ولد ابن البنا في مراكش في الحي الذي يعرف بقاعة ابن ناهض عام 654هـ لأب كان يشتغل في البناء فنسبت شهرته إلى مهنة أبيه، وأم الغالب في شأنها أنها ربة بيت شأنها شأن كثير من مثيلاتها المغربيات في ذلك الزمن، اهتم به أبوه كثيرا فأدخله إلى الكُتاب لحفظ القرآن الكريم كعادة فتيان ذلك الزمن فقرأ القرآن في مراكش على **أبي عبد الله بن عيسى المعروف بابن مبشر**، وتلا بحرف نافع روايتي ورش وقالون على **المقرئ الشهير بالأحدب** قال: "وكان كثيرا ما يدعو لي بالخير لأني كنت أخفف عنه بعض الأعمال التي كان يتناولها بالمكتب فانتفعت بدعائه".

ولما حفظ القرآن وأتقن قراءته انتقل إلى بقية العلوم التي توسع مداركه فأخذ العربية عن قاضي الجماعة **أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى الشريف المراكشي** قرأ عليه بعض كتاب سيبويه وذاكره في مسائل من كتاب "الأركان" لأقليدس ولازم حضور مجلسه مدة، ثم قرأ على **أبي إسحاق إبراهيم بن عبد السلام الصنهاجي المعروف بالعطار** جميع كتاب سيبويه وكراسة أبي موسى الجزولي، وأخذ علم العروض عن **أبي بكر القالوشي الملقب بالفأر** لقيه بمراكش فقرأ عليه كتابه الكبير المسمى "بالختام المفضوض على خلاصة العروض"، وأرجوزته العروضية المسماة "بالنكات العلمية في مشكلات الغوامض الوزنية" كما أخذ عنه أرجوزته الفرضية المسماة "بإثارة المسائل الغوامض من مغلقات مشكلات الفرائض"، وقرأ على **ابن عبد الملك** علم الحديث فروى عنه "الموطأ" برواية يحيى الليثي وتدرب بين يديه في عقود الوثائق وانتفع به كثيرا وكان ابن عبد الملك معجبا بذكائه كثيرا، وأخذ عن **أبي عمر الزناتي المراكشي** قرأ عليه شرحه على الموطأ، وعلى **الوليد بن أبي بكر بن حجاج** قرأ عليه كتاب "التهذيب" للبرادعي، و"فرائض أبي القاسم الحوفي" كما أخذ عنه كتابي "المعيار في المنطق" و"المستصفى في الأصول" لأبي حامد الغزالي، وعلى القاضي **أبي الحسن محمد بن عبد الرحمن المغيلي** قرأ عليه كتاب "الإرشاد".

وأخذ علم السنن عن قاضي الجماعة بفاس **أبي الحجاج يوسف التجيبي المكناسي، وأبي يوسف يعقوب الجزولي، وأبي محمد الفشتالي، وأبي عبد الله محمد بن عثمان بن سعيد المشهور بابن أبي سعيد كنية أبيه**، وحدث عن **يعيش بن القديم**، وأخذ علم الطب عن **الحكيم المعروف بالمريخ**، وأخذ علم العدد على **أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن حجلة** وهذا ليس أستاذه الوحيد في هذا المجال بل ينبغي إضافة **الشريف المراكشي وابن حكم**، ثم أخذ علم النجوم عن **أبي عبد الله محمد بن مخلوف السجلماسي** نزيل مراكش، وفي تعداد مشايخه يجب ألا نغفل كما يقول الشيخ عبد الله كنون عن ذكر **أبي زيد الهزميري** الصوفي الجليل الذي كان يعطف على ابن البنا عطفا شديدا ويأخذ بيده في سلوك طريق القوم حتى بلغ مبلغ العارفين.

هؤلاء الأعلام هم مجمل من ذكر مترجموه له على أنهم أساتذته ومعلموه، وأما أخذه للعلوم الرياضيـــة والفلك وما جاور ذلك من العلوم العقلية فلم يقتصر على الأفراد المتخصصين في هذا المجال بل إن منهم من كان يجمع بين العلوم العقلية والنقلية الشرعية **كأبي يحي الشريف** الذي مر بنا أنه كان يذاكره في كتاب "الأركان" لأقليدس، ومن خلال ذكر شيوخه يتضح كذلك أنه تتلمذ على بعض علماء فاس فقد كانت فاس حاضرة العلم والعلماء فلما اشتد عود ابن البنا وأخذ كثيرا عن علماء مراكش سافر إلى فاس لينهل من معين علمائها الأجلاء.

- **تدريسه وتلاميذه:**

لما شهد له شيوخه بالعلم والتمكن انتقل إلى مرحلة التدريس فدرس العلوم بمدرسة العطارين بفاس، ففاس التي عرفته طالبا مجدا مجتهدا عرفته في مجال التعليم أستاذا مشاركا عاقلا متمكنا مما يعلمه ويدرسه، هادئا سمح الخلق والخليقة يحب نفع الناس ويحبونه لعلمه وطيب سيرته قال تلميذه عبد الرحمن اللجائي: "حين كنت أقرأ عليه بمدرسة العطارين من مدينة فاس أمنها الله تعالى كان شيخا وقورا حسن السيرة، قوي العقل، مهذبا فاضلا، حسن الهيأة، معتدل القد

أبيض اللون يلبس الثياب الرفيعة ويأكل المآكل الطيبة، وكان لا يمر بموضع إلا ويسلم عليه من لقيه، ما رآه أحد وتحدث معه إلا انصرف عنه راضيا، وكان محبوبا عند العلماء والصلحاء، حريصا على إفادة الناس بما عنده، وكان قليل الكلام جدا لا يتكلم بهذر ولا بما يكون خارجا عن مسائل العلم، وكان إذا حضر في مجلس وتكلم سكت لكلامه جميع من فيه، وكان محققا في كلامه قليل الخطأ فيه".

قلت هذه هي أحوال العلماء الذين اصطفاهم ربهم فجعل لهم قبولا في القول والسيرة، وحببهم إلى خلقه فلا يراه أحد إلا تواضع لتواضعه، وخشع لما يحمله في جوفه من العلم الذي علمه إياه ربه.

وقد أخذ عنه كثير من الطلبة نبغ منهم غير واحد، وممن تتلمذ عليه وصار عالما يشار له بالبنان: **أبو زيد عبد الرحمن اللجائي**، و**ابن شاطر**، و**أبو جعفر بن صفوان**، والعلامة **أبو البركات ابن الحاج البلفيقي**، و**العلامة الآبلي** أحد حكماء الإسلام في القرن الثامن أستاذ ابن خلدون، و**أبو عبد الله بن النجار** من شيوخ القلصادي المتفننين في المنقول والمعقول، وغيرهم من أهل هذه الطبقة فما دونها فابن البنا قد اشتغل بالتدريس مده طويلة من حياته، وقد أخذ عنه المئات اشتهر بعضهم وطوى التاريخ سير بعضهم الآخر، ولكن حسبنا أن نذكر بعضا ممن سمع منه مشافهة، وعايشه في زمنه، وخبر أحواله، وسمع أقواله لأن التلاميذ بمثابة تآليف حية، وهم ممن يحفظ سند العلم، ويبين كيفية انتقاله من جيل إلى جيل كما يقول الشيخ عبد الله كنون.

- **ألـمعيته ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه:**

أما تآليفه فهي كثيرة ومتنوعة وفي مختلف المجالات فقد ألف رحمه الله في الحساب والفلك والعلوم الشرعية واللغوية والفلسفة، وهذا يدل على غزارة علمه، وباعه الطويل فيه، بيد أنه برع بشكل ملحوظ في العلوم الرياضية وبه تجاوزت شهرته حدود المغرب واعترف بنبوغه أهل

هذا الفن الذين حبسوا أنفسهم له ولم يشاركوه بغيره (أي علم الحساب)، خاصة في حساب الكسور المتسلسلة والجذور الصماء ومربعات الأعداد ومكعباتها، وحساب الخطأين، وأدخل بعض التعديل على القاعدة المعروفة بقاعدة الخطأ الواحد، وحل بعض المعادلات الجبرية العويصة، وذلك كله بطرق سهلة وقريبة المأخذ مما أطلق ألسنة العلماء بالثناء وتقدير عمله، ولا سيما الأوروبيون الذين أدهشتهم تحقيقاته حينما نقلت بعض مؤلفاته إلى اللغات الأجنبية في أول عصر النهضة وممن شهد بفضله في هذا المقام لالاند وسارطون وويكه وسوتر وألدوميليلي وأشار الرياضي الفرنسي شال إلى أن بعض علماء الغرب أغاروا على كتبه وتبنوا نظرياته.

ومما يدل على ألمعيته الرياضية هذه قصة طريفة حصلت له مع رجل في مراكش قال تلميذه ابن شاطر قاصا هذه القصة: "كنت قاعدا مع ابن البنا بمراكش بدكان طبيب فإذا برجل جاء إليه وقال له يا سيدي إن والدي توفي وكان متهما بالمال ولم يترك لي شيئا وقيل إن ماله مدفون بداره، فأحب أن تعمل خاطرك معي لوجه الله، ففكر الشيخ برهة ثم قال للرجل: صور لي صورة الدار في الرمل، فصور له صورتها من غير أن يدع شيئا منها، فأمره أن يزيل تلك الصورة فأزالها، ثم أمره أن يصورها ثانية فصورها كالأولى، فأمره أن يزيلها، ثم أمره أن يصورها ثالثا فصورها كالأولى والثانية، فنظر فيها وقال له: إن مالك في هذا الموضع، فقبل يده وانصرف. قال ابن شاطر: فبحثت عن الرجل فالتقيت به بعد يومين فأخبرني أنه وجد مال أبيه في الموضع الذي ذكره الشيخ فقضيت العجب من ذلك".

وهذا مما يدل عن حدة ذكاء ابن البنا وقوة عقله وتمكنه من الحسابات الرياضية والهندسية أيما تمكن خصوصا أن بعض من لا يحبه شنع عليه واتهمه بالنظر في النجوم وما إلى ذلك مما لا يفعله عالم شرعي يعرف حكم الله في كل قول أو فعل يقوم به، وهذه القصة أقرب إلى الحنكة والحساب واستخدام الأشكال الهندسية الرياضية منها إلى النجوم أو غيرها.

وهذه هي مؤلفاته التي عرفت له وإن كان بعضها على شكل رسائل قصيرة إلا أنها تحمل من العلم والحكمة الشيء الكثير وهذا ما نبه عليه الشيخ عبد الله كنون وابن هيدور الذي قال: "أما موضوعاتــه –يعني تآليفه– فكثيرة جدا ألف في جميع ما عني به ومعظمها صغار جدا"

وهي كما أوردها الشيخ عبد الله كنون في كتابه "الذكريات" مقسمة إلى أربعة أقسام كما يلي:

أ. المؤلفات الشرعية واللغوية:

1. تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم جزء صغير.
2. تفسير سورتي العصر وإنا أعطيناك الكوثر.
3. عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل وهو جزء نبيل في تعليل رسم المصحف الإمام.
4. حاشية على تفسير الكشاف، سفر صغير غريب في معناه.
5. كتاب نحا فيه منحى ابن الزبير في كتابه المسمى "ملاك التأويل في المتشابه اللفظ مــن آي التنزيل" موضوع غريب أتى فيه ببدائع وعجائب.
6. الاقتضاب والتقريب للطالب اللبيب في أصول الفقه.
7. منتهى السُّول في علم الأصول، جزء صغير.
8. تنبيه الفهوم على مدارك العلوم في أصول الفقه.
9. شرح التنقيح للشهاب القرافي.
10. اختصار كتاب الإحياء للغزالي.
11. كتاب في عمل الفرائض.
12. كتاب الفصول في الفرائض أيضا.
13. شرح بعض مسائل الحوفي في الفرائض.

14. مقالة في الإقرار والإنكار.

15. مقالة في مسائل المدبَّر.

16. مقال في مقادير المكايل الشرعية.

17.رسالة في ذكر الجهات وبيان القبلة والنهي عن تغييرها لأنها بوضع مجتهد.

18. رسالة في إحصاء عدد أسماء الله الحسنى من القرآن وإخراجها منه على حسب ما هي من غير تغيير وتداخلها من جهة العموم والخصوص.

19. رسالة في الفرق بين الخوارق الثلاثة المعجزة والكرامة والسحر.

20. رسائل في تفسير بعض الآي من القرآن.

21. شرح عوذة مُغْفَلَة.

22.شرح ما يكتب في الحفيظة التي تكتب في آخر جمعة من شهر رمضان.

23. كلام في العزائم والرقى والسحر والتمائم.

24. كلام في خواص بعض الدعوات.

25.رد على الأحكام النجومية وإبطالها.

26. الكليات في العربية، جزء صغير.

27. الروض المريع في صناعة البديع في علم البيان.

28.كتاب الاختصار.

29. مقالة في عيوب الشعر.

30. قانون في معرفة الشعر.

31. مقالة في الفرق بين الحكمة والشعر.

32.مقالة شرح فيها لغز عمر بن الفارض الذي أوله:

ما اســـم ثلاثي الحروف فثلثه مثل له والثلث ضـــعف جميعه

ب. المؤلفات الرياضية:

33. كتاب التلخيص في الحساب، وهو من أشهر تآليفه.

34. شرحه المسمى برفع الحجاب، قال ابن هيدور: "وهو سفر صغير كثير المنفعة ورأيت عليه خط مؤلفه أنه ألفه عام واحد وسبعمائة"، وقال ابن خلدون في التلخيص: "إنه ضابط لقوانين أعماله مفيد"، وفي رفع الحجاب: "هو كتاب جليل أدركنا المشيخة تعظمه وهو جدير بذلك".

وهذان الكتابان عليهما قامت شهرته بصفته حاسبا كبيرا ورياضيا ممتازا، وقد نقل التلخيص إلى اللغة الفرنسية في القرن الماضي بمعرفة الأستاذ أريس تيدمار وطبع غير مرة كما نقلت محتوياته وأطراف من شروحه إلى الفرنسية وغيرها قبل ترجمته كاملا.

ومن شراحه القلصادي وابن هيدور وابن مجدي والهواري والإشبيلي ونظمه ابن غازي في رجزه المعروف المسمى "بالمنية" واختصره ابن الهائم وسمى مختصره "الحاوي"، وعلى هذه الشهرة المطبقة التي أدركها "التلخيص" فقد قيل: إنه اختصره من كتاب أبي زكريا الحصار حتى أن بعضهم يطلق عليه الحصار الصغير، وكذا قيل في شرحه "رفع الحجاب" أنه مأخوذ من كتاب أبي كامل شجاع المصري وغيره، ولا عيب في ذلك فما زال العلماء يأخذ بعضهم عن بعض وقد اختُصر "التلخيص" نفسه كما رأينا ولكن قيمته لم تذهب باختصاره ولا بالقول إنما هو مختصر الحصار فما أعطاه تلك القيمة إلا لشيء زائد على المختصر منه، وقد صرح ابن هيدور بهذا المعنى إذ قال: "وكل ما ألف بعده من المختصرات فمقصر عن درجته وأنى للضالع بإدراك شأو الضليع"، وقال في مدحه نظما:

يا طالبا علم الحســـاب وكنهه وأصـــالة البرهان في الأعمال
فعليك بالتلخيص تدرك جودة في علمه من غير ما إشـــكال

35. كتاب الجبر والمقابلة.

36. مقدمة في أُقليدس.

37. المقالات الأربع.

38. القوانين وضعه لابن القاضي العمراني الذي كان يقضي في زمنه بمراكش.

39. الأصول والمقدمات في صناعة الجبر.

40. جزء في ذوات الأسماء والمنفصلات.

41. القانون في العدد، كراس.

42. جزء في العمل بالرومي سماه الاقتضاب.

43. مختصر في المساحة.

44. جوابات عن مسائل هندسية ومساحية.

45. رسالة على الكرة (لا ندري جغرافية هي أم فلكية).

46. اختصار في الفلاحة.

ت. المؤلفات الفلكية والتنجيمية وما إليها:

47. رسالة في مسائل مختلفة فقهية ونُجُومية منها الرد على من يقول: "إن وقت العصر يعلم بوقوع قرص الشمس على بصر القائم قبالتها" وبيَّن أن ذلك لا يصح في بلد دون بلد ولا زمن دون زمن.

48. منهاج الطالب في تعديل الكواكب، وهو من أشهر تآليفه في هذا العلم وقد نقله الدكتور خوان برنيت إلى الإسبانية ونشره مع الأصل العربي معهد الأبحاث بتطوان سنة 1952م.

49. الزمام المعروف بالمستطيل وهو مختصر المنهاج المذكور.

50. اليَسارة في تعديل السيَّارة، وهو أيضا من تآليفه المشهورة أتى به على وجه التقريب للمبتدئ وجعله دون الكتابين المذكورين.

51. الإشارة في اختصار اليَسارة، اختصر فيه الكتاب الذي قبله مبالغة في التسهيل على الطالب.

52. المنهاج في رؤية الأهلة وهو معروف من كتبه ومتداول بين الفقهاء.

53. المنهاج في تركيب الأزياج.

54. تأليف غريب في أحكام النجوم.

55. ثلاثة مداخل إلى صناعة الأحكام النجومية.

56. مقالة في عمل الإسطرلاب.

57. رسالة في العمل بالصفيحة الزرقالية.

58. رسالة في العمل بالصفيحة الشكازية، وهاتان الرسالتان مشهورتان معروفتان من تأليفه.

59. مختصر رسالة ابن الصفار.

60. جزء في الأنواء فيه صور الكواكب، ويقال فيه أيضا كتاب، والغالب أنه هو الذي نشره معهد الدروس العليا المغربي سنة 1948م مع ترجمة فرنسية للدكتور رينو rinou باسم "رسالة في الأنواء" إذ ليس للمؤلف موضوع ثان في الأنواء على ما نعرف وإن كانت هذه الرسالة المنشورة ليس فيها صور للكواكب كما يذكرون.

61. رسالة في العمل بالميزان المعروف بالكامل المقرب.

62. قانون في معرفة الأوقات بالحساب.

63. قانون في فصول السنة ومت تحتوي عليه.

64. مقالة في الحملاء الستة بجدول.

65. قانون في ترحيل الشمس.

66. كتاب في تسمية الحروف وخاصية وجودها في أوائل سور القرآن.

67. رسالة في طبائع الحروف ومناسبتها للمعاني.

68. موضوع حسن في الأوفاق.

69. رسالة في المناسبات.

70. كلام في عمل الطلسمات.

71. كلام على الصرع الروحاني والصرع المزاجي.

72. كلام على الزجر والفال والكهانة.

73. كلام على خط الرمل.

74. كلام على السيمياء.

75. رد على ابن عبد العظيم الزموري في خلوته ورد على البوني.

76. كلام على خواص الأشياء.

77. كلام في الكيمياء.

ث. المؤلفات الفلسفية:

78. الكليات في المنطق جزء صغير.

79. شرح عليه.

80. جزء صغير في الجدل.

81. شرح عليه.

82. مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليقة.

83. شرحها.

84. عواطف المعارف في الكلام والأصول والتصوف.

85. رسالة في ذكر العلوم الثمانية (لم نعرف المراد بهذه العلوم ووضعنا الرسالة هنا اعتدادا

بمفهوم الفلسفة القديم).

هذه خمسة وثمانون كتابا أو رسالة أو مؤلفا أو موضوعا باختلاف التعبير، يتضح من خلالها أنه كان عالما مشاركا يحب الكتابة والتأليف، وقد وضع الله القبول لبعض مؤلفاته فصارت تدرس وتترجم إلى اللغات الأجنبية وهذه بغية كل عالم رباني يسعى لمرضاة الله من خلال نشره العلم وتثقيف الناس والخروج بهم من براثن الجهل والأمية، وقد استشعر العلماء الذين عرفوه أو درسوا سيرته أو قرؤوا كتبه هذا المجهود الذي بذله في خدمة العلم واعترفوا بفضله ووضَعوه في مقامه الذي يليق به مدحا وتبجيلا وحبا:

- قال العلامة ابن رشيد السبتي كما في "نيل الابتهاج": لم أر عالما بالمغرب إلا رجلين: ابن البنا العددي المراكشي، وابن الشاط بسبتة".
- وقال تلميذه ابن شاطر: "كان ابن البنا ينظر في أحكام النجوم وأخذ في علوم أهل السنة واشتغل بها فكان آخذا في الطريقتين بالحظ الوافر وكان يلازم الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الهزميري".
- وقال أحمد بن القاضي المكناسي في "جذوة الاقتباس": أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي الشهير بابن البنا المراكشي كان والده يحترف بالبنا وحل هو بكنفي العلم والعليا، وأخذ بطرفي الدين والدنيا، كان إمام الحضرة المراكشية عظمته ملوك الدول وتلقته بالمبرة والخول، أخذ من علوم الشريعة حظا وافرا وبلغ في العلوم القديمة الغاية القصوى والرتبة العليا".
- وقال ابن زكريا نقلا عن شيخه أبي جعفر بن صفوان كما في "نيل الابتهاج": وصل شيخنا ابن البنا في علم الهيئة والنجوم غاية لم يلحقها أحد من أهل زمانه، مع اتصافه بطهارة الاعتقاد، واعتبار السنة".
- وقال العباس السملالي كما في "الإعلام": "وقال غيره: كان إماما معظما عند الملوك، أخذ من علوم الشريعة حظا وافرا، وبلغ في العلوم القديمة غاية قصوى ورتبة عليا".

- وقال محمد مخلوف في "شجرة النور": "أبـــو العباس أحمد بن محمد الأزدي المراكشي عـــرف بابن البناء، الإمام العالم المشهور، المتفنن في العلوم، العارف بالتعاليم والهيئة والنجوم، المشهور باتباع السنة النبوية، وبالصلاح والدين المتين".
- وقال محمد الحجوي الثعالبي بعد ذكر اسمه ونسبه: "عرف بابن البنا لحرفة أبيه، إمام فقيه مشارك، متفنن في علوم نقلية وعقلية، مبرز في علم التعاليم من حساب، وهيئة، ونجوم، وفلك، مرحولا إليه من شاسع الأقطار، بلغ في تلك العلوم غاية قصوى ورتبة عليا، وتواليفه سارت مسير الشمس في الآفاق".
- وقال الشيخ عبد الله كنون بعد ذكر اسمه ونسبه: "العالم الرياضي والفلكي الكبير الذي جاوزت شهرته حدود بلاده وأصبح مفخرة للعرب والمسلمين، وكان له تأثير ملحوظ في النهضة العلمية بأوروبا لما أخذ الأوروبيون يقتبسون من الحضارة العربية ويترجمون كتب العرب إلى لغاتهم".
- وقال محمد بن المؤقت في "السعادة الأبدية": "كان رحمه الله إمام معظما عند الملوك، وقورا حسن السيرة، قوي العقل، مهذبا فاضلا، حسن الهيئة، قليل الكلام جدا (...)".

- **شعره:**

لم يعرف ابن البنا رحمه الله بنظم الشعر لأنه ليس مجاله الذي اشتهر به، وبرع فيه، وإن كان يحسن ذلك، ويعرف أوزان الشعر والقوافي، وما يتعلق بعلم العروض، فقد تقدم أنه أخذ علم العروض أيام الطلب عن أبي بكر القالوشي الملقب بالفأر، ونقل عن قاضي الجماعة بمراكش أبو زيد المعروف أنه أراد قراءة العروض عليه وشك في معرفته إياه قال: "فدخلت عليه وهو في الحلقة وأنا قلق من ذلك فسمعته رافعا صوته وهو يقول: "مثل قول العروضيين كذا" وتكلم في العروض فعلمت أنه معي"، فهذا دليل آخر على إجادته لهذا العلم وما يتعلق به، ومع ذلك لم يُحفظ له إلا بعض الأبيات الشعرية القليلة منها قوله يبرر سبب سكوته وعدم كلامه

الكثير إلا في العلم أو فيما ينفع من أمر الدنيا والدين قال:

قصـــدت إلى الوجـازة في كلامي لعلمي بالصـــواب في الاختصـــار
ولـــــم أحذر فهوما دون فهمي ولـكـن خـفـت إزراء الـكـبـار
فشـــأن فحولة العلماء شـــأني وشـــأن البســـط تعليم الصـــغار

وقال في أبيات غزلية طريفة هندسية الكلمات لأن علم الرياضيات كما يطلق عليه في وقتنا قد غلب على تفكيره:

خط الغرام على المشـــوق مثلثـا متســـاوي الأضـــلاع خط مبرز
فـغـدا يـنـادي ظـبـيـة فـتـانـة فـتـكـت بـه عـمـدا بغير تحرز
يا مي إن أرسـلت سـهما صـائبا من قوس طرف مـا لهـا من محرز
تجـدي المتيم وســـط دائرة الهوى وفـؤاده فـيـهـا كـنـقـطـة مـركـز
أضـــحى كخط ليمس يـدرك رقة أو نـقـطـة في الـوهـم لم تـتـمـيـز
وإذا يروم الغنج منـك قتـالـه يـلـفـيـه دون تحـرف وتحـيـز

• وفاته ومكان دفنه:

بعد حياة مليئة بالعلم والعبادة، والتدريس والتأليف توفي عالمنا الرياضي الكبير، والفقيه المفوه، والأستاذ الفذ، والفلكي المبرز ببلاده التي رأى النور فيها مدينة مراكش، وقد اختلف من ترجم له في تاريخ مولده ووفاته على عدة أقوال:

فقيل توفي سنة 721هـ كما في "نيل الابتهاج للتنبكتي"، "والدرر الكامنة"، "والأعلام"، "والبدر الطالع"، "وشجرة النور" إلا أن صاحب هذا الأخير جعل مولده سابقا لأوانه بخمس سنين فقال: "مولده سنة 649هـ وتوفي سنة 721هـ".

وأما صاحب "هدية العارفين" فقد أخر مولده بسنتين فقال: "ولد سنة 656هـ وتوفي سنة 721هـ"، وذكر الشيخ عبد الله كنون في كتاب "الذكريات" أن ابن القاضي في "الجذوة" قال: عام أحد أو ثلاثة وعشرين (أي عام الوفاة) فصدر بالمشهور وعقب بالقول الذي يجعلها

عام 23 إلا أني لم أقف على هذا القول في "جذوة الاقتباس" لابن القاضي وربما أسقطه الناشر، وأثبت المشهور فقط، لأن النسخة التي لدي ليس فيها اسم المحقق، وهذا نص ما في "الجذوة": "توفي عشية يوم السبت السادس من رجب عام أحدا وعشرين وسبعمائة"، وذكر الشيخ كنون كذلك قولا ثالثا عن أبي زكريا السراج أن وفاته كانت عام 24، إلا أن المشهور من أقوال العلماء أن مولد ابن البنا رحمه الله كان عام 654هـ وأن وفاته كانت عام 721هـ وبهذا يكون قد عاش 67 سنة، ودفن بمراكش بخارج باب أغمات عن يسار الخارج منه كما في "جذوة الاقتباس" فرحمه الله رحمة واسعة، وجعل علمه وعمله ومؤلفاته ذخرا له، ونفعه بهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

5. محمد بن رُشيد السبتي (657/721هـ):

- **اسمه ونسبه ومولده:**

هو العالم، الرحالة، الخطيب، المحدث **أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رُشَيد الفهري السبتي، ويلقب من الألقاب المشرقية بمحب الدين»**[1].

---

[1] أنظر ترجمته في:

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: 297/2.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: 199/1.
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 193/2.
- طبقات المفسرين للداودي: 219/2.
- أزهار الرياض في أخبار عياض: 266/3.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: 234/2.
- كتاب وفيات الونشريسي: 22.
- الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: 102/3.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 111/4.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام: 342/4.
- الأعلام قاموس تراجم: 314/6.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 216/1.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 289.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس: 229/2.
- درة الحجال في أسماء الرجال: 96/2.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 144/2.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 612.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة لعبد الله كنون: 389.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون: ص 206.

ولد ابن رشيد بمدينة سبتة سنة 657هـ وفيها بدأت نشأته العلمية إذ درس على الأستاذ **أبي الحسن بن أبي الربيع** وتفقه عليه في العربية وقيد عنه تقييدا حسنا على كتاب سيبويه، وقرأ على الأستاذ **علي بن محمد الكتامي بن الخضار** كتاب الروض الأنف للسهيلي ودرس عليه العروض والآداب وغير ذلك، وسمع البخاري من محدث سبتة الشيخ **عبد العزيز الغافقي**. ثم أخذ عن نظراء هؤلاء الشيوخ الذين ستأتي أسماء بعضهم فتضلع من العربية، واللغة، والعروض، والأدب، والأخبـار، والتواريخ، والقراءة، وشارك في الأصلين، وبرع في الخط، وذكر الرجال وجمع الكتب حتى صارت لـــه صحة النقل والأصالة في الضبط، غير أنه لم يُذكر شيء آخر عن نشأته شأنه شأن كثير من علمـاء المغرب الذين فُقد جزء مهـم من سيرتهم مما يدع القارئ في حيرة وتشتت فكر، والحال كذلك عند ابن رُشيد فالمصادر لم تتطرق لذكر طفولته ولم تتكلم بشيء من التفصيل إلا ابتداء من رحلته المشهورة وقد كانت سنـه إذ ذاك في أواسط العشرينات قال أحمد حدادي في دراسته لرحلة ابن رشيد: "ومن الصعب أن نتتبع تفاصيل أخرى من حياته في هذه الرحلة أو غيرها لأن المصادر لم تسعفنا بشيء من ذلك صراحة

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: ص 443.
- ذيول العبر في خبر من عبر للحافظ الذهبي: 63/4.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 81/4.
- رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة للدكتور عبد الهادي التازي: ص 88.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 602.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة: ص 250.
- رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر لأحمد حدادي: ص 47.

أو إيماءً لذلك نجد أنفسنا أمامه وقد اكتملت سنه، وفي هذه السن تتوق نفسه إلى أداء فريضة الحج وملاقاة علماء بلاد المشرق ليكمل عليهم اختصاصه في علـم الحديث ليحصل على أعالي الأسانيد".

- **رحلته:**

وبالفعل خرج من بلده سبتة قاصدا الحجاز وهو في ريعان شبابه، وكامل نشاطه واستعداده للتعلم والأخذ إذ رحل وعمره ست وعشرون سنة، وكان قد برع في كثير من العلوم والفنون بحيث كان يذاكر ويناظر أهل كل فن، وربما راجع بعض الشيوخ الكبار في بعض المسائل فسلموا له وقبلوا قوله لصحته ووجاهته، وكان ابن رشيد قد تعرف بذي الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم الرندي فاتفقا على السفر للمشرق لأداء الحج فغادر كل منهما بلده فالتقيا بمرسى المرية في أوائل سنة 683هـ وكانت هذه القاعدة باب المشرق تبحر منها المواكب الكبيرة قاصدة مراسي إفريقيا الشمالية ومصر والشام.

- ولا نعلم كثيرا من تفاصيل رحلته بين المرية وتونس كما يقول أحمد حدادي أكان ذلك برا أم بحرا، وما ما بين أيدينا أنه زار على الأقل تلمسان وبجاية وبونة (عنابة).
- وبقي في تونس يتردد على مشايخها ويقيد عنهم الفوائد، وتعد أيامه بها من أكثر الأيام جنيا للفوائد العلمية من حيث الأخبار الأدبية والتاريخية، وقد خص هذه المدينة بثلاثة أجزاء تقريبا من رحلته.
- ومن تونس سافر إلى الإسكندرية ولا ندري كذلك أكان ذلك برا أم بحرا لأن الجزء الذي يعرض لذلك مبتور من أوله أيضا، ولا نعلم كذلك كم بقي فيها بالتحديد.
- ثم انتقل إلى القاهرة ونزل بها يوم 7 رجب 684هـ وكانت تلك الأيام حافلة أيضا بلقاء العلماء الكبار الذين أخذ عنهم وتدارس معهم.
- ثـــم غادر مصر إلى دمشق خاصة والشام عامة وذلك في أواخر شعبان 684هـ وبسبب

فقدان الجزء الرابع فإن تفاصيل رحلته في ذلك غير متوفرة إلا أن أهم ما اجتمع لدينا أنه زار دمشق وحرم الخليل وبيت المقدس ونابلس وبعلبك، وكانت هذه المدن زاخرة بأقطاب الفكر والعلم في كل الفنون، وأما الطريق التي سلكها فهي غامضة، فإذا كان سلك طريق البر فإن الطريق معروفة وهي ما يقرب من 320 ميلا وأما إذا سلك طريق البحر فلا نعلم شيئا عن الثغور التي قصدها.

- ولما وصل إلى الحرمين الشريفين حج في موسم 684هـ واتصل كذلك بشيوخ مكة والمدينة المنورة.
- وفي يوم الأحد 15 ذي الحجة 684هـ ودع ابن رشيد مكة قاصدا المدينة فوصل إليها يوم الخميس 25 ذي الحجة ومنها إلى القباب فالبويب وريع الكارمي وذلك بين 25 محرم وشهر صفر 685هـ إلى أن وصل إلى القاهرة، ثم توجه إلى الإسكندرية، ولم توجهه للمرة الثانية إلا لأخذ كتب كان قد أودعها هناك.
- ثم توجه بعدها إلى طبرق ثم إلى مرسى هوارة من صحراء برقة إلى أن وافى مدينة طرابلس وفيها التقى بأحد وجهائها وأهل العلم فيها ابن عبد السيد، وكان في هذه المرحلة من رحلته رفقة صديقه ابن الحكيم وأبي عثمان سعيد بن جون المراكشي الذي التقى به في بحر الإسكندرية.
- ثم سافر من طرابلس إلى المهدية بعد أن أقام فيها إلى يوم الأربعاء 16 ربيع الآخر 685هـ ثم غادرها إلى سوسة مرورا على الحمامات وعلى مياه ومنازل أخرى لم يذكرها، ومنها إلى تونس التي لقي بها مشايخ مجددا اللقاء ببعضهم.
- وهكذا بقي في تونس إلى أن خرج منها يوم الخميس 14 ربيع الثاني 686هـ، ومنها إلى عنابة ثم إلى مرسى برشك، ومنها إلى المرية التي وافاها يوم الثلاثاء فاتح جمادى الثانية من سنة 686 للهجرة.

- ثم توجه إلى مالقة بعد يوم 6 جمادى الثانية 686هـ حيث بقي فيها أياما زار خلالها مدينة رندة، وقبل أن يصل إلى بلده سبتة يوم 22 جمادى الثانية 686هـ وانتهاء سفره بقي بضعة أيام يتردد بين مالقة ورندة وذلك في عهد عز صديقه ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم.

ولما عاد رحمه الله واستقر به الحال وطاب له المقام ألَّف رحلته الطويلة المسماة "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الكريمة إلى مكة وطيبة" قال عنها لسان الدين بن الخطيب في "الإحاطة": "فيها فنون وضروب من الفوائد العلمية والتاريخية وطرف من الأخبار الحسان والمستندات العوالي والأناشيد وهي ديوان لم يسبق إلى مثله"، ضمنها تراجم معظم الشيوخ الذين أخذ عنهم وما مر به في رحلته تلك، غير أن جزءا مهما منها قد فُقد لسبب ما فضاع بذلك نصيب وافر من الأخبار والفوائد قال الدكتور عبد الهادي التازي: "وإذ ننوه بذلك الجهد نأسف معه إزاء افتقاد الجزء الخامس من الرحلة الذي يختص بموضوع الحرمين الشريفين".

- **شيوخه:**

لقي ابن رشيد في رحلته وفي غيرها أكثر من مائتين وخمسين شيخا، متفرقين في معظم البلاد الإسلامية خاصة تلكمُ التي كانت في طريق الحجاج المغاربة، فهو رحمه الله كان محبا للتعلم، مزاحما بركبه في حلقات الشيوخ، فكلما مر ببلدة أو مدينة أثناء سفره، وسمع فيها عن شيخ يُأخذ عنه العلم، أو جامع يضم حلقات للدرس إلا سارع للأخذ والسماع، فتنوعت بذلك بلدان شيوخ ابن رشيد، واختلفت مذاهبهم وطبائعهم، وتباينت مستوياتهم الفكرية والثقافية، الشيء الذي جعل ثقافته تتنوع لتنوع مشاربها، وتتسم بالموسوعية والشمول لكثرة أخذها وحفظها، وهذا يتضح للعيان من خلال مؤلفاته فهي تتسم بالتنوع والاختلاف في العلوم والفنون، ولم يقتصر رحمه الله على التأليف في فن محدد أو علم معين بل كان مشاركا في كثير منها، وفيما يلي أسماء لبعض شيوخه والمدن أو البلدان التي كانوا يدرسون فيها:

المدينة	اسم الشيخ	المدينة	اسم الشيخ
سبتة	عبيد الله بن أبي الربيع	دمشق	غازي الحلاوي
	محمد بن عبد الملك المراكشي		محمد بن خالد الحموي
	علي بن محمد الخضار الكتامي		القاسم بن محمد البرزالي
	أحمد بن إبراهيم بن الزبير	القدس	عبد المنعم بن يحي النابلسي
	محمد بن عمر بن الدراج		علي بن الافتخار المقدسي
	يوسف بن علي الطرطوشي		يوسف بن صلاح الدين الحنفي
	محمد بن خميس التلمساني	مكة	أبو بكر بن خليل
	خلف بن عبد العزيز القبتوري		عبد الصمد بن عساكر الدمشقي
	محمد بن أبي القاسم الحسني		عبد الله بن سليمان اللقاني
	إبراهيم بن أحمد الغافقي		أحمد بن عبد الله الطبري
	مالك بن المرحل		عبد الله بن محمد المرجاني
	القاسم بن عبد الله بن الشاط		محمد بن أبي العسقلاني
مراكش	أحمد بن البناء المراكشي		أحمد بن عثمان الشافعي
	محمد بن أحمد القللوسي	المدينة	علي بن إبراهيم التيجاني
فاس	سارة الحلبية		إبراهيم بن محمد الفاسي
بعلبك	محمد بن عبد الملك اليونيني		يوسف بن الشقاري
المرية	محمد بن محمد الصائغ	تلمسان	محمد بن عبد الله بن خطاب
	أحمد بن عبد الله بن سلبطور	طرابلس	عبد الوهاب بن عبد السيد
مالقة	أبو الحسين بن قراقش		منصور بن أحمد المشذالي
غرناطة	إبراهيم بن أحمد بن فرح	تونس	صالح بن محمد بن شوشن
	القاسم بن محمد الهوزني		أحمد بن محمد الأشعري
	محمد بن عبد الله بن جزي		محمد بن أحمد الكلاعي
بجاية	عبد العزيز بن علي كحيلا		أحمد بن يوسف الفهري اللبلبي
	منصور بن أحمد المشذالي		أحمد بن يوسف السلمي

الإسكندرية	أبو بكر بن أحمد التميمي	**القاهرة**	أحمد بن محمد ابن الظاهري
	أحمد بن أبي بكر الزبيدي		عبد الله بن محمد التقي عبيد
	عبد الله بن خير القرشي		محمد بن إسماعيل الأنماطي
	عطية بن ساجد بن أبي الحسن		مسعود بن أحمد الحارثي
مصر	محمد بن إبراهيم بن النحاس	**نابلس**	علي الحنبلي
	محمد بن عبد المنعم الخيمي	**رندة**	علي بن يوسف السفاح
	محمد بن الحسن القسطلاني		موسى بن عبد الله بن عاصم
وغيرهم كثير ويوجد بعضهم في غير المدن التي ذكرنا.			

- **مهامه وجلوسه للتدريس وتلاميذه:**

لما عاد ابن رشيد من رحلته التي استمرت ثلاث سنوات أخذ فيها عن علماء تلك الأمصار التي زارها وأقام فيها كان قد أضاف إلى ما أخذه في المغرب من العلم شيئا كبيرا، فاختار مدينته سبتة ليستقر فيها وبدأ يفيد الناس بعد أن كان يستفيد، وبقي في سبتة خمس سنوات كاملة، غير أن الرجل كان رحالة أَلِفَ المدن الكبيرة والعواصم الفريدة فضاق ببلدته الصغيرة كما يقول عبد الله كنون، فأرسل إليه صديق رحلته الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندي رسالة يدعوه فيها أن يلحق به في غرناطة حاضرة العلم والعلماء آنذاك، فامتثل غير متردد، وارتحل عن بلدته.

ولما قدم غرناطة سنة 692هـ بدأ يعقد فيها مجالس للخاص والعام يقرئ بها فنونا من العلم كما يقول ابن الخطيب، وقُدِّم للخطابة والصلاة بجامعها الأعظم، وقد عرف بإجادته فن الخطابة حتى وصف بالخطيب ابن رُشيد، ومما ذكر من قوة حفظه، وسرعة بديهته، وقوة جنانه، وانقياد لسانه لبيانه كما يقول ابن الخطيب ما حصل له فوق منبر الجمعة بغرناطة: إذ قعد يوما على المنبر وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين، وهمَّ آخر بإشعاره وتنبيهه، وكلمه آخر، فلم يثنه ذلك عما

شرع فيه وقال بديهة: "أيها الناس رحمكم الله، إن الواجب لا يبطله المندوب، وإن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم وانتبهوا وتذكروا قول الله تعالى ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾، وقد روينا عنه ﷺ أنه قال: «**من قال لأخيه والإمام يخطب أنصت فقد لغى ومن لغى فلا جمعة له**» جعلني الله وإياكم ممن علم فعمل، وعمل فقبل، وأخلص فتخلص" ثم نزل وتقدم للصلاة. والقصة في "الإحاطة".

وكان له في هذا الجامع مجلس بديع يشرح فيه صحيح البخاري أحسن شرح، وأمتع كلام، وأنفع تدريس، قال ابن احجر في "الدرر الكامنة": "واستمر ابن رشيد في الجامع يشرح من البخاري حديثين يتكلم على سندهما ومتنهما أتقن كلام"، وأثناء مكوثه هناك شاءت الأقدار أن يتوفى أبو جعفر بن الزبير وهو قاضي الأنكحة بغرناطة فأضيفت هذه المهمة لابن رشيد فكان كما قال القائل من باب إعطاء القوس باريها وإسكان الدار بانيها.

محنته وعودته إلى المغرب:

غير أن دوام الحال من المحال إذ تعرض لمحنة كانت ستودي بحياته لولا الألطاف الإلهية لما قُتل صديقه الوزير أبو عبد الله بن الحكيم وفي ذلك يقول لسان الدين بن الخطيب: "تعرض إليه قوم يوم قتل صديقه أبي عبد الله الحكيم بإذاءة قبيحة، وأسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجر وترهم القتيل، فتخلص ولا تسأل كيف وأزمع الرحيل فلم يلبث بعد ذلك". ولحق بالمغرب عزيز الجانب، محبوب السيرة، ممدودة الأيادي إليه فرحا وترحيبا، فحلَّ بمدينة فاس فخيره السلطان أبو سعيد المريني الأكبر ابن السلطان يعقوب المنصور المريني وكان محبا للعلماء بين المكوث عنده أو التحول إلى أي مدينة يختارها، فاختار التحول إلى مراكش إذ كان قد سكنها قبل واستحسنها، فورد عليها وقُدم للخطبة والصلاة بجامعها العتيق، وأقبل فيها على تدريس الحديث النبوي وحرز الأماني للشاطبي في القراءات، غير أن سلطان البلاد

أحب الاستفادة من علمه وأراد أن يستأثر به في مدينته دون غيرها، فاستدعاه إلى حضرة فاس مرة أخرى فعاد إليها وصار من خواص السلطان، وجلس للتدريس بجامع القرويين، وقد كانت مهمة التدريس في القرويين من المهام السامية آنذاك لهذا كان الأمر بالجلوس لا يصدر إلا عن السلطان أو ولي عهده.

وبتقلبه في هذه المهام المتنوعة والكثيرة كان قد أخذ عنه ثلة من الطلبة موزعين بين المغرب والأندلس، لأنه جلس للتدريس كما سبق في غرناطة وفي مراكش وفاس وغيرها من المدن، لذلك فقد أخذ عنه الكثير من الناس عُرف بعضهم وذكر علماء التراجم أسماءهم، وغُيب بعضهم وطالته أيدي النسيان، ومن أشهر من تتلمذ عليه رحمه الله:

إبراهيم بن أبي العاصي، والقاضي **إبراهيم التسولي التازي المالكي**، و**أحمد بن تميم اليفراني المكناسي**، والقاضي **أحمد بن عتيق بن خيرون الأزدي الغرناطي** المعروف بالشاطبي، و**أحمد بن محمد بن جُرَي**، و**أحمد بن محمد بن مالك المعافري الغرناطي**، و**ابن شعيب الجزنائي**، و**أبو العباس بن يربوع**، و**أبو العباس الطنجالي**، و**أحمد بن محمد الزاواوي أبو العباس** شيخ القراء، و**أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي**، و **عبد المهيمن الخضرمي**، و**عبد الله أحمد بن مسلم القصري السبتي**، و**عبد الله أحمد بن أبي العباس بن الملجوم**، و**عتيق بن مقدم اللخمي**، و**علي بن عتيق القرشي**، و**عمر بن أحمد بن عمر القرشي العبدري**، و**أبو عبد الله الآيلي العبدري التلمساني**، و**محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي**، و**محمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني** السبتي الدار الغرناطي الاستيطان، وغيرهم كثير.

- **مؤلفاته:**

تنوعت مؤلفات ابن رشيد رحمه الله تنوعا ينبئ عن شخصية علمية راسخة وتوسع في العلم وتبحر في موضوعاته وفنونه، فقد ألف رحمه الله في الحديث واتجه إلى أصعب مـا فيه وهو

الإسناد، وألف في البلاغة، وفي النحو، والتراجم، والنقد، والفقه، والعروض، والعقائد، وغير ذلك، وتنوعت كتبه بين الطويلة والقصيرة، والكاملة والتي لـم يسعفه الوقت لإكمالها، فجاءت مكتبته زاخرة بفنون وعلوم يقف القارئ إعجابا بنبوغ صاحبها وتمكنه، وكتب الله القبول لبعض مؤلفاته فاهتم العلماء بدراستها وتحقيقها وإخراجها إلى العلن من صدور المخطوطات ورفوف المكتبات، ومما خلفه من تراث علمي يشهد بتفوقه حوالي العشرين مؤلفا ذكرها أحمد حدادي في دراسته لرحلة ابن رشيد وهي:

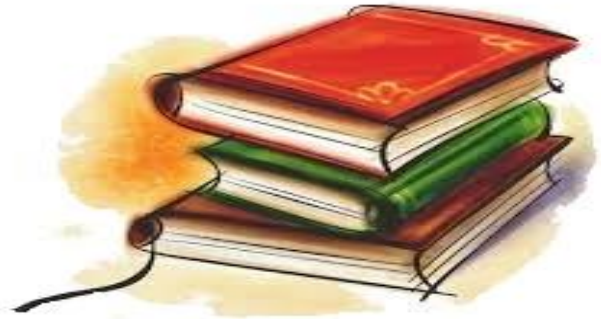

1. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الكريمة إلى مكة وطيبة قال عنها ابن الخطيب في الإحاطة: فيهـا فنون وضروب من الفوائد العلمية والتاريخية وطرف من الأخبار الحسان والمستندات العوالـي والأناشيد وهي ديوان لم يسبق إلى مثله".
2. إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح.
3. السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن.
4. ترجمان التراجم في إبداء مناسبة تراجم البخاري غير أنه لم يكمله.
5. المقدمة المعرفة في علو المسافة والصفة.
6. إيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب.
7. الصراط السوي في اتصال سماع جامع الترمذي.
8. جزء جمع فيه حكم رؤية هلال شوال ورمضان.
9. استدراكات كثيرة على تراجم كتاب البخاري لناصر الدين ابن المنير أغفلها أو استشكلها فتركها فنازعه ابن رشيد في بعض مطابقاته التي أبدى فيها ما يسلمه المنصف ولا ينكره

إلا المتعسف.

10. كتاب الأربعين حديثا.

11. إماطة الأذية الناشئة من سباطة الشوذية.

12. أحكام التأسيس في أحكام التجنيس.

13. إيراد المرتع المريع لرائد التسجيع والترصيع أو الإضاءات والإنارات في البديع.

14. حكم الاستعارة.

15. وصل الفوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي.

16. جزء مختصر في العروض.

17. تقييد على كتاب سيبويه وقد كتبه أيام قراءته الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع بسبتة.

18. تلخيص القوانين في النحو.

19. برنامج أبي الحسين بن أبي الربيع وهو تاريخ لدراسة وشيوخ شيخه أبي الحسين هذا.

20. والاستدعاء فيه ذكر لكثير من شيوخه مختصرا إياه من الرحلة.

21. وله أيضا خطب وقصائد كثيرة.

- **شعره:**

كان ابن رشيد رحمه الله مكثرا من الشعر مُجيدا لبنائه غير أنه لم يعرف له ديوان شعري كامل، وما تضمنته كتبه وما أورده العلماء منسوبا لـــه يتضح من خلاله تنوع موضوعات وأغراض شعره بين الشوق والرثاء والمدح وغير ذلك، ومما قاله رحمه الله لما دخل دار الحديث الأشرفية بدمشق لرؤية النعل الكريمة للمصطفى ﷺ وتقبيلها قال: حضرتني هذه الأبيات فقلت:

هنيئـا لعيني أن رأت نعـل أحمـد ... فيا سـعد جدي قد ظفرت بمقصـدي

وقبلتهـا أشـفي الغليـل فزادني ... فيـا عجبـا زاد الظمـا عنـد موردي

فـلـلـه ذاك الـلـثـم لهـو ألـد مـن ... لمـى شـفـة لمـيـا وخـذ مـورد

ولله ذاك اليـوم عـيـدا ومـعـلـمـا ... بـتـاريخـه أرخـت مـولـد أسـعـد

عليـه صـلاة نشـرهـا طيـب كمـا ... يحـب ويـرضـى ربـنـا لمحـمـد

وقال في مزدلفة:

ما اســـم لأرض فريـد وإن تشـــأ فهو جمع
وفيـه للفعـل وقف وفيـه للحرف رفع
وفيـه للجمع صـــرف وفيـه للصـــرف منع

وقال شوقا إلى الحج بعدما دخلت أشهره:

يا أشـــهر الحج قد هيجت لوعاتي فعبرتي لم تطق نفعا لغلاتي
يا ليلة ألال قد ظفرت بها كأنني من ســـروري في منامات

وقال كذلك:

وســـقى الله عهودا بمنى أظفرتنا بالمنى ســـكب العهود
كم صـــفا موردنا في مروة والصـــفا بين حدود وصـــعود
كم لنا من شـــربة في زمزم بردت نيران قلبي ببرود

وقال في المدينة وقد اشتد شوقه إليها:

إن ســـرت من طيبة لي نســـمة أخمدت ما بفؤادي من وقود
بلدة من حلها منزلة حل بالبلدة أو ســـعد الســـعود

وله في المصافحة:

صـــافحتهم متبركا بأكفهم إذ صـــافحوا كفا علي كريمه
ولربما بلغ المحب تعللا آثارهم ويعد ذاك غنيمه

وقال وقد سمع ما هيج شوقه من النداء على سفر بعض المراكب إلى بلاد المشرق:

أهوى الحجاز وإن لم يمس لي وطنا ولم يكن أهله أهلي وجيراني
طاف السقاة على شرب الهوى فدعوا باسمي فلباهم دمعي وأشـــجاني
قالوا الشـــراب فقلت الدمع أغناني قالوا الندامى فقلت الوجد ندماني
قالوا النهوض فقلت العدم أقعدني قالوا التصـــبر قلت الشـــوق أفناني
كـــــم ذا يطوف فيلقاني لقى ولا خمر إلا دمعي القاني

وقال يتحدث عن خلقه وطبعه وكرم نفسه:

عاهدتهم أن أوفي والصدق من شيمي ... أن المحب صدوق في المودات
فهمت سر معانيهم فهمت به ... لما سقيت بكاسات المصافاة
أروم إضماره والحال تظهره ... نور الزجاجة لا يخفى بمشكاة

وقال في سبتة سنة 686هـ كما ذكر لسان الدين في "الإحاطة":

أقول إذا هب النسيم المعطر ... لعل بشيرا باللقاء يبشر
وعالي الصبا مرت على ربع جيرتي ... فعن طيبهم عرف النسيم يعبر
وأذكر أوقاتي بسلمى وبالحمى ... فتذكو لظى في أضلعي حين أذكر
ربوع يود المسك طيب ترابها ... ويهوى حصى فيها عقيق وجوهر
بها جيرة لا يخفرون بذمة ... هم لموالـيهم جمال ومفخر
إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالهم ... تغار لباهي نورهم فتغوّر

إلى آخر ما قاله في قصيدته التي يمدح فيها مدينته والتي تجاوزت الخمسين بيتا نقلها صاحب "الإحاطة"، وقال يرثي ابنا نجيبا له فقده في غرناطة أيام مقامه بها:

شباب ثوى شابت عليه المفارق ... وغصن ذوى تاقت إليه الحدائق
على حين راق الناظرين بسوقه ... رمته سهام للعيون رواشق
فما أخطأت منه الفؤاد بعمدها ... فلا أبصرت تلك العيون الروانق
وحين تدانى للكمال هلاله ... ألمَّ به نقص وجدت مواحق
إلى الله أشكو فهو يُشكى نوازعا ... عظاما سطاها للعظام عوارق
ولا مثل فقدان البنيّ فجيعة ... وإن طال ما لجت وجلَّت بوائق
محمد إن الصبر صبر وعلقم ... على أنه حلو المثوبة سابق
فإن جزعا فالله للعبد عاذر ... وإن جلدا فالوعد لله صادق
وتا الله ما لي بعد عيشك لذة ... ولا راقني مرأى لعيني رائق...

- **ثناء العلماء عليه:**

من الأمور التي تبين عظمة العالم وعلمه ورسوخه هي ثناء من مثله عليه، وقد حظي ابن رشيد بثناء كبير وتعظيم شديد في حياته وبعد موته، ففي حياته كان محبوبا ومعظما من الملوك

والوزراء والعامة من الناس، وبعد موته بقي محترما بأقوال العلماء الذين درسوا سيرته وقرأوا كتبه وترجموا لحياته:

- قـــال فيه لسان الدين بن الخطيب: "الخطيب المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسنـــاد، كان رحمه الله تعالى فريد دهره عدالة وجلالة وحفظا وأدبا وسمتا وهديا، واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعته الحديث، قيِّما عليها، بصيرا بها، محققا فيها، ذاكرا فيها للرجال، جماعة للكتب، محافظا على الطريقة، مضطلعا بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيها أصيل النظر، ذاكرا للتفسير، ريان من الأدب، حافظا للأخبار والتواريخ، مشاركا في الأصلين، عارفا بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، متجملا كلف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة، كهفا لأصناف الطلبة قدم على غرناطة في وزارة صديقه ورفيق طريقه في حجه وتشريقه أبي عبد الله بن الحكيم فلقي برا، وتقدم للخطابة بالمسجد الأعظم، ونفع الله لديه بشفاعته المبذولة طائفة من خلقه، وانصرف إثر مقتله إلى العدوة، فاستقر بمدينة فاس معظما عند الملوك والخاصة مقدور القدر عندهم".
- وقال فيه الحافظ الذهبي في "ذيول العبر": "عالم المغرب الحافظ العلامة".
- وقال ابن الجزري كما في "غاية النهاية في طبقات القراء": "خطيب غرناطة ومقرئها وصاحب الرحلة".
- وقال الكتاني في "السلوة": "خطيب غرناطة الشيخ الإمام الكبير الفقيه المحدث الشهير الحاج الرحال الحافظ المتبحر (...) وصفه ابن خلدون في العبر بـ: كبير مشيخة المغرب وسيد أهله شيخ المحدثين الرحالة".
- وقال عبد الله كنون في "النبوغ": "كان محدثا مسندا متضلعا بالنحو واللغة والعروض ريان من الأدب حافظا للأخبار والتواريخ والسير مشاركا في الأصلين، عارفا بالقراءات السبع

خطيبا مبدعا، كثير الترحال والتجوال في البلاد".

- وقال مخلوف في "شجرة النور": "الإمام الخطيب الذي له في كل فن أوفى نصيب، المحدث المستبحر في علوم الإسناد والرواية مع تمكن من الدراية العالم الحافظ النظار الرحلة المتحلي بالوقار وبالحديث كان اشتغاله وفيه عظم احتفاله".

- **وفاته ومكان دفنه:**

لما استدعاه السلطان إلى فاس كما سبق امتثل لأمره وانتقل للعيش بمدينة فاس، فأمضى بها بقية عمره معظما عند الخاصة والعامة، وفي الثالث والعشرين من شهر محرم عام 721هـ توفي ابن رشيد رحمه الله عن أربع وستين سنة، ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الجنة، وأصله مطرح الجِلَّة لما كانت تضمُّه من مراقد العلماء والفضلاء والصالحين إلا أنه تم تصحيفه فصار مطرح الجنة، وهو تفاؤل حسن كما قال الشيخ عبد الله كنون، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر لنا وله إنه ولي ذلك والقادر عليه.

6. محمد بن داود الشهير بابن آجروم (672/723هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو **أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المشهور بابن آجروم»**[1]، وتعني في لغة البربر الفقير الصوفي قاله غير واحد ممن ترجم له.

أكاد أجزم جزما قاطعا أن هذا الرجل سمع به كل طلاب العلم في المغرب مهما كانت درجتهم، فمقدمته في النحو المعروفة بالآجرومية يكاد صيتها وشهرتها بالمغرب يقارب صيت

---

[1] أنظر ترجمته في:
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: 238/1.
- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان لابن الأحمر: ص 417.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: 112/8.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 145/2.
- درة الحجال في أسماء الرجال: 109/2.
- سلوة الأنفاس ومحاثة الأكياس: 131/2.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 217/1.
- الأعلام قاموس تراجم للزركلي: 33/7.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة لعبد الله كنون: ص 422.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 210.
- فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني للعلامة المقرئ محمد بن داود الصنهاجي المشهور بابن آجروم تحقيق عبد الرحيم النبولسي: 16/1.
- القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: ص 61،31.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش للدكتور عبد الهادي حميتو: 355/2.
- المغرب عبر التاريخ للأستاذ إبراهيم حركات: 148/2.
- معلمة المغرب: ص 143.
- معجم المطبوعات المغربية للقيطوني: ص 7.
- شرح متن الآجرومية لحسن بن علي الكفراوي: ص 7.
- ابن آجروم وموقفه من الاتجاهات النحوية: ص 3.

وشهرة كتابي البخاري ومسلم في كل البقاع الإسلامية، لأن كل مهتم بعلوم الشريعة عندنا لابد له أن يكون قد درسها، أو حفظها، أو قرأها واطلع عليها، أو على الأقل سمع اسمها وعرف مجالها، فهي مشهورة شهرة قفا نبك بين الشعراء، قال الشيخ محمد الطنطاوي: "ذاع فضله في علوم كثيرة إلا أنه غلبت عليه القراءات والنحو، ولـم يؤثر عليه في النحو إلا مقدمتـــه التي طبقت شهرتها الآفاق، وترجمت إلى عدة لغات، وتناولها بالتعليق عليها كثير من الأعلام".

ولكن رغم هذه الشهرة المطبقة التي تجاوزت حدود المغرب لا يعرف كثير من الناس أخبار مؤلف هذه المقدمة إلا القليل ممن اهتم بالتنقيب والبحث عن سيرته، ومن فَعَل ذلك واجهته معضلة أخرى وهي قلة المعلومات عن حياته وشيوخه وإيجازها، وهذا مما يلام عليه علماء تراجمنا قال الدكتور عبد الرحيم النبولسي: "وهذا مما يتهم به مؤرخونا من تغافلهم عن مثل هؤلاء الأساطين الذين لم يفتقدوا في درب من دروب المعارف لطول باعهم، وعلو كعبهم، وفوح شذاهم في أطراف الخافقين".

- **مولده ودراسته وشيوخه:**

أصل ابن آجروم من صنهاجة عمل بلدة صفرو، لكنه ولد بفاس بعدوة الأندلس منها عام 672هـ وهي السنة التي توفي فيها ابن مالك الإمام النحوي المشهور صاحب الألفية فقيل في هذا الاقتران العجيب: "توفي نحوي وولد نحوي"، وكما سبق الذكر لا يعرف شيء عن نشأته أو شيوخه المغاربة، ولكن الغالب أنه حفظ القرآن في كتاتيب فاس وأتقن قراءته وتجويده، ثم انتقل بعد ذلك إلى حفظ المتون النحوية والفقهية والأصولية مما يعتبر من مفاتح

العلوم لصبي صغير، ولما أتم ذلك تجده طاف على علماء القرويين ينهل من معين علمائها ويتشرب أخلاقهم قبل علومهم قال عبد الله كنون: "ولقد نشأ المترجم ودرس بفاس طبعا، وإن كنا لا نعرف شيئا عن نشأته ولا عن دراسته حتى شيوخه الذين أخذ عنهم لم يذكرهم أحد ما عدا أبا حيان".

ويذكر المترجمون أنه حج في سنة من السنوات لكن أخبار هذه الحجة فقدت كما فقد كثير من مراحل نشأته، والذي تم حفظه منها أنه تتلمذ في هذه الرحلة على عالم نحوي كبير وهو: **الإمام محمد بن يوسف أبو حيان النحوي** المتوفى سنة 745هـ صاحب التفسير الفريد "البحر المحيط" أخذ عنه ابن آجروم في القاهرة بمصر لما كان في طريقه للحج، وربما قد أخذ عن غيره، لأن ثلة من علماء المغرب ممن كانوا يرحلون إلى المشرق للحج كان معظمهم يزاوج بين الدراسة والسماع والاستزادة من العلم والحج، قال الدكتور عبد الهادي حميتو: "هذا إلى جانب أخذه في رحلته المشرقية عن أبي حيان وربما عن غيره مما يدل على أنه قد زاحم بالمناكب في حلقات العلم، ولقي أكابر الشيوخ في رحلات عدة ذهبت أخبارها بذهاب أخباره وكثير من آثاره".

ولكن ولله الحمد تم اكتشاف ثلاثة من شيوخه المغاربة، وذلك في السنوات القليلة الماضية على يد علماء معاصرين حفظهم الله ونفع بهم وهما: الدكتور عبد الهادي حميتو، والدكتور عبد الرحيم النبولسي فقد ذكرا في كتابيهما ثلاثة علماء آخرين غير أبا حيان ذكرهم ابن آجروم رحمه الله في كتابه "فرائد المعاني" وهم:

1. **الإمام محمد بن القصاب المكنى بأبي عبد الله** قال عنه ابن الجزري: "محمد بن علي بن عبد الحق أبو عبد الله الأنصاري الفاسي يعرف بابن القصاب مقرئ مصدر كامل"، قال ابن آجروم في كتابه "فرائد المعاني": وزاد شيخنا **أبو عبد الله بن القصاب** ثلاثة ألفاظ لم أقف عليها لغيره (...)"، وذكر أيضا في باب الهمزتين من كلمة مذهب شيخه في الفصل

لقالون بالمد مثل أ أنزل وأ ألقي مصدرا لذكره بقوله: "وكان شيخنا أبو عبد الله محمد بن القصاب (...)".

2. **أبو القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب القيسي الضرير الخضراوي** نسبة إلى الجزيرة الخضراء علامة المغرب كما وصفه ابن الجزري، قال ابن آجروم في "فرائد المعاني" عند الكلام عن مسألة من مسائله: "وقد سألت عن ذلك شيخنا **أبا القاسم بن الطيب الضرير** فقال ما هذا نصه (...)".

3. **عبد الملك بن موسى أبو مروان** هذا الشيخ تفرد بذكره الأستاذ النبولسي، ذكره ابن آجروم ووسمه بلفظ شيخنا في أثناء شرحه لقول الشاطبي:

والأخرى كمد عند ورش وقنبل وقد قيل محض المد عنه تبدلا

قال: "وكان شيخنا **أبو مروان عبد الملك بن موسى** (...)".

- **تدريسه وتلاميذه:**

بعد أن تعلم ابن آجروم وأخذ من العلم ما يؤهله لأن ينتصب للتدريس فعل، فجلس لنشر علمه بجامع الأندلس بفاس على ما في دائرة المعارف الإسلامية ولا غرو فقد كانت سكناه في عدوة الأندلس كما قال عبد الله كنون، في حين ذكرت "معلمة المغرب" أنه جلس للتدريس في جامع القرويين بفاس فدرس العلوم القرآنية وعلوم اللغة العربية، وقد ذكر ابن القاضي في "الجذوة" أنه كان من مؤدبي مدينة فاس، وهذا اللفظ إذا أطلق يراد به معلم الصبيان وذلك لا يزيده إلا رفعة ومكانة كما قال عبد الله كنون رحمه الله الذي يضيف: "وقد كان هذا سر نجاح أسلافنا وبلوغهم إلى أقصى الغايات في العلوم والمعارف حيث كانوا لا يكلون تعليم أبنائهم إلا إلى كبار الأساتيذ الراسخين في العلم فسرعان ما تظهر نجابتهم ويبدو تحصيلهم، ولما صار التعليم حرفة يتعاطاها كلمن هب ودب وصار أنصاف المتعلمين يعدون أنفسهم من كبار الأساتيذ قل التحصيل وانعدم النفع وصارت البلاد إلى ما هي عليه من توطن الجهالة

وغربة العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله".

وعلى كل فسواء درَّس بجامع الأندلس أو بجامع القرويين، وسواء أخذ عنه الصبيان أو طلاب العلم الذين ينبغي التعمق معهم في العلوم، فقد انتفع به جمع غفير، وتتلمذ على يديه ثلة من الناس، سواء المباشرين منهم أو غير المباشرين، فأما المباشرين فالذين جلسوا بين يديه، وسمعوا كلامه، وخبروا أحواله، وأخذوا من أخلاقه وعلمه، وأما غير المباشرين فعَدِّد ولا تتوقف فالذين انتفعوا بكتبه خاصة مقدمته النحوية أعداد لا حصر لها، وهذا من جميل صنع الله به أن جعل القبول لها على مدار السنين والأعوام، فأما المباشرين فقد أخذ عنه عدد لا يستهان به نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

ابنه محمد **أبو المكارم المدعو منديل** قال فيه ابن الأحمر: "شيخنا الفقيه النحوي المقرئ محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي يكنى أبا عبد الله ويدعى بمنديل ويعرف بابن آجروم"، وابنه الثاني **أبو محمد عبد الله بن محمد** قال الكتاني في "سلوة الأنفاس": "وممن أخذ عنه أيضا ولداه: الأستاذ الأثير، العالم الكبير أبو محمد عبد الله وبرسمه وضع والده المذكور المقدمة المذكورة فنفعه الله بها وانتفع بها أيضا كل من قرأها (...)"، **ومحمد بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الخراز المغربي الأموي الشريشي** إمام مقرئ له نظم لطيف أتى فيه بزوائد على رائية الشاطبي الموسومة بالعقلية، والمقنع من التنزيل لأبي داود وغيره سماه "مورد الظمآن في حكم رسم القرآن"، **ومحمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني** قال فيه لسان الدين ابن الخطيب في "الإحاطة": "كان رحمه الله من أهل العلم والدين والفضل، كثير الحياء (...) له تحقيق بضبط القراءات والقيام عليها، وعناية بعلم العربية (...)"، **وأبو محمد عبد الله بن عمر الوانغيلي الضرير** قال فيه الكتاني: "وأخذ عنه [أي ابن آجروم] جماعة من الأئمة بفاس (...) والأستاذ الفقيه النحوي الصالح أبو محمد عبد الله بن عمر الوانغيلي الضرير"، **وأبو محمد بن مسلم القصري السبتي، وأبو عبد الله بن عمر اللخمي،**

وأبو العباس أحمد بن محمد بن شعيب الجزنائي، وأبو عبد الله محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، وأبو العباس أحمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي، وغيرهم كثير.

• كتبه ومؤلفاته:

كان ابن آجروم رحمه الله فحلا من فحول القراءات والنحو، غير أن شهرته كانت في النحو، ولا يعرف كثير من الناس نبوغه في علم القراءات إلا الخواص ممن اهتم بكتبه شرحا أو دراسة أو قراءة، وقد ألف في كلا العلمين كتبا تبين مدى روعة علمائنا المغاربة الذين نسينا أخبارهم أو تناسيناها، وفقدنا كتبهم، وجهلنا أحوالهم، ومما ألفه رحمه الله من مؤلفات قيمة، وحفظها لنا ربنا عز وجل من عوامل الفقد، ويسر لها علماء حققوها وأخرجوها من صفحات المخطوطات ورفوف المكتبات للعلن ما يلي:

1. البارع في قراءة نافع: وهو نظم رجزي عني فيه ناظمه بنشر الخلف القرائي بين ورش وقالون عن نافع المدني أصولا وفرشا، نظمه سنة 696هـ، يقول في مستهله:

يقول من عفوَ الإله راجي ... وعونه محمد الصنهاجي
اللهَ أحمد الذي هدانا ... ومنَّ أن علمنا القرآنا
وخصنا بأكرم البريئة ... محمد وخاتم النبوءة
صلى عليه الله من رسول ... وصحبه طرا ذوي التفضيل
وبعد فالقصد بهذا الرجز ... مقرأ نافع بلفظ موجز
ورش وقالون على طريق ... عثمان الداني ذي التحقيق

2. التبصير في نظم التيسير: وهو نظم رجزي كذلك نظم فيه "التيسير" لأبي عمرو الداني.
3. ألفات الوصل: وهو نظم رجزي نظم فيه ألفات الوصل في الأسماء والأفعال، قال في مستهله:

يا ســـائلا عن ألفات الوصـــل في الحرف أو في الاسم أو في الفعل

الألفـات قـل عـلى قســـمين قطع ووصـــل حين دون مين

4. المقدمة الآجرومية: وهي من أشهر مؤلفاته بقيت تدرس قرونا عديدة بالمغرب كما قال الأستاذ إبراهيم حركات بدأها بأقسام الكلام، ثم تحدث عن أنواع الإعراب، ومحل كل منها، ثم عما يعرب بالحركات، وما يعرب بالحروف، وأفرد بعد ذلك بابا للأفعال وأنواعها، ثم الأسماء المرفوعة على اختلافها كالفاعل والمبتدأ والخبر، وأتبعه بالمنصوبات، وختم بالمخفوضات، وأسلوبه بسيط للغاية يبدأه بالقاعدة، ثم يمثل لها حتى ترسخ الأمثلة عند حفظ القاعدة، ولا يذكر خلافا ولا تفاصيل ثانوية، واهتم بما يخص الكلمة من حيث تغيير إعرابها، وهذا من أهم مميزات النحو العربي، وقد عرف العلماء من خلالها مذهبه في النحو قال السيوطي: "وهنا شيء آخر وهو أنا استفدنا من مقدمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو لأنه عبر بالخفض وهو عبارتهم، وقال: الأمر المجزوم وهو ظاهر في أنه معرب وهو رأيهم، وذكر في الجوازم "كيفما" والجزم بها رأيهم وأنكره البصريون"، وقد جعل الله القبول لهذه المقدمة فانتفع بها خلق كثير، وقد نقل الكتاني وغيره أنه ألفها تجاه بيت الله الحرام في حجته التي فقدت أخباره فيها، ولم يثبت غير أنه تتلمذ فيها على أبي حيان، قال في مقدمتها:

أنواع الكلام: الكلام: هو اللفظ المركب المفيد بالوضع، وأقسامه ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى: **فالاسم**: يعرف بالخفض والتنوين، ودخول الألف واللام، وحروف الخفض وهي: من، وإلى، وعن، وعلى، وفي، ورب، والباء، والكاف، واللام، وحروف القسم وهي: الواو، والباء، والتاء. **والفعل**: يعرف بقد، والسين، وسوف، وتاء التأنيث الساكنة. **والحرف**: ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل.

وقد اهتم بها العلماء جدا فشرحوها شروحا كثيرة أكتفي بذكر بعضها:

- ✓ شرح متن الآجرومية: للشيخ الأستاذ أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي المتوفى سنة 801هـ.
- ✓ شرح الآجرومية: للشيخ أحمد بن علي الرملي المتوفى سنة 973هـ تقريبا.
- ✓ الباكورة العربية في شرح متن الآجرومية: للشيخ محمد بن إسماعليل الطهطاوي من علماء القرن 13هـ.
- ✓ الفواكه الجنية شرح متن الآجرومية: للشيخ عبد الله بن أحمد الفاكهاني المتوفى سنة 972هـ.
- ✓ المقاصد الوفية بشرح المقدمة الآجرومية: للشيخ محمد بن عبد الله الأشعري الأزهري من علماء القرن 14هـ.
- ✓ شرح متن الآجرومية: للشيخ حسن بن علي الكفراوي المتوفى سنة 1202هـ.

وغيرها من الشروح الكثيرة منها المطبوع والمخطوط.

5. روض المنافع ولعل تمامه "في قراءة نافع" كما ذكر عبد الهادي حميتو.
6. فرائد المعاني في شرح حرز الأماني وهو من الشروح المغربية النفسية على الشاطبية وقد حققه الدكتور عبد الرحيم النبولسي في ثلاث مجلدات.

- **ثناء العلماء عليه:**

أثنى عليه العلماء كثيرا وشهدوا بتفرده وعلمه وتمكنه، وصفوه بصفات العلم والصلاح، والنبوغ في النحو والقراءات خاصة:

- قال السيوطي: "وصفه شراح مقدمته كالمكودي والراعي وغيرهمـــــا بالإمامة في النحو، والبركة والصلاح".
- وقال فيه ابن الأحمر في "نثير الجمان": "كان فقيها متفننا، أستاذا، نحويا، لغويا، مقرئا، شاعرا، بصيرا بالقراءات، ولم يكن في أهل فاس في وقته أعرف منه بالنحو".

- وقال القيطوني: "الفقيه، الإمام، العالم، العلامة، الهمام، الأستاذ، المقرئ، النحوي، الصوفي، البركة، الشيخ الكامل، كان فقيها، أستاذا، مقرئا، محققا، مجودا، حسابا، فرضيا، أديبا، بارعا، إماما، شهيرا، عارفا، منسوبا إلى البركة والخير والصلاح".
- وقال الدكتور عبد الرحيم النبولسي محقق كتابه "فرائد المعاني": "كان المؤلف رحمه الله دعامة أركان مدرسة ابن القصاب قرآنا ونحوا وأدبا تشهد بذلك كله تواليفه التي باحت بشذا عَرفه، وأفشت أسرار فهمه، واستقامة باطنه كظاهره، وهي مع كل ذلك لم تحط بما لديه خبرا، إذ لم ينسأ له في أجله، وعجل دون بلوغ أمله، عالم مشارك نحرير، وإمام مبرز في النحو والقراءات بلا نظير".
- وقال في موضع آخر: "زكي المحتد، عذب المنهل والمورد، عالي الهمة، عزيز النفس، بعيدا عن حمى الشبهات، ترَّاك أمكنة إذا لم يرضها، يتغيَّى الكفاف، ويلازم العفاف، كأن ذا القروح نعته إذ يقول:

ولو أن مـا أســـعى لأدنى معيشـــة كفاني ولم أطلب قليل من الـــــمال

- وقال عبد الله كنون: "هو الأستاذ، المقرئ، النحوي الشهير".
- وقال مخلوف في "شجرة النور": "الفقيه، الإمام، العالم، العلامة، الهمام، الأستاذ، المقرئ، النحوي، البركة، الشيخ الكامل، الولي الواصل".
- وقال عنه ابن مكتوم في "تذكرته" كما في "شذرات الذهب": "نحوي مقرئ، لـه معلومات من فرائض وحساب، وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز".
- وقال الكتاني: "ومنهم الشيخ الفقيه الإمام، العالم العلامة الهمام، الأستاذ المقرئ الأنوه، النحوي البركة الأنزه، الولي الصالح، الشهير الواضح".
- وقال في "معلمة المغرب": "كان أديبا لامعا، ونحويا بارعا، ومقرئا شهيرا، مارس التدريس في جامع القرويين بفاس فدرَّس العلوم القرآنية وعلوم اللغة العربية وتخرج على يديه كثيرون".

- **وفاته ومكان دفنه:**

توفي بفاس قبل صلاة ظهر يوم الأحد لعشرين خلت من صفر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة 723هـ، بعد عامين فقط من فقدان المغرب اثنين من أكبر علمائه وهما ابن البنا المراكشي وابن رُشيد السبتي، ولم يختلف أحد في تاريخ في وفاته رحمه الله، ودفن بعد صلاة الظهر من يوم الإثنين داخل باب الحديد أو الجيزيين وهو الباب المغلق عن يمين باب الفتوح، وقد بلغ من العمر إحدى وخمسين سنة فقط، وحقق بفضل الله تعالى ما لم يحققه من جاوز الثمانين والتسعين، فرحمه الله رحمة واسعة وغفر لنا وله آمين.

7. ابن بري التازي

(730/660 أو 731هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو المقرئ الكبير، والنحوي الفريد، والكاتب الأديب، **أبـو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن بري التسولي الرباطي**، نسبة إلى رباط تازة، وفي بعض المصادر: الأرباضي نسبة إلى الأرباض، وهي أحواز المدينة المذكورة، وزاد ابن جموع الفاسي في "الروض الجامع" التازي الدار، التونسي التسولي النجار، وفي تقييد للمجاصي ذكر أنه تسولي من فخذ يقال له بنو اللنت من بربر تازة، وشهرته المطبقة كانت باسم ابن بري التازي»[1].

---

[1] أنظر ترجمته في:
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج للتنبكتي: 346/1.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 716/1.
- الأعلام قاموس تراجم للزركلي: 5/5.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي: 238/1.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 518/2.
- رجز ابن بري المسمى الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع تحقيق توفيق العبقري: ص 5.
- شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع للإمام أبي عبد الله محمد المنتوري تحقيق الصديقي سيدي فوزي: ص 14.
- الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع لأبي زيد عبد الرحمن بن القاضي تحقيق أحمد بن محمد البوشيخي: 230/1.
- القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع في مُقرئ الإمام نافع للإمام محمد بن إبراهيم الشريشي تحقيق التلميدي محمد محمود: ص 14.
- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابن بري، يليه رسالة القول الأجلى في كون البسملة من القرآن أو لا؟، لإبراهيم بن أحمد المارغني التونسي: ص 3.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش للدكتور عبد الهادي حميتو: 109/3.
- القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: ص 24.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 209.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 613.

- **مكانته العلمية:**

يعتبر ابن بري من رواد المدرسة القرآنية المغربية، ومن تلاميذها النجباء الذين قدموا لها الكثير، فكما هو معلوم اختار أهل المغرب حرف نافع لقراءة القرآن الكريم براوييه ورش وقالون، وقد قدم ابن بري رحمه الله خدمة عظيمة لطلاب المغرب وقرائه ممن راموا الاقتصار على حـــرف نافــع المدني[1] غير أن الخلافات بين راوييه ورش[2] وقالون[3] أشكلت عليهم، فألف ابن بري أرجوزته الماتعة "الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع" مبينا المسائل التي اختلف فيها ورش وقالون، وقد اعتنى بها الناس جدا، وحفظوها ودرسوها وشرحوها لما كانت عليه من السهولة واليسر، والشرح المتقن الرصين، يقول ابن المجراد السلوي فيها وهو من شراحها: "وهي المسماة بالدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع، هذب فيها العبارات، وأوضح الحجج والإشارات، وأبان مشكلات المسائل، وبرز على الأواخر والأوائل، هيهات لا يأتي الزمان بمثله، ولا يقدر أحد على سلوك سبيله، فاشتغل الناس لذلك بقراءتها، وأكثروا البحث عن تفهمها وروايتها، وشرحها جملة من العلماء المشاهر، والأئمة المقتدى بهم الأكابر، باذلا في ذلك كل واحد منهم جهده، ومحققا من المسائل ما عنده".

[1] هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المتوفى سنة 169هـ بالمدينة المنورة.

[2] هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري، وورش لقب له فيما يقال لشدة بياضه توفي بمصر سنة 197هـ.

[3] هو أبو موسى عيسى بن منيا المدني معلم العربية، وقالون لقب له قيل إن نافعا لقبه به لجودة قراءته، لأن قالون بلسان الروم تعني الجيد، توفي بالمدينة سنة 220هـ.

ورغم اشتهار هذه الأرجوزة في أوســـاط القراء وطلاب العلم إلا أن مراحل حياة ابن بري العلمية بقيت يكتنفها بعض الجهل والغموض، ومن ذلك: شيوخه، وتاريخ وفاته، ومراحل طلبه، وغير ذلك مما قصر علماء تراجمنا أو غفلوا عن تقييده وحفظه، ومع ذلك فإن فضل ابن بري لم ينكره أحد خصوصا لما ألف أرجوزته هذه، واشتهرت بين الناس، وعرف قدرها وأهميتها مما حذا بألسنة العلماء أن تنطلق فيه مدحا واعترافا بعلمه وتمكنه:

والناس أكيس من أن يـــمدحوا رجلا من غير أن يجـدوا آثـار إحســـان

- قال محمد الشريشي في "القصد النافع": "الفقيه الأفضل، والكاتب الأبرع الأكمل، النحوي، اللغوي، العروضي، الفرضي".
- وقال أبو زيد بن القاضي في "الفجر الساطع": "الإمام العالم العلـم، ذي العلوم الكاملة"، وقال كذلك: "هو الشيخ الفقيه الأكمل الروايـة، المتقن البليغ الكاتب، البارع النحوي، اللغوي العروضي الفرضي".
- وقال أبو عبد الله المجاصي في شرحه: "الفقيه المقرئ الأصولي المحقق، صاحب الكلام البديع والخط الرفيع، النحوي الأديب، الأريب الضابط".
- وقال ابن المجراد السلوي في شرحه "إيضاح الأسرار": "الشيخ الإمام الأكمل، العالم الأنبل، ذي العلوم الرائقة، والمصنفات الفائقة".
- وقال إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي في شرحه "النجوم الطوالع": "الإمام الفاضل، العالم الكامل، القارئ المحقق، والمقرئ المدقق، ذي العلوم الرائقة، والمصنفات الفائقة".
- وقال أحمد بابا في "كفاية المحتاج": "قال أبو العباس أحمد بن مسعود الحصار: كان فقيها متقنا، رواية، كاتبا بليغا، بارعا فرضيا، نحويا لغويا عروضيا، ماهرا في العربية (...) له معرفة بعلم الحديث، بارع الخط، حسن النظم سلسه".
- وقـال أحمد بابا كذلك: "وقـال غيره: كان أديبا شاعرا بليغا، عارفا بالتاريخ والكتب، ذا

حظ من الفقه، عارفا بالفرائض والحساب والأصول، مقدما في الوثائق والنحو والقراءات، مديد الباع في العروض".

- وقال عبد الله كنون في "النبوغ المغربي" بعد ذكر اسمه ونسبه: "أحد المهرة في العلوم العربية والقراءات، وكان كاتبا بليغا، لغويا عروضيا، متفننا في كثير من العلوم، وله خط بارع، ونظم جيد".

- **مولده ودراسته وشيوخه:**

ولد ابن بري في مدينة تازة في حدود سنة 660هـ لأب الغالب فيه أنه كان على نصيب من العلم إذ حلاه بعض شراح "الدرر اللوامع" (بالشيخ الأفضل) كما قال الخراز في "القصد النافع"، و(الشيخ الأفضل المتقن البليغ) فيما ذكره أبو زيد بن القاضي في "الفجر الساطع"، وهذه الصفات يكون الغالب فيمن أطلقت عليه على حظ من العلم، وبتازة نشأ بزقاق الزفانين منها، وما دام أن والده وصف بالعلم فلا غرو أنه اهتم به في مراحله الأولى فأخذه للكتاب لحفظ القرآن الكريم، وبعض المتون العلمية والأراجيز التي تعتبر مفاتحا للغوص في العلوم، وذلك كإعداد أولي لما يستقبل من أمر طلب العلم، و ربما ساعده والده في ذلك، وقد ذكر الأستاذ حسن السايح كما في قسم تحقيق شرح "الدرر" للمنتوري أن التلميذ في العهد المريني وما بعده، كان لابد له قبل دخول المعاهد العلمية أن يكون حافظا للقرآن الكريم، والرسم والتجويد، وحافظا للمصنفات والمنظومات، وفي ذلك منظومة الفرائض، والحساب، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ولا نعلم الشيء الكثير عن مراحل حياة ابن بري العلمية خصوصا مراحله الأولى وتنقلاته في الطلب هنا وهناك، إلا ما كان مبثوثا في ثنايا تراجم أخرى، أو انفرد بذكرها مؤلف أو اثنين دون البقية، فغالب من ترجم لابن بري لم يذكر من شيوخه إلا الشيخ أبا الربيع بن حمدون الذي صرح هو نفسه بالأخذ عنه في أرجوزته، إلى أن جـــاء الإسحاقي في رحلته فذكر عرضا بعض أسماء شيوخ ابن بري التي تميط بعض

اللثام عن هذه المرحلة من طلبه العلمي.

وقد اجتهد مترجمنا كثيرا في التحصيل والبحث والمطالعة وكان من طلبة تازة النابهين، ولما أخذ كفايته من علوم علماء تازة شد الرحال صوب مدينة فاس فقرأ على أجلة شيوخها كما تدل تراجم بعض شيوخه وأقرانه، ولا ريب في ذلك ففاس كان لها إشعاع علمي خاص بضمها لجامع القرويين، وكانت رغبة طلاب العلم النجباء أن يتتلمذوا على شيوخها، فما الظن بمترجمنا وهو من هو في حرصه على العلم والاستزادة منه، أضف أن فاس قريبة من مدينة تازة جدا –ما يزيد عن مائة كيلومتر بقليل– فلا غرابة في أخذه فيها، وربما أخذ بسبتة كذلك، ومن أهم شيوخه وأشهرهم نجد:

أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي، شيخه في القراءات وفيه يقول في مطلع أرجوزته "الدرر اللوامع":

حســـبما قرأت بـالجميع عن ابن حمـدون أبي الربيع
الـــــمقرئ المحقق الفصـــيح ذي السند الـــمقدم الصحيح

و**أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي** الحافظ المشهور المتوفى سنة 708هـ، ولعل أخذه عنه قد تم في مدينة سبتة التي كان ابن الزبير يتردد عليها بعد أن أصبحت ولاية تابعة لمملكة بني الأحمر بغرناطة سنة 705هـ، و**أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد القرطبي** شيخ الجماعة بفاس، و**مالك بن عبد الرحمن بن علي أبو الحكم المالقي الشهير بابن المرحل**، كان يتردد بين سبتة وفاس، وأقام في فاس زمنا، ولعله أخذ عنه خلال هذا المقام بها، وقد انفرد بذكره التنبكتي في "الكفاية" أخذ عنه النحو والأدب والعروض، و**محمد بن محمد بن إدريس أبي بكر القضاعي الفللوسي** الشاعر الفرضي المتوفى سنة 707هـ ذكره التنبكتي، و**أبو الحسن الصغير علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي** المتوفى عام 719هـ كان حامل راية الفقه ولوائه بالمغرب الأقصى والأوسط وصفه ابن بري: "بالشيخ

الفقيه القدوة المفتي" كما في "المعيار المعرب" للونشريسي، حسبما ذُكر في قسم التحقيق من شرح "الدرر اللوامع" للمنتوري، إضافة إلى والده **محمد بن علي بن بري التازي** وأخذه عنه ربما كان في المرحلة الأولية من حياته، وقد عده بعض الباحثين في شيوخه استئناسا بما ورد عند بعض شراح "الدرر اللوامع" من تحليات له كوصفه "بالشيخ الأفضل" كما قال الخراز في "القصد النافع"، و"الشيخ الأفضل المتقن البليغ" فيما ذكره أبو زيد بن القاضي في "الفجر الساطع"، فهذه الصفات تدل على مستوى علمي يؤهله لأن يستفيد منه ولده وينتفع به.

إضافة إلى صلاته العلمية الواسعة بأكابر علماء عصره الذين استفاد منهم وأفاد، وربما كان بعضهم ضمن شيوخه كما قال الدكتور عبد الهادي حيمتو منهم: **ابن الصائم أو ابن الصائغ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، وأبو زيد عبد الرحمن بن العشاب التازي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز.**

والحاصل أن ابن بري كان في زمنه مثال الطالب المجد، والقارئ المتمكن المتفتح الذي لا تفتر همته عن لقاء الشيوخ، وتدوين الفوائد، وتقييد الفرائد، وكتابة العلم وتحصيله.

- **وظائفه التي تقلدها:**

سماط العدول: لما أخذ ابن بري من العلم ما يؤهله لأن يستكمل مسيرته دون الحاجة إلى الجلوس بين أيدي الشيوخ مدة طويلة عاد إلى مدينة تازة واشتغل فيها في سماط العدول، وقد كان رحمه الله كما يقول عنه مترجموه مبرزا في علم الوثائق، ذا خط حسن جميل، وقد تجاوز فيه مرحلة الاطلاع والتحصيل والقراءة إلى مرحلة التصنيف والاشتغال، فقد ألف في علم الوثائق كتابين كما سيأتي عند ذكر مؤلفاته، وأحب هذا العلم ومدحه وبيَّن سبب اعتنائه به فقال: "كفى بعلم الوثائق شرفا وفخرا انتحال أكابر التابعين لها، وقد كان أكابر الصحابة رضي الله عنهم يكتبونها على عهد رسول الله ﷺ وبعده"، وهذا يفسر سبب اشتغاله في سماط العدول في مدينة تازة، قال الإسحاقي: "وكان من طلبة تازة وعدولها"، وجاء في "القصد

النـافع": "قضى مـــدة في سماط العدول"، وقـــال أبو زيد ابـــن القاضي في "الفجر الساطع": "وكان قبل ذلك شاهدا عدلا في بلده".

الاشتغال في دار الخلافة في فاس: لما اشتغل مدة في مجال العدول شاءت الأقدار أن يتغير مسار حياة مترجمنا ويتبدل نحو الأفضل، ويترك مدينته التي ولد فيها وعاش مدة من حياته، لينتقل إلى مدينة فاس التي عرفته طالبا مجدا مجتهدا، حريصا على لقـــاء الشيوخ والاستفادة من علومهم، والاستزادة مما عندهم، وذلك بعد أن ألحقه السلطان أبو سعيد المريني بديوانه بفاس سنة 724هـ كما ذكر الإسحاقي في رحلتـــه، وجعله كاتب ولـــده الأمير أبو الحسن المريني ومعلمه الخاص وفي ذلك يقول التنبكتي في "كفاية المحتاج": "دعاه أبو سعيد المريني لتعليم ولده أبي الحسن فكان يقرئه إلى أن توفي بتازة وقبره بها معلوم"، ويذكر أبو زيد ابن القاضي في "الفجر الساطع" أن السبب في انتقاله من شاهد عدل في مدينة تازة إلى كاتب رسمي بالديوان السلطاني بفاس، ومعلما خاصا لابن السلطان، أن أحد تلاميذ ابن بري واسمه

أبو مهدي عيسى بن عبد الله الترجالي عُين قاضيا بتازة، وكان قد قرأ العلم على ابن بري فكان هذا التلميذ البار بشيخه يصعب عليه أن يكون هو قاضيا، وشيخه الذي درَّسه وعلمه شاهدا يأتي إليه لأداء الشهادة ولغيرها مما يحتاج فيه العدل القاضي، فتسبب بكتابته للملك، وامتثل السلطان لذلك لما رأى من بِرِّ التلميذ بشيخه، فأعلى رتبة الشيخ، وألحقه بدار الخلافة.

التدريس: تولى ابن بري رحمه الله مهمة التدريس بأعرق جامعة علمية إسلامية وهي جامعة القرويين بفاس، ومما يدلنا على ذلك هذا النص الذي نجده في شرح "الدرر اللوامع" للمنتوري عندما يتحدث الأخير عن رجز ابن بري، وكيف أخذه عن شيخه السدوري حيث يقول: "حدثني به الشيخ المسن، المقرئ الصالح أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد

السدوري المكناسي رحمه الله قراءة من حفظي عليه في أواخر شعبان سنة أربـــع وسبعين وسبعمائة عن ناظمه سماعا عليه بجامع القرويين من مدينة فاس في أواخر محرم سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة".

وعلى هذا يكون ابن بري قد تولى التدريس بجامعة القرويين قبل أن يستدعيه السلطان للاشتغال في ديوانه إذا نظرنا إلى مـا ذكره الإسحاقي في رحلته أن السلطان استقدمه إلى ديوانه عام 724هـ، وأبو الحجاج السدوري أخذ عن ابن بري رجزه في القرويين عاما قبل هذا التاريخ كما يذكر المنتوري. وربما تصدر للتدريس في مدينته تازة قبل رحيله إلى فاس إلى جانب اشتغاله بسماط العدول، وخرج طلابا صاروا قضاة وشيوخا كعيسى الترجالي الذي كان السبب في اشتغاله في دار الخلافة، فربما أخذ عنه هذا الأخير وغيره في مدينة تازة.

- **تلاميذه:**

كان ابن بري رحمه الله رغم انشغاله بمهام دار الخلافة في فاس من تعليم الأمير أبو الحسن المريني وتأديبه، وكونه كاتبه الخاص، ومـا يتصل بذلك مما أوكل إليـــه، وبمهمـــة الشاهد العدل في مدينة تازة وما يجاورها من أشغال وأعمـــال، رغم كل هـــذا كان محبا للتدريس، عاشقا للتلقين والتعليـم،

فهو لـم يترك التدريس والتعليم ونشر علمه في الناس قط، فدرَّس علم القراءات وخصوصا رجزه "الدرر اللوامع" والنحو وغيرهما من العلوم التي كان يجيدها ويتقن الدخول والخروج منها، وبذلك خرج طلابا كبارا صار ثلة منهم يشار لهم بالبنان، تولى بعضهم القضاء، وصار بعضهم الآخر فقهاء ومقرئين وأدباء، منهم على سبيل المثال:

العـالـم الأديب **عمرو بن أحمد بن الميمون الفشتالي**، وقد أجازه في أبيات شعرية تأتي في

أوانها، و**ابن العشاب التازي** أخذ عنه علم النحو وأكمل على يديه كتاب "الإيضاح" تفقها، قال فيه ابن بري كما في "المعيار" للونشريسي: "كان أبو زيد شابا صالحا، قرأ بتازة حرسها الله تعالى، وأخذ عليَّ علم النحو، وأكمل كتاب الإيضاح تفهما، ثم عاد إلى النظر في المعقول، والمشاركة في التفسير والحديث، وكان ثاقب الفهم، شديد النظر، معمور الأوقات بالبحث والمطالعة والمذاكرة"، وهنيئا له شهادة شيخه له فقلَّ ما يمدح الشيوخ تلاميذهم، وإن فعلوا فإنما يرون فيهم ما لا يرونه في غيرهم، و**أبو عبد الله محمد بن شعيب المجاصي** أخذ عنه "الدرر اللوامع" ومعانيه، و**أبو مهدي عيسى بن عبد الله الترجالي** كان من طلبة تازة المتفوقين، ثم ولي القضاء، وأصبح من شيوخها المرموقين، والشيخ **عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي** الفقيه الأديب المتوفى سنة 749هـ، والشيخ الإمام **محمد بن إبراهيم المشهور بأبي البركات البلفيقي** المتوفى سنة 771هـ، والشيخ المقرئ **أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن علي بن مسلم القصري القاضي المشهور بابن مسلم** المتوفى سنة 773هـ، والمقرئ **أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي**، و**أبو الحسن علي بن موسى بن إسماعيل المطماطي السلاوي** المتوفى سنة 793هـ، إضافة إلى الأمير **أبو الحسن المريني ابن السلطان أبي سعيد المريني** فقد كان ابن بري معلمه الخاص وكاتبه، وغيرهم كثير ممن كانوا يردون حياضه ويقصدون رياضه ويطلبون مجالسه وحلقه للأخذ مما عنده.

- **ما خلفه من كتب:**

ألف ابن بري رحمه الله مؤلفات عدة طارت شهرة بعضها في الآفاق، واعتنى بها الناس كثيرا، وقد رام التأليف في مجالات عدة، فأكثر من التأليف في علم القراءات، وشارك في غيره من العلوم كعلم النحو، والوثائق، والفقه، والأدب، والعروض، والفرائض، وبذلك تظهر قيمته العلمية وتفوقه الكبير الذي أهَّله لأن يكون مؤدبا لابن السلطان، ويجلس للتدريس في جامع

القرويين الذي كان لا يجلس فيه إلا العلية في العلم من القوم، وهي في تنوع مجالاتها واختلاف موضوعاتها خير شاهد على مكانته العلمية المرموقة، وموسوعيته الثقافية والأدبية، وتمثيله في وقته مستوى القارئ المغربي في حذقه ونباهته، وذوقه الرفيع في اختيار كتب دراسته المساعدة على تنوع معارفه وثقافته.

وهذه هي كتبه التي ضمنها بنات أفكاره، وحرر فيها مسائل علمية أفادت الناس ولا تزال كما ذكرها الدكتور عبد الهادي حميتو في كتابه "قراءة الإمام نافع عند المغاربة":

1. أرجوزة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الامام نافع، وقد اهتم بها العلماء جدا وشرحوها ودرسوها وحفظوها سواء في حياة ناظمها أو بعد مماته لما كانت تحويه من علم كثير في نظم سهل سديد، ومن بين شروحها الكثيرة:

- ✓ القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع للإمام محمد بن إبراهيم الشريشي الشهير بالخراز.
- ✓ شرح الدرر اللوامع لأبي عبد الله محمد بن شعيب بن عبد الواحد المحاصي اليصلتي.
- ✓ شرح الوجيز النافع في شرح الدرر اللوامع للقاضي أبي محمد عبد الله بن أحمد بن مسلم القصري.
- ✓ شرح إيضاح الأسرار والبدائع وتهذيب الغرر والمنافع للحافظ محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلوي المعروف بابن المجراد.
- ✓ النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لإبراهيم بن أحمد المارغني التونسي.
- ✓ الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع لأبي زيد عبد الرحمن بن القاضي.
- ✓ شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع للإمام أبي عبد الله محمد المنتوري.
- ✓ شرح معونة الصبيان على الدرر اللوامع للحافظ سعيد بن سعيد بن داود الجزولي الكرامي

السوسي المتوفى سنة 718هـ.

- ✓ شرح الأنوار السواطع على الدرر اللوامع للفقيه حسين بن علي الرجراجي الشوشاوي المتوفى سنة 899هـ، وغيرها من الشروح الكثيرة التي أوصلها بعضهم إلى خمسين شرحا.

2. القانون في رواية ورش وقالون قال عبد الهادي حميتو: "انفرد بذكره ونسبته إليه محمد الشرقي الإسحاقي في رحلته، ولا أعلم له وجودا في الخزائن".
3. طرر على الدرر اللوامع كتبها على شرح الخراز عليها حين قدمه إليه.
4. طرر على الدرر أيضا، ذكر ابن القاضي أنه رآها مجدلة على نسخة بخطه.
5. رجز في مخارج الحروف وصفاتها ذيل به على الدرر اللوامع وهو المتصل بها اليوم.
6. ذكر الظاء على حروف المعجم، قال حميتو: "ذكر بعض الباحثين وجوده مخطوطا بالمكتبة السليمانية بإسطنبول مجموعة شهيد علي باشا برقم 7740 في الصفحات 20/19".
7. مختصر شرح الإيضاح في النحو للأستاذ ابن أبي الربيع العثماني الإشبيلي نزيل سبتة، وأصل كتاب الإيضاح لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي المتوفى سنة 377هـ، وقد ذكره لابن بري عامة الذين تعرضوا لذكر مؤلفاته.
8. تأليف في الوثائق ذكره له عبد الرحمن بن القاضي وغيره، وقد نقل عنه الونشريسي في المنهج الفائق تقريظا لهذا العلم جاء في قوله: "كفى بعلم الوثائق شرفا وفخرا انتحال أكابر التابعين لها، وقد كان أكابر الصحابة رضي الله عنهم يكتبونها على عهد رسول الله ﷺ وبعده".
9. شرح كتاب الوثائق لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الغرناطي.
10. شرح التهذيب في اختصار المدونة في الفقه المالكي لأبي سعيد خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي البراذعي القيرواني من علماء القرن الرابع الهجري، ابتدأه ولم يكمله.

11. شرح قصيدة أبي علي الحسن بن عطية الونشريسي الأوربي المكناسي في علم الفرائض.
12. شرح كتاب العروض لابن السقاط.
13. كتاب الكافي في علم القوافي نسبه له بروكلمان، وذكر وجوده مخطوطا بخزانة الأسكوريال برقم 330.
14. اختصار شرح الشريشي على مقامات الحريري ذكره الإسحاقي في رحلته، والشريشي هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي المتوفى سنة 629هـ وشرحه مشهور مطبوع في مجلدين.
15. كتاب اقتطاف الزهر واجتناء الثمر، وهو اختصار لزهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري المتوفى سنة 453هـ.
16. متفرقات، ومنها قطعة أدبية نشرها بعض الباحثين نقلا عن مخطوطة ديوان أبي العباس الهلالي الذي جمعه أبو الربيع الحوات المتوفى سنة 123هـ يصف فيها الشعر، ويذكر أقسامه ومراتبه، وهي من نتفه الأدبية التي تمثل لنا جانبا من حسه النقدي الرفيع، وذوقه الأدبي الجميل، وثقافته الأدبية العالية التي تتذوق كل عذب وجميل، يأتي ذكرها عند الحديث عن أشعاره.

- **شعره:**

معظم من مدح ابن بري رحمه الله مدحه بقولهم العروضي والكاتب والبليغ وما يوافق ذلك من الألفاظ التي تدل على مقدرته الأدبية وحسه العربي الفريد، وقد ألف في هذا المجال المتصل بالأشعار كتابين هما "شرح كتاب العروض" لابن السقاط، و"كتاب الكافي في علم القوافي"، وفي هذين الكتابين خير دليل على ذوقه الأدبي الرفيع، وحسه الشعري الجميل، وقد تكلم عن الشعر، وذكر أقسامه ومراتبه فقال: "الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع الجيد الطبع مقبول السمع، قريب المثال بعيد المنال، أنيق الديباجة، رقيق الزجاجة، يدنو من فهم سامعه، كدنوه من وهم صانعه، والمصنوع مثقف الكعوب، معتدل الأنبوب، يطرد ماء

البديع على جنباته، ويجول رونق الحسن في صفحاته كما يجول السحر في الطرف الكحيل، والأثر في السيف الصقيل".

ولـم يكن ابن بري رحمه الله ناقدا للشعر، ذاكرا لمراتبه وأقسامه، شارحا لما يتعلق به فقط، بل كان مشاركا في قوله أيضا، ولا أدل على مقدرته الأدبية من أرجوزته "الدرر اللوامع" التي اشتهرت بين الناس واعتنوا بها اعتناء منقطع النظير، فالذي يقول كلاما علميا دقيقا لا مجال فيه للشطحات على شكل نظم شعري، يعتبر فحلا أدبيا، وشاعرا عربيا أصيلا، ومن شعره أيضا إجازة نظمية في أبيات أجـاز بها أبا عمرو بن أحمد الميمون الفشتالي يقول فيها:

مـا قـالـه وحـكـاه كـاتـبـه ... عمرو صحيح لا استرابة فيـــه
فليرو عني مـا يشـــاء فـإنـه ... أهـل لكـل فضـيلـة تعليـه
فلقـد خبرت ذكـاءه فحمـدتـه ... فيمـا يحـاول فهمـه ويعيـه
وتحققـت منـه مخـايـل أوجبـت ... لـعـلاه رفـعـة جـده وأبـيـه
وأفـدتـه أرجـوزتي وكـتـبـتـهـا ... بيـدي وذاك غـايـة التنويـه
وعنيت من تطريزها بمســـائل ... لإفـادة التـقـيـيـد والـتـنـبـيـه
والعـذر في نظمي ونثري أنني ... أرســلـت فيـه روايتي وبـديهي
والله يحفظ مجـده ويشـــيـده ... ويسره في أهلـه وذويـــــــه

ويقول في مقدمة أرجوزته الذائعة الصيت "الدرر اللوامع":

الحـمـد لله الـذي أورثـنـا ... كـتـابـه وعـلـمـه عـلـمـنـا
حمـدا يـدوم بـدوام الأبـد ... ثم صـــلاة عـلـى محـمـد
أكـرم مـن بـعـث لـلأنـام ... وخير من قد قام بالـــمقام
جـاء بختم الوحي والنبوءه ... لخـير أمـة مـن الـبريـئـه
صـــلى عليـه ربنـا وســلمـا ... وآلـه وصـــحبـه تكرمـا...

إلى غير ذلك مما قاله من الشعر مما لم أقف عليه، وإلا فإن حسه الأدبي، وقريحته الشعرية لم تكن لترضى بهذه الأبيات الشعرية القليلة، فالذي أَلِف قول الشعر ونظمه والاشتغال بما يتعلق به لابد له أن يقول أكثر من هذا.

- **وفاته ومكان دفنه:**

اختلف الناس في تحديد تاريخ وفاة ابن بري على أقوال كثيرة:

- فدائرة المعارف الإسلامية تذكر ثلاث روايات في سنة وفاته: الأولى: أنه توفي سنة 730هـ والثانية: سنة 731هـ، والثالثة سنة 733هـ.
- وفي "هدية العارفين" للبغدادي أنه توفي سنة 709هـ.
- وفي "القراء والقراءات" لسعيد أعراب، و"النبوغ المغربي" لعبد الله كنون أن وفاته كانت عام 731هـ.
- وفي "الأعلام" للزركلي، و"معجم المؤلفين" لرضا كحالة، و"موسوعة أعلام المغرب" أن وفاته كانت عام 730هـ وهذا الذي يتناسب مع ما هو موجود في المصادر المغربية الأصلية، قال ابن جموع الفاسي في "شرح الدرر": "توفي رحمه الله سنة ثلاثين وسبعمائة وهو إذ ذاك كاتب الخلافة"، وهو التاريخ نفسه الذي ذكره الإسحاقي والونشريسي من أن وفاته كانت يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شوال عام ثلاثين وسبعمائة.

وقد ذكر أبو الحسن علي بن عبد الكريم المحاصي في شرحه للدرر اللوامع المسمى بـ"الفصول" أن وفاته كانت بمدينة فاس، وأنكر الأستاذ سعيد أعراب هذا القول إذ قال: "كما شذ ابن عبد الكريم فذكر أن وفاته بفاس".

وسواء توفي في فاس ونقل إلى تازة، أو توفي بتازة ابتداءً فإنه دفن بهذه الأخيرة، قرب شيخه أبي الربيع بن حمدون في روضة الترجاليين بالمقبرة القديمة خارج تازة العليا، وعلى قبرهما قبة، وضريحهما مشهور، فرحمه الله رحمه واسعة، ونفعه بما قدمه من عمل، وخلفه من علوم.

8. أحمد بن قاسم القباب (724/778هـ):

- **اسمه ونسبه ودراسته وشيوخه:**

هو القاضي العادل، والفقيه المتمكن، والسفير الجيد، والمفتي الورع، والعالم العامل **أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب الجذامي الفاسي»**[1].

ولد بمدينة فاس حاضرة العلم والعلماء، ولكن كثيرا ممن ترجم له لم يذكر تاريخ ولادته إلا تلميذه يحيى السراج الذي ذكر في فهرسته أن شيخه القباب ولد عام 724هـ، وقد خفي

[1] أنظر ترجمته في:
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ص 102.
- درة الحجال في أسماء الرجال: 47/1.
- شجرة النور الزكية: 235/1.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 123.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: 71/1.
- كفاية المحتاج للتنبكتي: 97/1.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: 187/1.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 236/1.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس: 365/3.
- كتاب وفيات الونشريسي: ص 62.
- الوفيات لابن قنفذ القسنطيني: ص 372.
- توشيح الديباج للبدر القرافي: ص 33.
- الأعلام قاموس تراجم: 197/1.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 230/1.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 81/4.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 205.
- شرح الإعلام بحدود قواعد الإسلام لأبي العباس أحمد بن قاسم القباب تحقيق عبد الله بنطاهر التناني السوسي: ص 115.
- شرح مسائل ابن جَماعة التونسي في البيوع لأبي العباس أحمد بن قاسم القباب تحقيق علي محمد إبراهيم بورويبة: ص 15.

كثير من مراحل نشأته فلم يتطرق لها المترجمون، ولكن الظاهر أنه نشأ على سيرة أطفال ذلك الزمن من حفظ القرآن الكريم والمتون العلمية: النحوية والفقهية والأصولية وغير ذلك، وعند ضبط مقدمات العلوم ينتقل الطالـب النبيه إلى الغوص في عالم العلوم المتنوعة عند العلماء المتمكنين، والظاهر أن هذا لم يكن عسيرا عليه ليبحث عنهم في باقي البلاد لأنه عاش وترعرع في مدينة فاس مدينة جامع القرويين قبلة الطلاب وجنتهم العلمية.

وقد أخذ عن فطاحل العلماء في ذلك الوقت منهم: **علي بن محمد بن فرحون المدني** رحل إلى مصر وتونس والمغرب سنة 730هـ فلقي بفاس ثلة من علمائها وأخذ عنه القباب في هذه الرحلة، **ومحمد بن علي بن سليمان السطي** حافظ المغرب المبرز في علم الفرائض، **وأبو فارس عبد العزيز بن محمد القروي، وأبو عبد الله محمد الفشتالي** قاضي الجماعة بفاس، **وأبو محمد عبد الله الوانغيلي** الضرير كان حافظا فقيها يفتي بفاس ومما قرأه عليه القباب الجمل في النحو، **ويحيى ابن الحافظ المشهور محمد بن عمر بن رشيد الفهري، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله الآبلي، وأحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأنصاري** أحد كبار الصلحاء ومشاهيرهم بالمغرب الأقصى جمع بين العلم والعمل، **وأبو عمران موسى بن محمد بن المعطي العبدوسي** كان آية في معرفة المدونة أقرأها نحو أربعين سنة، وغيرهم كثير وكثير إذ لا أتصور أن يأخذ عالم في درجته في مرحلة الطلب عن هذا الكم الضئيل من الشيوخ إلا أن المترجمين له قد غفلوا عن ذكر الباقي.

- **مناصبه ووظائفه وتلاميذه:**

تولى أبو العباس القباب عدة وظائف منها: التدريس والإفتاء، والقضاء، والخطابة، والسفارة: فبعد أن أتم القباب تكوينه العلمي وصار مبرزا في كثير من العلوم تصدى للتدريس في مدينة فاس في مدارسها وجوامعها، ومن أهم العلوم التي كان يدرسها للطلاب علم الحديث والفقه وعلم أصول الفقه وأصول الدين قال تلميذه ابن قنفذ عن ذلك: "ولازمت درسه كثيرا بمدينة

فاس في الحديث والفقه والأصلين"، وتولى التدريس أيضا بمدينة سبتة حين تولى قضاءها قال مؤلف كتاب "بلغة الأمنية ومقصد اللبيب": "درَّس بها [أي سبتة] بمسجد زقاق ابن عيسى الأعلى سمعته في الصغر يتكلم على موطأ مالك وأنا مجتاز على باب المسجد".

ومن الكتب التي كانت معتمدة عنده في التدريس: مختصر البراذعي، والرسالة، وموطأ الإمام مالك وغيرهم، وكان يطالع لتدريس موطأ مالك خمسين كتابا كما ذكر في "سلوة الأنفاس" وفي هذا دليل على حبه للتدريس ومكابدته وبحثه واطلاعه ليفيد طلابه، فكان من هذا المجهود الكبير الذي قام به أن خرَّج طلابا صاروا علماء يشار لهم بالبنان، واجتمع الناس عليهم للأخذ منهم والسماع، وقصدهم الطلاب من كل حدب وصوب، وطارت كتبهم في الآفاق واشتهرت ومن أشهرهم:

1. الإمام **أبو إسحاق إبراهيم بـن موسى الشاطبي** اللخمي صاحب التصانيف المشهورة الموافقات والاعتصام وغيرهما مؤسس علم المقاصد المتوفى سنة 790هـ.

2. **عبد الله بن محمد بن أحمد الشريــف الحسني التلمساني.**
3. **أبو زكريا يحيى بن أحمد بن محمد** الحميري الرندي الأصل الفــاسي المولد والوفاة المعروف بالسراج، ومن أشهر تآليفه الفهرس المسمى "فهرسة السراج" ذكر فيها شيوخه ذاكرا فيهم القباب ومما قرأه عليه: الموطأ والرسالة وقواعد الإسلام لعياض والبيوع لابن جماعة.
4. **أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب المشهور بابن قنفذ القسنطيني.**
5. **أبو علي عمـــر بن محمد الرجراجي الفاسي** كان من صدور العلماء مشتهرا بـالصلاح

والورع والتقوى.

6. **أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري** الفقيه المالكي والمتصوف الزاهد.

7. **أبو الربيع سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي الفاسي** كان من أكابر العلماء لا يخاف في الله لومة لائم أخذ عن والده وعن القباب توفي سنة 779هـ.

وتولى رحمه الله القضاء أيضا لما عرف الناس قدره وعلو كعبه في العلوم وشاهدوا تمكنه أمره سلطان المغرب أن يتولى القضاء في جبل طارق أو جبل الفتح فامتثل لذلك مدة من الزمن قال عنه لسان الدين بن الخطيب: "(...) وولي القضاء بجبل الفتح (جبل طارق) متصفا فيه بجزالة وانتهاض"، وكذلك ولي قضاء سبتة وكان شديد السطوة في أحكامه، مغلظا على الظلمة منهم مهينا لهم، ولكنه تخلى عن القضاء فرُوجع فيه فأبى أن يعود إليه، وبسبب نزاهته في إصدار الأحكام عُرض عليه القضاء مرة أخرى فامتنع أشد الامتناع واختفى مدة إلى أن سَحب السلطان تعيينه، فعاد للظهور واشتغل بالتدريس والفتوى، وقد كان رحمه الله من المفتين الكبار فقد ذكر له الونشريسي في "المعيار المعرب" أكثر من خمسين فتوى، وبإحدى فتاويه افتتح كتابه هذا فقال:

"سئل الفقيه الحافظ سيدي أبو العباس أحمد القباب عن حكم الصلاة بالملف الذي نسجه النصارى قبل غسله، وذلك أنه قيل إنهم يجعلون فيه شحم الخنزير، وبعد الغسل لما يبقى فيه من الرطوبة الناشئة عن الشحم والماء لا يزيلها.

فأجاب بما نصه: "الحمد لله، إنه لا يخفى عليكم ما اشتهر من مالك رضي الله عنه من جواز لبس ما نسجه أهل الذمة والصلاة فيه دون ما لبسوه، قال الأشياخ رحة الله تعالى عليهم: والقياس يقتضي التسوية بين ما نسجوه وما لبسوه، وأنه لا يصلى في شيء من ذلك لأن شيئا من ذلك لا يخلو من النجاسة غالبا، وقيل لمالك في العتبية فيما نسجوه أنهم يبلون الغزل بأيديهم وهو أهل نساجة، فقال: لا بأس به لم يزل الناس على ذلك، فسلم أن القياس

كان الحكم بالنجاسة لغلبتها، وإنما لم يقل به لأجل أن عمل الناس مضى على خلاف ذلك، وقد اشتهر اتباعه للسلف الصالح رضوان الله عليه وعليهم، وحكى القاضي أبو الوليد ابن رشد رحمه الله تعالى عن ابن عبد الحكم أنه أجاز الصلاة فيما لبسه النصارى بناء على استصحاب أصل الطهارة، وتأوله القاضي بأن ذلك فيما لم يطل لبسه له، ورأيت كلاما منسوبا لأبي الحسن الأبياني يكون توجيها لهذا الخلاف فإنه قال في الكتاب الذي ألفه في الورع: إذا كان الحل معلوما ولكن غلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن، فيرتفع حكم الاستصحاب لضعفه ويقضى بالتحريم لغلبته، كما إذا غلب على الظن نجاسة إناء لعلامة معينة فلا يجوز التوضؤ به ولا شربه، هذا إذا غلب على الظن بعلامة متعلقة بعين الشيء، فإن كانت الغلبة متعلقة بالجنس فهل ينتقل من الأصل؟ فيه خلاف (...)"[1]، ثم ذكر الخلاف المذكور وأفاض في فتواه إلى الآخر مما يدل على سعة علمه وفقهه رحمه الله.

كما تولى الخطابة بجامع القرويين في النصف الثاني من ذي القعدة عام 778هـ لكنه لم يلبث بعد ذلك إلا أياما حتى توفي رحمه الله.

- **رحـــلاتـــه:**

وأما رحلاته فقد ذكر من ترجم له خمس رحلات، ولم يكن فيها تفصيل كبير كما هو الشأن في الرحلات وإنما هي إشارات وشذرات مبثوثة هنا وهناك، اثنتان منهما كانت بأمر السلطان لغرض السفارة، واثنتان بغرض الاشتغال بالقضاء، وواحدة لأداء الحج، وهي كما يلي:

- **الرحلة الأولى**: زيارته لمدينة سبتة وتوليه قضاءها والتدريس بها.
- **الرحلة الثانية**: زيارته لجبل الفتح [جبل طارق] وتوليه قضاءه كذلك.
- **الرحلة الثالثة**: زيارته لمدينة سلا في غرض اختبار واستطلاع الأحوال السلطانية وتفتيش المصالح الإدارية ومراقبة أجهزة الدولة مكلفا من قبل السلطان المريني.

[1] المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب: 3/1.

- **الرحلة الرابعة:** زيارته لمدينة غرناطة بالأندلس سنة 762هـ مرسلا من قبل السلطان أبي سالم بن أبي الحسن المريني للإشراف على توزيع بعض الصدقات والصلات التي تبرع بها السلطان على بعض الرُّبط، مما أتاح له لقاء بعض أعلامها وتلاميذها منهم الشيخ أبو إسحاق الشاطبي وهو من تلاميذه كما سبق.
- **الرحلة الخامسة:** زيارته لبلاد الحرمين بغرض الحج وزيارة الأماكن المشرفة، وقد كانت مناسبة لزيارة عدة مراكز في الذهاب والإياب لتبادل الخبرات والمعلومات بينه وبين علمائها وطلابها، ومن ذلك مروره بتونس ولقاءه بشيخها وعالمها المفوه أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي فأطلعه الأخير على ما كتب في مختصره الفقهي وقد شرع في تأليفه آنذاك فقال له القباب: ما صنعت شيئا، فقال له ابن عرفة: ولم؟، قال: لأنه لا يفهمه المبتدئ ولا يحتاج إليه المنتهي، فتغير وجه ابن عرفة وألقى إليه بعض المسائل فأجابه عليها، ولعل كلامهما هذا هو الذي جعل ابن عرفة يسهل العبارة في أواخر المختصر كما ذكر صاحب "نيل الابتهاج".

• كتبه ومؤلفاته:

كان القباب عالما متمكنا قادرا على تأليف كتب قيمة غير أنه لم يكن مبادرا إلى التصنيف والتأليف، ولم تذكر له مؤلفات مستقلة بذاتها، فجل ما ذكر له إما شرح لكتب غيره أو اختصار لها، بيد أنه أظهر علو كعبه فيها فتجلى للقارئ في هذه الشروح والمختصرات فقيها متمكنا، ومحللا اقتصاديا عارفا، وباحثا اجتماعيا مطلعا إذ لم يكن غافلا عما يدور في مجتمعه من القضايا سواء العقائدية منها أو المالية بل كان عارفا لها مالكا زمام توجهيها لمقاصد الدين الإسلامي، ومما ذكر له من كتب ما يلي:

1. شرح الإعلام بحدود قواعد الإسلام للقاضي عياض وهو من أكبر وأهم الآثار التي خلفها.

2. شرح مسائل بيوع ابن جماعة التونسي وهو كتاب نوه به العلماء واستحسنوه ونقلوا عنه في مصنفاتهم وأحالوا عليه.
3. نوازل القباب وهي فتاوى عالج فيها عدة مسائل تتعلق بذبيحة من لا يصلي، وإمامة الفاسق، وصلة رحم المعروف بأكل الحرام، والإصرار على المعاصي، والعارية بالنية من غير لفظ، والمشوش

على المصلين بالقراءة في المسجد، وغيرها من المسائل الفقهية.
4. مختصر النظر في أحكام النظر بحاسة البصر وأصل هذا الكتاب تأليف لأبي الحسن بن القطان الفاسي ثم اختصره القباب عامدا إلى حذف الأدلة والحجج منه مكتفيا بسرد المسائل الفقهية تسهيلا على المبتدئين.
5. لب اللباب في مناظرة القباب وهو عنوان لمناظرة وقعت بينه وبين سعيد العقباني (ت 811هـ) جمعها هذا الأخير في كتاب سماه بهذا الاسم وهي منقولة في المعيار للونشريسي وغيره.

- **ثناء العلماء عليه:**

أثنى عليه العلماء كثيرا وحلوه بصفات رائعة تنبئ عن احترام كبير له ولعلمه فمن قائل: إمام، وفقيه، وعالم، وصالح، ومتواضع، وتقي، وقائل: حافظ محقق، وطالب نبيه، وقاضي عدل وغيرها من الصفات الحسنة، ومعلوم أن تعديل العلماء للشخص، وتنويههم به وبعلمه بمثابة شهادة تاريخية تبيح لمن جاء بعدهم الأخذ عن الممدوح أو المعدل وقبول روايته خصوصا في الأحاديث وهذا شيء من ذلك:

- قال لسان الدين بن الخطيب: "هذا الرجل صدر عدول الحرة الفاسية وناهض عشهم، طالب فقيه نبيه مدرك جيد النظر سديد الفهم حضر الدرس بين يدي السلطان وولي القضاء بجبل الفتح (جبل طارق) متصفا فيه بجزالة وانتهاض".

- وقال أبو عبد الله الحضرمي كما في "السلسل العذب": "العالم العامل، ذو العقل الكامل، والطبع الفاضل، التائب التقي والفقيه المفتي (...)، ممن يعرف بالفضل والدين، ويعد في العلماء العاملين، تاب فحسنت توبته واستبانت فضيلته (...)، وسيرته الآن سيرة أهل الأكابر ممن تقدمه على الدؤوب على قراءة العلم وإقرائه، واكتساب الطيب والتقشف، وترك متاع الدنيا والتواضع للخاص والعام، وخفض جناح الرحمة للضعفاء والمساكين".
- وقال التنبكتي في "كفاية المحتاج": "الإمام الحافظ العلامة الصالح الزاهد، أحد محققي الحفاظ متقدما في العلوم له فتاوى مجموعة".
- وقال الونشريسي في "وفياته": "الشيخ الفقيه الحافظ الحاج الصالح الخطيب أبو العباس أحمد بن قاسم القباب".
- وقال المقري كما في "أزهار الرياض": " الفقيه القباب حافظ مدينة فاس، وزعيم فقهائها في عصره".
- وأما من المعاصرين فقد قال فيه الحجوي الثعالبي في "الفكر السامي": "إمام المغرب بل إفريقية في وقته انتهت إليه رياسة الفتيا والتوثيق والمشاركة في الفنون ملئ المعيار من فتاويه وبها ابتدأ".
- وقال ابن فرحون في "شجرة النور": "(...) الشهير بالقباب الإمام الفقيه الحافظ الزاهد العلامة المحقق المتفنن العمدة الفهامة أحد العلماء العاملين المعروفين بالدين المتين والصلاح المكين".
- وقال عنه عبد الله كنون في "النبوغ": "كان أحد صدور الفقهاء في عصره من حفاظ مذهب مالك، وأئمة الدين والورع، درس العلوم طوال حياته، وأفتى وألف التآليف القيمة، وولي القضاء بجبل الفتح ودخل غرناطة سفيرا".

إلى غيرهـــا من الصفات والألقاب التي حلوه بها، مما يظهر جلالة قدر هذا العالم وتمكنه مما

كان يفعله سواء في القول أو في العمل.

- **وفاتــه:**

بعد حياة دامت أكثر من خمسين سنة بقليل مات أبو العباس القباب ببلده الذي رأى النور فيه فاس، وقد اختلف المترجمون في تاريخ وفاته على ثمانية أقوال، فصلها محقق "شرح الإعلام بحدود قواعد الإسلام" فقال:

1. قيل عاش إلى حدود 770هـ ذكره ابن حجر وهو ضعيف.
2. قيل 777هـ نقله كل من إسماعيل بن الأحمر، وابن زاكور، ومحمد الحجوي.
3. قيل 778هـ نقله تلميذه أبو زكريا يحيى السراج في فهرسته، وأحمد بن يحيى الونشريسي، وابن القاضي المكناسي، ومن المعاصرين محمد مخلوف، والزركلي.
4. قيل 779هـ نقله تلميذه ابن قنفذ وابن القاضي المكناسي في جذوة الاقتباس.
5. قيل بعد 780هـ نقله ابن فرحون في الديباج.
6. قيل في أواخر عام 793هـ وهو بعيد.
7. قيل 797هـ نقله من المعاصرين محمد الحجوي وهو قول بعيد كسابقه.
8. قيل 799هـ نقله تلميذه ابن قنفذ وهو قول مستبعد كسابقيه.

والراجح من بين هذه الأقوال أن وفاته رحمه الله كانت بعد مغرب يوم الثلاثاء 5 ذي الحجة 778هـ كما ذكر تلميذه يحيى السراج وتبعه غير واحد، لأنه حدد اليوم والشهر، ولأن توليته للخطابة بجامع القرويين كانت في النصف الثاني من ذي القعدة عام 778هـ لكنه لم يلبث بعد ذلك إلا أياما حتى توفي إثر ذلك، وهذا القول هو الذي رجحه محمد حجي، أما مكان وفاته فقد صرح جل من ترجم له بأنه توفي بفاس رحمه الله تعالى، وغفر لنا وله.

9. محمد بن أحمد الفشتالي (.../777 أو 779هـ):

- **اسمه ونسبه ومولده وشيوخه:**

هو القاضي العدل، والفقيه المطلع، والشاعر المجيد، والأديب البليغ **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب بن عبد الله بن موسى بن مالك الفشتالي**»[1].

لم تذكر كتب التراجم التي ترجمت له مما وقفت عليه سنة مولده ولا نشأته غير أنه ولد في فشتالة وهي قبيلة صغيرة ضمن منطقة جبلية في حوض ورغة شمالي مدينة فاس، وموضع فشتالة الحالي هو نفسه الذي ذكره ابن خلدون قبل قرون واعتبرها قبيلة بربرية من صنهاجة، وذكرهم ابن أبي زرع في تاريخه على أنهم فرع من صنهاجة من حِمْير عرب الأصل، وهذه القبيلة المغربية قد أخرجت علماء وصلحاء كثر منهم على سبيل المثال لا الحصر: عبد الكريم الفشتالي، وعبد الله بن موسى الفشتالي، وفاطمة بنت مسعود الفشتالي، والشيخ سليمان بن

---

[1] أنظر ترجمته في:
- الإحاطة في أخبار غرناطة: 114/2.
- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان لابن الأحمر: ص 358.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 330/3.
- الأعلام قاموس تراجم: 328/5.
- شجرة النور الزكية: 235/1.
- درة الحجال في أسماء الرجال: 270/2.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ص 446.
- كفاية المحتاج للتنبكتي: 85/2.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 234.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية:78/3.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 686.
- معلمة المغرب قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى: ص 6462. موقع فشتالة.

أحمد الفشتالي، وعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الصنهاجي الفشتالي، ومحمد العربي بن أحمد بن عبد الكريم الفشتالي الفقيه العلامة المشارك، وغيرهم.

ففي هذه القرية القريبة من فاس التي تتفجر بالعلماء والعارفين والمثقفين ولد مُتَرْجَمُنَا في بيت علم وصلاح كابرا عن كابر فوالده أحمد كان شاعرا مجيدا وخطيبا مفوها بجامع قصبة فاس، وخطب أيضا بجامع مدينة سجلماسة[1] أيام أبي علي عمر المريني، وجده عبد الملك ولي القضاء والخطابة أيام أبي يعقوب المريني، وجد أبيه شعيب كان فقيها ذا نعمة وثروة وجاه من السلطان من أهل الخير والدين، وجد جده المسمى عبد الله بن موسى كان فقيها مفتيا مدرسا بفاس حضرة العلم وكان صالحا ورعا زاهدا، وكان من الدين والصلاح في المحل الذي لا يخفى، وأبوه وجده [أي موسى وابنه مالك] كانا أيضا من أهل الصلاح والورع العظيم.

ولا يخفى على من يفقه أن من ولد في بيت علم ونسل علماء كهذا لابد أن يسير وفق طريقتهم، وينهج نهجهم، ويتشرب علمهم، والظاهر أن والده أخذه إلى الكتاب ليحفظ القرآن الكريم على عادة المسلمين في ذلك الزمن في كل الأقطار، ولما تعلم القرآن وأتقن قراءته انتقل إلى أخذ باقي العلوم في فاس وربما في القرويين إذ لا يعقل أن يكون قريبا من فاس ولا يقرأ في القرويين لأن هذا الجامع المبارك كان حاضرة العلم وجامع العلماء من كل أقطار المغرب وغيره، وإن ذُكر أن من شيوخه أبو عبد الله بن آجروم وهو لم يجلس للتدريس في القرويين وإنما انتصب للتعليم والتدريس بجامع الأندلس على ما ذكر في "دائرة المعارف الإسلامية" كما ذكر الشيخ عبد الله كنون في كتابه "الذكريات"، وعلى كل فسواء درس في

[1] مدينة تاريخية كانت تقع وسط واحة كبيرة جنوب الأطلس الكبير، مقابلة لمدينة الريصاني في تافيلالت الحالية.

القرويين، أو في جامع الأندلس أو في غيرهما فقد تتلمذ على **أبي الحسن بن سليمان**، والقاضي **ابن عبد الرزاق** الذي سمع منه الترمذي، والإمام **محمد بن سليمان السطي**، والمحقق **أبو عبد الله بن آجروم** كما مضى، والمحقق الحافظ **أبو زكريا بن واثق**، والفقيه **أبو عبد الله الرندي**، والمحدث **ابن جابر الوادي آشي**، **وعبد المهيمن الحضرمي**، **وأبو عبد الله الطنجالي**، **وأبو جعفر الزيات** وغيرهم.

- **تدريسه وتلاميذه وتوليه القضاء:**

فلما اشتد عوده في العلم والفقه، وظهر نبوغه وتفوقه لمُعلميه سُمح له بالجلوس للتدريس، فأقرأ الناس في المدرسة التي بالعطارين في فاس وهي نفس المدرسة التي كان يدرِّس فيها العالم الرياضي والفقيه ابن البنا المراكشي غير أن كتب التراجم لم تذكر في أي سنة جلس للتدريس، إضافة إلى أنه كان خطيبا بالمدرسة التي بناها السلطان أبو عنان فارس المريني بإزاء باب المحروق[1] يقول تلميذه ابن الأحمر: "(...) وخطيب بالمدرسة التي بناها السلطان أبو عنان بإزاء باب المحروق، وهو أحد المفتين بفاس، ويدرس المدونة وغيرها بالمدرسة التي بالعطارين وحضرت حلقته غير مرة وأخذت عنه وأجازني إجازة عامة"، وقد أخذ عنه ثلة من العلماء الكبار الذين اشتهر علمهم وعلم فضلهم منهم:

أبو العباس أحمد بن محمد بن القاسم الجذامي المشهور بالقباب صاحب "شرح القواعد لعياض"، و**أبو زكرياء السراج** صاحب "الفهرسة"، وسليل الأمراء **أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر الغرناطي** صاحب "نثير الجمان" الذي ذكر أنه حضر حلقته غير مرة وأخذ عنه وأجازه إجازة عامة، و**ابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفد**، وغيرهم.

فذاع صيته من هاتين المدرستين لما رأى الناس ألمعيته وعرفوا قدره، فاشتهر أمره وعلمه، وطارت في الآفاق أخباره حتى سمع به سلطان المغرب أبو عنان فارس المريني الذي تولى الحكم بين سنتي 759/749هـ فاستقدمه إليه وأمره أن يتولى القضاء في مدينة فاس فامتثل

[1] هو أحد أبواب فاس وكان يسمى باب الشريعة.

وكان ذاك سنة 756هـ كما ذكر الزركلي في "الأعلام"، فسار فيه سيرة قضاة العدل والورع والاحتياط، فأحب السلطان تمكنه وإخلاصه في قضائه وتعليمه الناس فأمره بتولي السفارة عنه إلى الأندلس، وهناك تعرف على العالم الأندلسي الكبير الوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 772هـ صاحب "الإحاطة في أخبار غرناطة"، فتكونت بينهم صداقة دامت إلى الممات، ووقعت بينهم مراسلات ومدح وحب أخوي ذكر بعضه لسان الدين في كتابه.

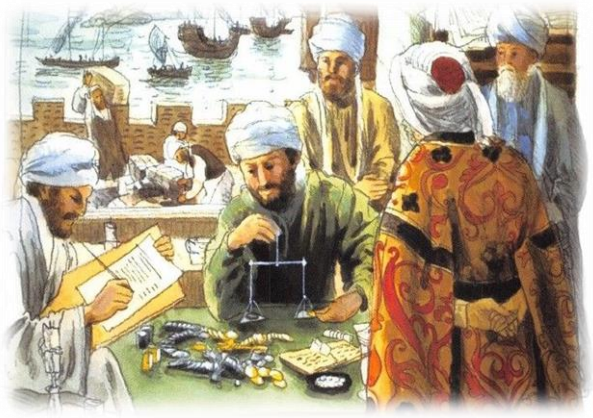

- **كتبه واقوال العلماء فيه:**

لم يكن محمد بن أحمد الفشتالي رحمه الله من المكثرين في التأليف فلم يشتهر له غير كتابين:

الأول: في الوثائق شرحه الونشريسي في كتاب سماه: "غنية المعاصر التالي في شرح وثائق الفشتالي" طبع بهامش وثائق الفشتالي بمدينة فاس.

والثاني: رسالة في الدعاء بعد الصلوات على الهيأة المعهودة رد عليه فيه الإمام أبو يحيى بن عاصم في تأليفه في الرد على الشيخ أبو سعيد بن لب كما ذكر التنبكتي.

والسبب في قلة كتبه التي وصلتنا مَرجعه ربما إلى أمرين اثنين في نظري لا ثالث لهما:

أحدهما: أنه كان مشغولا جدا، فقد كان مدرسا، وقاضيا، وسفيرا للأمير، فلم يكن يجد الوقت الكافي للفراغ للتأليف وكتابة بنات أفكاره.

والآخر: أنه ألف كتبا بيد أنها لم تشتهر له، فلم يعرفها علماء التراجم ولم يذكروها، خصوصا أنه تم إغفال الكثير من الأمور حول شخصيته منها تاريخ ولادته، والاختلاف في تاريخ وفاته، وجهل الأسباب وراء محنته كما سيأتي، وغير ذلك مما تم فقده عن شخصية هذا العالم.

إلا أن علماء زمانه خصوصا من كان له به اتصال مباشر قد عرفوا فضله وعلمه وتمكنه وقالوا فيه مقولات رائعة تنبأ عن احترام علمي كبير، وحب أخوي عميق:

- قال تلميذه إسماعيل بن الأحمر: "له علم بالتوثيق وصناعته وطريق إلى صياغته في حلل براعته، وهو مفت في المسائل الفقهية، ومتفنن في العلوم الأدبية، وله مشاركة في جميع العلوم النظرية والتعاليمية، وله ذهن ثاقب، ونظر في ميدان البحث لا يجاريه فيه فقيه ولا طالب، واعتناء بالعلوم الشرعية واقتناء بالمعالي البيانية، إلى وقار وبها، وثقوب فطنة ونُهى، وهمة سمت فوق السُّها".
- وقال تلميذه الآخر أبو زكريا السراج: "شيخنا الفقيه الخطيب البليغ المدرس العالِم العَلم المتفنن، الصدر الأوحد قاضي الجماعة، كان عالما بالفقه مشاركا في غيره من العلوم، مسددا في الفتاوى عارفا بأخذ الشروط، له حظ وافر من الرواية، شاعر مجيد وكاتب بليغ، حسن المعاملة للطلبة، مستحسنا لأبحاثهم، متمما لنقصها مُغْضِيا متغافلا عمن يُورد ما لا يحسن، صدرًا في القضاء ذا سمت فيه، لم أَرَ بعده من يُشبهه منهم، ولا من ينحو نحوه".

- وقال تلميذه ابن الخطيب القسنطيني: "شيخنا قاضي الجماعة، له عقل وسمت لم يكن لغيره من القضاة وله مجلس جليل في العلم".
- وقال التنبكتي بعد ذكر اسمه: "من بيت صلاح وخير، من أكابر الفقهاء، مشارك في غيره، غلب عليه الفروع وحفظ المسائل، وتقدم في علم الوثائق واشتهر بها، كان منقبضا عن الناس كثير الصمت حافظا للسانه لا يتكلم إلا لضرورة، وَلِي القضاء على سيرة قُضاة العدل، له نظم حسن وكتابة رائقة يضن بهما".
- أما صديقه لسان الدين بن الخطيب فقال في كلام طويل عنه: "هذا الرجل له أبوة صالحة، وأصالة زاكية، قديم الطلب، ظاهر التخصص، مفرط في الوقار، نابه البزة والركبة، كثير

التهمة يوهم به الفار، وصدر الصدور في الوثيقة والأدب، فاضل النفس، ممحوض النصح، جميل العشرة لإخوانه، مجري الصداقة نصحا ومشاركة وتنفيقا على سجية الأشراف وسنن الحسباء، مديد الباع في فن الأدب، شاعر مجيد، كاتب بليغ، عارف بالتحسين والتقبيح، من أدركه أدرك علما من أعلام المشيخة، قدمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس قاضيا بحضرته واختصه واشتمل عليه، فاتصل به سعده وعرف حقه، وتردد إلى الأندلس في سبيل الرسالة عنه فذاع فضله، وعلم قدره، ولما كان من الأندلس النبوة التي أصابت الدولة بلوت [أي اختبرت] من فضله ونصحه وتأنيسه ما أكد الغبطة وأوجب الثناء فخاطبته بما نصه:

مَن ذا يَعدُّ فضائل الفشتالي ... والدهرُ كاتب آيَها والتَّالي
عَلَمٌ إذا التمسوا الفنونَ بعلمه ... مرعى المُشيح ونُجعة المُكتال
نال الذي لا فوقها مِن رفعة ... ما أمَّلتها حيلة المحتال
وقضى قياس تراثه عن جَدِّه ... إن المُقدِّم فيه عين التالي

- **محنته مع السلطان أبو سالم ابراهيم المريني (762/760هـ):**

ذكر تلميذه إسماعيل بن الأحمر في "نثير الجمان" ما يلي:

"وكتب إليه أيضا ذو الوزارتين محمد بن الخطيب المذكور إثر نكبة أنكبه أمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم المريني من غير ذنب فعله أغرى به السلطان حسدا له:

تعرفت أمرا ساءني ثم سرني ... وفي صحة الأيام لابد من مرض
تغمدك المحبوب بالذات بعدما ... جرى ضده والله يكفيه بالعرض

في مثلها أبقى الله سيدي يجمل الاختصار، وتقرر الأنصار وتطرق الأبصار، إذ لم يتعين ظالم، ولم يتبين يقظ ولا حالم، وإنما هي هدية أجر، وحقيقة وصل عقَّبت مجاز هجر، وجرح جبار وليس به اعتبار، ووقيعة لم يكن فيها إلا غبار، وعثرة القدم لا تنكر، والله يحمد في كل ويشكر، وإذا كان اعتقاد الخلافة لم يشبه شائب، وحسن الولاية لم يعبه عائب، والرعي دائب

والجاني تائب، فما هو إلا الدهر الحسود لمن يسود، خمش بيد ثم سترها، ورمى بقوس ما أصلحها والحمد لله ولا أوترها إنما باء بشينه، وجنى من مزيد النعمة سخنة عينيه، ولا اعتراض على قدر أعقب بحظ مبتدر، وورد نغص بكدر، ثم أنس بأكرم صدر، وحسبنا أن نحمد الدفاع من الله والذب، ولا نقول مع الكظم إلا ما يرضي الرب (...)".

فجاوبه بقوله:

وأيـــــــــــم الله إبـرارا لأنـيـم لـقـد جـلـى كـتـابـك كـل غـم
وســـــاهـم في الحوادث من رمتـه فـفـاز مـن الـوفـاء بخير ســـــهـم

يا سيدي، أمد الله في أنوار تلكم الطريقة المثلى وبارك، وجزاها جزاء من ساهم على الحقيقة في الجلى وشارك، وصل كتابكم الصادق الصفاء، الصادر عمن لم يرض من الوفاء باللقاء فتأى [الثأي هو الإفساد] من صدع الأيام ورأب [أي أصلح]، ونأى في دفع الأوهام وقرب، وهو الدهر أبقاكم الله لا تثنى فلتاته، ولا يبنى على عقد صفائه يوم ليوى ولائه إلا كدر بالنقص مفتاته، وهذا ولو حاسب الإنسان نفسه لاستحقر ما استعظم، وعلم أن ما لا يرى وقى الله أعظم،

فـآه آه ومن جني عليه فليستغفر الله، فغفرا اللهم غفرا، وحمدا على السراء والضراء وشكرا. وسيدي أعزه الله المشكورة أياديه، المبرورة غاياته الجميلة مباديه، والله سبحانه يعين على واجبكم، ويشكر في حسن الإخاء جميل مواهبكم، والسلام".

فالظاهر من هذا الكلام أنه رحمه الله طالته أيدي الشقاء والمحنة، والسبب قضية شخص أو أشخاص حَسَدَوا فتجاوز حسدهم الصدور، فهرولوا واقفين عند السلطان في بلاطه وملكه، محرضين وداعين إلى العقاب كذبا وخداعا ومكرا، فالأهم عندهم أن يروا البلاء ينزل بالشيخ الفشتالي ولو كان في ذلك حرق لحسناتهم وذهاب لمياه وجههم.

وأما أبو سالم إبراهيم المريني هذا فقد جاء في مرحلة ضعف الدولة المرينية نتيجة الصراع على الملك والحكم والرياسة، والشقاق يولد الضعف والهوان، فأبو سالم هو الملك الثاني بعد مقتل أخيه أبي عنان سنة 759هـ على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي، فبعد موت والده أبو الحسن وتقلد أخيه أبي عنان الحكم استقر هو [أي أبو سالم] في الأندلس فنشأت بينه وبين بني الأحمر صلات ودية، وبعد مقتل أخيه أبي عنان وتنصيب ابنه أبو بكر السعيد وهو لا يزال طفلا في عمر خمس سنوات لجأ أبو سالم إلى ملك قشتالة الذي أمده بأسطول عبر به إلى المحيط الأطلسي فبايعته ناحية غمارة، وتوالت عليه البيعات من كل جنب، ثم زحف إلى فاس فتلقى على الفور بيعة قاتل أخيه الحسن بن عمر الفودودي فعينه عاملا على مراكش إبعادا لتدخله، إلا أن مكائده لم تنتهي ووجد تأييد قائد النصارى غرسية فأعلن خلع أبي سالم عن العرش وتنصيب تاشفين بن أبي الحسن، ثم انفضَّ عن أبي سالم وجوه دولته فخرج هاربا في نواحي فاس لينجو بنفسه إلا أن متعقبيه قبضوا عليه فذبحه أحدهم وهو نصراني الديانة، ودفن بجبل الزعفران خارج باب عجيسة في أواخر ذي القعدة سنة 762هـ»[1].

فهذه خلاصة حكم أبي سالم إبراهيم المريني سنتان فقط من سنة 760هـ إلى سنة 762هـ وفي هاتين السنتين وقعت محنة عالمنا محمد بن أحمد الفشتالي، وقد بحثت في كتب عديدة لأقف على تفاصيل ما جرى إلا أني لم أجد شيئا على الأقل لحد كتابة هذه السطور، فماذا جرى بالضبط؟، ومن أغرى به السلطان الذي حكم هذه المدة القصيرة؟، وماذا فعل به: هل عزله عن القضاء؟، هل ضربه؟، هل حبسه؟، هل منعه من التدريس؟، من هم الحاسدون الذين أغروا به السلطان؟، بأي تهمة واجهه؟، وما هي تبعاتها على شيخنا الفشتالي؟، كل هذه الأسئلة لم أجد لها جوابا فابن الأحمر رحمه الله أورد هذا الكلام باختصار شديد ولم يتطرق لأسباب هذه المحنة، ولم يبق أمامنا إلا طرح بعض الفرضيات التي ربما تكون السبب

[1] أنظر كتاب المغرب عبر التاريخ: 49.50/2.

في محنته مع هذا السلطان وهي فرضيات لا غير:

فكما مضى كان الشيخ الفشتالي مقربا جدا من أبي عنان فارس، وهو الذي عينه قاضيا، وكان يرسله سفيرا عنه إلى الأندلس، فهذا التفضيل والتقريب ربما أزعج بعضهم فبدأ يكيد المكائد ليوقع بين عالمنا والسلطان، فانتهز فرصة سيطرة أبي سالم إبراهيم المريني على فاس بمساعدة جيش قشتالة ومبايعة الناس له خوفا من الحرب فدبر ربما مكيدة عدم موافقة الشيخ الفشتالي على هذه البيعة، وعدم مبايعته للسلطان خاصة أنه كان عالما معروفا بين الناس وكلمته مسموعة فسارع هذا السلطان لعقابه عقابا لا ندري كيف كان، إذ لا شيء يخشى منه السلطان الغالب والراغب في الحكم أكثر من انتزاعه منه مرة أخرى، أو عدم موافقة العلماء على حكمه، فهذا قد يخرجه عن صوابه ويجعله يفعل أي شيء للمحافظة على هذا الحكم وإضفاء صبغة شرعية عليه، وهذه مجرد افتراضات لا غير قد تكون خاطئة خاصة أن الشيخ الفشتالي رحمه الله في جوابه على صديقه لسان الدين بن الخطيب قال في آخر كلمته: "وسيدي أعزه الله المشكورة أياديه، المبرورة غاياته الجميلة ومباديه" فيه دليل أن السبب ربما كان كلاما آخر وشبه مختلفة ملئ بها الحاسدون قلب السلطان عليه.

والمهم أن الشيخ الفشتالي رحمه الله أصابته محنة في فترة حكم هذا السلطان المسمى أبا سالم إبراهيم المريني والتي دامت سنتين، فهل انفرجت بمقتله وتولي ابن أبي الحسن أبو عمر تاشفين الموسوس الحكم أم أنها استمرت حتى في فترة حكم هذا السلطان؟ هذا ما لا أعلمه ولم أقف على جواب له لحد الآن.

- **شعره:**

كان الفشتالي رحمه الله شاعرا مجيدا وأديبا بليغا كما قال عنه العلماء، وقد حُفظت له بعض الأبيات الشعرية التي ربما كانت تخرج منه سجية بلا تدبير مسبق، ومن ذلك قوله يمدح سلطان المغرب أبا عنان فارس المريني:

أيـا إمـامـا نـدى كفيـه قـد وكفـا حســبي اعتصــامي بحبل منكم وكفى
وكيف أصـرف وجه القصـد عن ملك ما صــد عني ســنا بِشــرٍ ولا صَــرَفا
مـا إن شــكوت بمـا أضــنى تطلبـه إلا وجدت لديه من ضــناي شــفا
ولا وقـفـت عـليـه مـنـتـهى أمـلي إلا قضــى وطرا منــه ومـا وقفـا
في كـل يـوم لـه تجـديـد عـارفـة مهمـا انقضــت هـذه لهـذه ائتنفـا
ولـيـس ممـن يـرى ألا يـتـيـح يـدا حتى يقام له بالشــكر ما ســلفا

وقال رحمه الله رادا على أبيات لسان الدين بن الخطيب السابقة:

وافـت يجر الزهو فضــلـة بُردهـا حسـناء قد أضـحت نسـيجة وحدها
لله أي قصــيـدة أهـديـت لـو يهتدي المعارض نحو غاية قصــدها
لابن الخطيـب بهـا محـاســن جمـة قارعت عنه الخطوب ففلت من حدها
ســر البلاغـة عنـه أودع حـافظـا قد صــانه حتى فشــا من عندها
في غير عقـد نفثنـه بســحرهـا فلذا أتى ســلســا منظم عقدها
لم أدر مـا فيهـا وقمـت معـاونـا من طرســها أو معلمـا من بردهـا
حـتى دفـعـت بهـا لأبـعـد غـايـة بـاعـا تُقصــر في البلوغ بحـدهـا
حـدان مـن نـظـم ونـثـر إن مـن يلـقـاهمـا منـهـا بـذلـة عـبـدهـا
أولى يـدا بيضــاء موليهـا فمـا لي مـزيـة مـن أن أقـوم بحـمـدهـا
ورفضــت تكـذيب المنى متشــيعا لعلي مرآهـا يصــادق وعـدهـا
فبـذلـت شــعري رافعـا من برهـا وهـززت عـطـفـي رافـلا مـن بـردهـا

وكتب له مع هذه الأبيات الشعرية نثرا أدبيا يظهر مقدرته الأدبية العجيبة فقال: "خذها أعز الله جنابك، وأدال للأنس على الوحشة اغترابك، كغبة الطائر المتجعد، ونهبة السائر المستوفز، ومِقَة اللحظ، قليلة اللفظ، قد جمعت من سوامها وانقحامها بين نظم قيد، وصلود زند، ونوعت، فعلى إقدامها وانحجامها إلى قاصر ومعتد، وليتني إذ جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الوَدْق، وأنجاب العاني على مُزْنة فكرتي بتقاضي الجواب انجياب الطوق، وأيقنت أني قد سُدَّ علي باب القول وارتجح، وقلت: هذه السالفة الكلية فسدت لها الداعة من تكلم الإمرة وأنه إذ أعوزت المرة بالحلوة (...)".

- **وفاته:**

بعد حياة عامرة بالعلم والتعليم توفي مترجَمنا رحمه الله في خلافة المستنصر بالله أبو العباس أحمد بن أبي سالم الذي تولى الحكم بين سنتي 786/776هـ، وقد اختلفت كتب التراجم في سنة موته على قولين:

الأول: أنه مات سنة 777هـ وهو قول لصاحب "جذوة الاقتباس" و"درة الحجال" وكلاهما لابن القاضي، و"موسوعة أعلام المغرب" أوردته في وفيات سنة 777هـ كذلك.

والثاني: أخَّر موته سنتين فقال 779هـ، وهو قول ورد في "معجم المؤلفين"، و"نيل الابتهاج"، و"شجرة النور الزكية"، و"الأعلام"، و"كفاية المحتاج"، وهذا الأخير أورد قولا لتلميذه الخطيب القسنطيني المشهور بابن القنفد أنه: "توفي سنة تسع وسبعين وسبعمائة"، وهذا أقرب للصواب لأن أخبار أستاذه لا تخفى عليه والله أعلم، والمهم أنه توفي في القرن الثامن هجري فرحمه الله رحمة واسعة.

10. محمد بن قاسم القوري (804/872هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو العالم العلامة الهمام، المفتي المشاور، الحافظ المكثر **أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القوري اللخمي نسبا»**[1].

يرجع أصل العلامة القوري [بفتح القاف وتسكين الواو كما في "إتحاف أعلام الناس"، أو فتح القاف والواو كما في "السلوة"] إلى الأندلس، تحديدا من بلدة قورة قرب إشبيلية، ولم أقف على شيء من الكتب التي تكلمت عن هجرة أجداده أو آبائه إلى المغرب، كما لم أجد من تطرق لذكر نشأته ومراحل مهمة من حياته، الأمر الذي جعل ترجمته تفتقر إلى معلومات كثيرة لفهم مراحل حياة الرجل، خصوصا وأنه كان متميزا عن أهل زمانه، بارع في

---

[1] أنظر ترجمته في:
- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: 686/3.
- فهرس ابن غازي المسمى التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد: ص 65.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 319.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس للكتاني: 135/2.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج للتنبكتي: 184/2.
- درة الحجال في أسماء الرجال: 295/2.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ص 548.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي: 280/8.
- توشيح الديباج وحلية الابتهاج لبدر الدين القرافي: ص 202.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 261/1.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي الثعالبي: 95/4.
- وفيات الونشريسي: ص 105.

أفعاله، فريد في صفاتـه وإنجازاته، ولكن الثابت أنه مغربي المولد والنشأة والوفاة والدراسة والتدريس.

- **مولده وشيوخه:**

ولـد أبو عبد الله القوري في مدينة مكناس في أوائل القرن التاسع الهجري تحديدا سنة 804هـ كما قال صاحب "السلوة" وصاحب "شجرة النور"، غير أن مراحل نشأته الأولى مجهولة ولم أقف على من تكلم عنها من قريب أو بعيد.

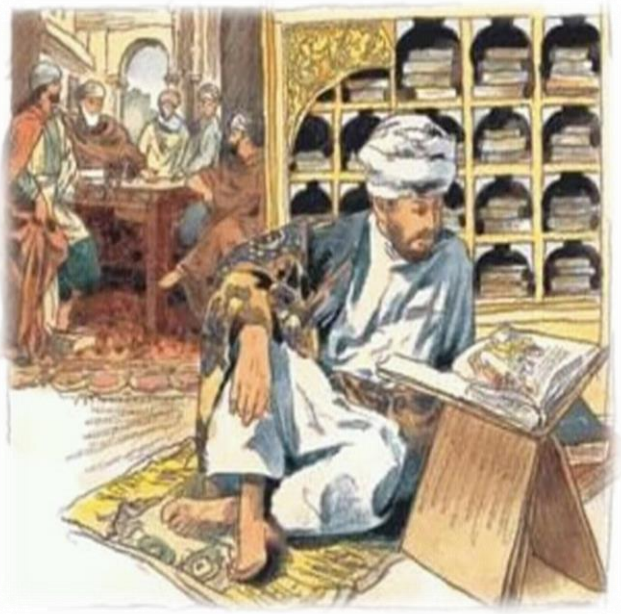

ولكن بالنظر إلى طبيعة الزمان والمكان لا شك أنه نشأ نشأة صبيان ذلكم الزمن، فتعلم أولى حروفه بالكُتاب بمدينة مكناس، فحفظ القرآن وأتقن قراءتـه، ثم انتقل إلى التبحر في شتى العلوم العقلية والنقلية على علماء مكناس الذين أدركهم:

فأخذ القراءات السبع على يد الشيخ والأستاذ **أبو عبد الله محمد بن يحيى بن جابر الغساني** كما ذكر ابن غازي في فهرسته المسماة بـ"التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد" التي ترجم فيها لجملة من شيوخه من ضمنهم أبو عبد الله القوري موضوع ترجمتنا، وروى عنه كذلك البخاري بسنده إلى مؤلفه كما ذكر مخلوف في "شجرة النور"، **وأبو موسى عمران بن موسى الجناتي** الحافظ راوية أبي عمران العبدوسي وعليه اعتمد في قراءة المدونة، وجمع عنه التقييد البديع على المدونة في عدة مجلدات، والشيخ المتفنن **أبو الحسن علي بن يوسف التلاجدوتي** أخذ عنه العربية، والحساب، والعروض، والفرائض، والشيخ **أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج بن عزوز** أخذ عنه الحديث،

والتاريخ، والسير، وبعض الطب[1]، وتبحر في علم الطب على الشيخ **ابن غياث السلوي**[2] الذي كان مجيدا فيه بارعا في معرفته رحمه الله، وفي هذا دليل على أن سلفنا رحمهم الله لم يكونوا يعرفون شيئا اسمه التخصص، بل كانوا يدرسون كل ما يقفون عليه ما دام يطلق عليه اسم علم، لذلك شيدوا تلك الحضارة التي شرفتهم وشرفتنا بانتمائنا إليها، ولما ظهر هذا التخصص ترى العالم يصول ويجول في علم محدد وفن معين، وإذا سئل عن غيره لم يفرق فيه بين كوع وبوع واستتر وراء حجة التخصص، وما هكذا كان سلفنا رحمهم الله بل أخذوا من كل فن وعلم بنصيب والله المستعان.

ولما استوفى أبو عبد الله ما عند علماء مكناس من علوم وفنون، شد الرحال صوب مدينة فاس عاصمة العلم لينهل من علوم علمائها فقرأ فيها على: الشيخ الفقيه المتقن العالم المحقق **أبو القاسم التازغدري** ربما سأله واستفاد منه، والشيخ الحافظ الفقيه المحدث **أبو محمد عبد الله العبدوسي** وهو في الحقيقة مخضرم مكناسي فاسي باحثه كثيرا واستفاد منه مشافهة ومكاتبة، وهو الذي أجلسه للتدريس بفاس كما أجلسه للتدريس بمكناسة، والشيخ الفقيه، الصالح الزاهد **أبو محمد عبد الله بن حمد**، قال ابن غازي: "وأدرك غير هؤلاء ولكن اعتماده كان على هؤلاء".

- **تدريسه وتلاميذه:**

لا شك أن القوري كان حاد الذهن، متوقد الذكاء جدا، ودليل ذلك أنه كان يحفظ المدونة في صدره حتى وصفه الحجوي الثعالبي: "بآخر حفاظ المدونة بفاس"، وهذا ما بوأه لأن يؤثر في شيخه أبي محمد عبد الله العبدوسي بعلمه ونبوغه وتمكنه فيجلسه للتدريس في مكناس وفاس، غير أنه مرة أخرى لا يعرف شيء عن سنوات جلوسه للتدريس، أو ما الذي دفعه

---

1 قال ابن غازي: فيما أظن.

2 لما ذكر ابن غازي رحمه الله دراسة شيخه القوري على ابن غياث السلوي لم يذكره في شيوخ مكناس ولا في شيوخ فاس، بل قال: "وممن أدرك من الشيوخ السلويين (...)"، فربما سافر القوري رحمه الله نحو مدينة سلا ليأخذ الطب عنه خاصة أنه كان مبرزا فيه متقنا له، إلا إن كان ابن غياث قد جلس للتدريس في إحدى المدينتين، ولم أتأكد من ذلك لأنني لم أقف على ترجمته بعد.

للتدريس في كلتا المدينتين؟، هل وقع له كتلميذه ابن غازي الذي رجع من فاس بعد التحصيل للتدريس بمكناس إلا أنه خرج منها وعاد إلى فاس؟، أم أن جلوسه للتدريس في كلتا المدينتين كان بمحض إرادته واختياره من غير ظروف جانبية ألجأته لذلك؟، وعلى كل فقد كان أستاذا بارعا، وشيخا مفوها، وعالما متمكنا، وفقيها حافظا، وهذا يظهر من خلال العلوم التي كان يدرسها لطلبته، ويتضح ذلك فيما ذكره تلميذه ابن غازي في ترجمته حيث ذكر بعض الكتب التي أخذها عنه وهي:

- المدونة: وكان ينقل عليها كلام المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والموثقين، ويطرز ذلك بحكاياتهم، وذكر موالدهم ووفياتهم، والتنقير عن أنبائهم، وضبط أسمائهم، ويشبع الكلام في الأحاديث التي ينزعون بها في انتصارهم لآرائهم، فكان في مجلسه نزهة للسامعين، تبارك الله أحسن الخالقين.
- موطأ الإمام مالك بن أنس برواية يحي الليثي.
- السيرة لابن إسحاق رواية عبد الملك بن هشام وتهذيبه.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض.
- مختصر الجوزقي.
- وثائق أبي قاسم الجزيري.
- مختصر الشيخ خليل.
- التفسير.
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
- الألفية بكلام المرادي عليها، وغير ذلك من الكتب التي سكت عنها ابن غازي.

وقد كان من ثمرة هذا الجهد المبذول، وهذه الموسوعية والتبحر والتمكن العلمي أن خرَّج طلابا صار الناس يحتاجون علمهم، ألفوا كتبا لم يؤلف مثلها، وطارت أخبارهم، وقصدهم الناس

للدراسة والسماع، نذكر أشهرهم، وإلا فإن الإحاطة بكل تلاميذه شيء عسير، فمن درَّس في مدينتين مختلفتين، وكان في درجته لا شك أن تلاميذه لا يحصيهم ديوان كاتب فمنهم:

1. **أبو عبد الله محمد بن غازي المكناسي.**
2. **وأحمد بن أحمد زروق.**
3. **وعبد الله بن أحمد الزموري شارح الشفا.**
4. **وأبو الحسن الزقاق.**
5. **والقاضي المكناسي.**
6. **والمفتي أبو مهدي الماواسي.**
7. **والحافظ الونشريسي مؤلف المعيار وغيرهم.**
8. **والشيخ إبراهيم بن هلال الثقفي.**

- **مؤلفاته:**

من بين الأسباب التي جعلت أخبار ثلة من علماء المغرب تقل وتندثر إضافة إلى إهمالنا لعلمائنا وعدم التعريف بهم، وتقييد أخبارهم، عزوفهم عن التصنيف والتأليف، فتجد العالم لا يجارى في العلوم والفنون، طويل الباع فيها، غير أنه يزهد في الكتابة والتأليف، فتندثر أخباره باندثار تلاميذه ومعارفه، إلا إن كان من بين طلبته ومعارفه طالب بار نجيب يقيد شيئا من أخبار أستاذه ويحفظها من الزوال، فيعرف اسمه ويشتهر ما اشتهر تلميذه وكتابه، وهذا ما حصل مع شيخنا القوري، فهو رحمه الله لم يعرف له شيء من الكتب إلا واحد وهو شرح لمختصر الشيخ خليل، قال السخاوي في "الضوء اللامع": "وعلق على مختصر الشيخ خليل شيئا لم ينشر وانتفع به الطلبة"، وقال الكتاني في "السلوة": "وأما شرحه على المختصر فذكر الشيخ أبو الحسن المنوفي شارح "الرسالة" في شرحه على خطبة "المختصر": إن القوري شرحه في ثمان مجلدات، ولم أره لغيره ولا ذكر له البتة عند أهل فاس".

ولعل السبب في عزوفه عن التأليف هو كثرة انشغاله بالتدريس والبحث الدائم لينفع طلابه، أضف أنـه كان ممن يرجع إليـه في الفتاوى لثقة الناس بــه، ولـمعرفتهم بطول باعه في العلم، والفتوى تحتاج إلى البحث الكثير والتثبت الرصين حتى يكون المفتي على استعداد دائم لـما يسأل عنه، وقـد ذكره تلميذه الونشريسي ثماني عشرة مرة في كتابه "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" ما بين أقوال وفتاوى وإجابات عن أسئلة، مواضع ذكرها في "المعيار" كالتالي نقلا من فهرس المجلد 13:

الجزء	رقم الصفحة
(1)	202، 274، 319.
(2)	396، 397، 398، 475.
(3)	41، 372.
(6)	139، 471.
(7)	18، 187، 254، 259، 328.
(8)	110، 233.

وفي هذه المواطن التي ذكره فيها كان الونشريسي رحمه الله يراسله فيما استشكل عليه بأسئلة يطلــب جوابها منه في أكثر من مرة لعلمه أن شيخه هو المفزع في المبهمات عليه والمشكلات، ومن جانبه يتفضل الشيخ القوري رحمه الله بإجابته على الوجه المطلوب بما يزيل إشكاله، وكذلك كان ابن غازي رحمه الله يراسله بعد تركه فاس وانحداره نحو مكناس قال عن ذلك: "وبعدما ارتحلت عنه لمدينة مكناسة كنت أكاتبه بكل ما يعرض لي فيجيبني كما أحب تقبل الله تعالى منه بفضله"، وفي هذا دليل قوي على عمق العلاقة التي كانت تجمعه مع طلبته.

- **ثناء العلماء عليه:**

كـانت للشيخ القوري رحمه الله مكانة خاصة في نفوس تلاميذه ومعاصريه والمتأخرين عنه ممن

تناقلوا أخباره، واهتموا بسيرته، إذ حلوه بصفات تنبئ عن حب واحترام، وفي المقابل تميط اللثام عن قيمة الرجل العلمية وتمكنه ونبوغه:

- نقل الكتاني في "السلوة" عن تلميذه الونشريسي أنه قال: "الفقيه البركة، المعظم المفيد، الصدر الأوحد، العالم العلامة، الجامع الشامل المشار إليه في سماء تحقيق العلوم العقلية والنقلية بالأنامل، الرفيع القدر والشأن، الذي لم يختلف في فضله وسعة علمه اثنان، تاج الأئمة الحفاظ، ومن تكل عن ذكر أوصافه عن الإتيان بأوصافه العلمية والنورية الفِقَرُ والألفاظ، سيف الله الأقطع، وبدر العلوم الأوضح الأسطع، الإمام القدوة، المولى العماد، المشاور الأرجح الأولى، حامل راية النص والقياس، ورأس العلوم والناس، ومفتي حضرة فاس، العالم العامل، الذي برز في تحقيق العلوم وفاز، وعقد له في قلم الفنون اللواء الجماز، سيدي محمد ابن الشيخ البركة الفاضل، الحسيب الأصيل، الكامل الناصح، الصالح النافع، الخاشع المبرور، أبي الفضل قاسم القوري".
- وقال تلميذه ابن غازي: "الشيخ الفقيه، العالم العلم، المفتي المشاور، الحجة الأنزه، الحافظ المكثر، أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي، كان رحمه الله تعالى آية الله تعالى في التبحر في العلم والتصرف فيه، واستحضار نوازل الفقه، وقضايا التواريخ، مجلسه كثير الفوائد، مليح الحكايات، وكان له قوة عارضة، ومزيد ذكاء، مع نزاهة وديانة، وحفظ ومروءة:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

- وقال السخاوي كما في "الضوء اللامع": "(...) مفتي المغرب الأقصى كان متقدما في حفظ المتون وفقيهها".
- وقال ابن القاضي في "درة الحجال": "محمد بن قاسم القوري الإمام المفتي بفاس، وآخر حفاظ المدونة بها".

- وقال التنبكتي كما في "كفاية المحتاج": "الإمام الحافظ العلامة".
- وقـــال ابن زيدان في "الإتحاف": "كان حامل راية النص والقياس، ولواء المعاريف بين فطاحلة العلم وخصوصا بفاس ومكناس، له الشأو البعيد في النزاهة وإخلاص العمل (...)".
- وقال مخلوف في "شجرة النور": "شيخ الجماعة بفاس، وعالمها العلامة، ومفتيها العلامة المشاور الفهامة، الشيخ الفاضل، المتبحر في العلوم مع استحضار النوازل".
- وقال الحجوي الثعالبي: "الإمام المتبحر المفتي المشاور الحجة الأنزه آخر حفاظ المدونة بفاس كان ينقل في درسه لها كلام المتقدمين والمتأخرين وذكر تواريخهم ووفياتهم وضبط أسمائهم ويشبع الكلام عن الأحاديث التي يستدلون بها".

- **وفاته ومكان دفنه:**

قال ابن غازي رحمه الله: "وكان لسانه رطبا بلا إله إلا الله تسمعها جارية على لسانه في أثناء حديثه"، بعد عمر دام 68 عام صرف أكثره في العلم والعبادة، توفي مترجَمنا رحمه الله بمدينة فاس في أواسط أو أواخر ذي القعدة من سنة 872هـ، ودفن رحمه الله داخل باب الحمراء كما ذكر الكتاني في "سلوة الأنفاس"، فرحمه الله تعالى رحمه واسعة، ونفعه بعلمه وعمله وأقواله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

11. محمد بن غازي المكناسي (919/841هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي»**[1]، هذا الرجل من العلماء الموسوعيين الذين عرفهم التاريخ المغربي، وتشرفت الأراضي المغربية بأن ضمت وأنجبت شخصا كهذا، رجل عقمت أرحام النساء أن تلد مثله في عصره وربما في العصور التي تلت عصره، إنسان إذا اطلعت على سيرته، وقرأت أخباره، وخبرت أحواله، لا

[1] أنظر ترجمته في:
- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: 7/4.
- توشيح الديباج وحلية الابتهاج لبدر الدين القرافي: ص 160.
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: ص 55.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 320.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس: 85/2.
- درة الحجال في أسماء الرجال: 147/2.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: ص 890.
- فهرس ابن غازي تحقيق محمد الزاهي: ص 3.
- فهرس أحمد المنجور: ص 18.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ص 581.
- شجرة النور الزكية: 276/1.
- الأعلام قاموس تراجم: 336/5.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 628.
- معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى: ص 6276.
- القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: ص 69.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش: 11/4.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 100/4.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: ص 1329.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 208.
- مختصر خليل ومعه شفاء الغليل في حل مقفل خليل بتحقيق الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب: ص 47.
- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون: لابن غازي المكناسي.

تملك إلا تقف مندهشا مبهورا من علمه واطلاعه مرددا قول الله تعالى ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة**﴾ **[القصص الآية 68]**، وهب نفسه للعلم وأخلص في ذلك فانفجرت خفاياه ومكنوناته بين يديه، وألف كتبا عز أن يوجد لها نظير، وهاك مثالا على ما أقول ذكره هو بنفسه في كتابه "الروض الهتون" قال:

"وحدثني شيخنا الأستاذ السيد أبو الحسن علي بن منون الحسني أنه بلغه عنه أنه أملى في مجلس درسه بمكناسة على قوله عليه السلام: «**أبا عمير ما فعل النغير**» أربعمائة فائدة، وكنت قد تأملت هذا الحديث فانقدح لي فيه زهاء مائتين وخمسين من الفوائد فقيدت رسومها ولم أجد فراغا لبسطها"، فهذا الحديث النبوي الصغير الذي يتكون من خمس كلمات تضم ثمانية عشر حرفا فقط استخرج منه أكثر من مائتي مسألة، فما بالك بالأحاديث الطوال!! ثم إن حياته لم تكن قاصرة على العلم فقط، فقد كان مجاهدا شجاعا رابط على الثغور، ودافع عن بلاده صادا الاحتلال البرتغالي غير ما مرة، فلله دره من عالم فقيه نحوي أديب مقرئ ومجاهد.

- **ثناء العلماء عليه:**

قبل الكلام عن حياته وشخصيته، وما قدمه للناس من خدمات، وما خلفه من تراث علمي، أود أن أبدأ بذكر أقوال العلماء فيه، وثناءهم عليه حتى يتضح قدره، ويُعلم فضله، وتظهر سيرته، كي يوضع في المكان الذي يستحقه تقديرا وتوقيرا واحتراما وإعجابا لأن أقوال العلماء في العلماء خير دليل على معرفة قدر العالم، لأنه كما يقال: أهل مكة أدرى بشعابها، والعلماء هم أدرى الناس بالعلماء لأن مجالهم واشتغالهم واهتمامهم واحد:

- قال تلميذه عبد الواحد الونشريسي: "شيخنا الإمام العالم الأثير السيد أبو عبد الله، كان إماما مقرئا مجودا صدرا في القراءات متقنا فيها، عارفا بوجوهها وعللها، طيب النغمة قائما بعلم التفسير والفقه والعربية متقدما فيها عارفا بوجوهها، ومتقدما في الحديث حافظا له واقفا على أحوال رجاله وطبقاتهم، ضابطا لذلك كله معتنيا به ذاكرا للسير والمغازي والتاريخ والأدب فاق في كله أهل وقته".
- وقال بدر الدين القرافي في "توشيح الديباج": "الإمام العلامة المتبحر، جاع أشتات الفضائل، محط رحال العلماء الأماثل، خاتمة علماء القطر المغربي، صاحب التصانيف المفيدة، وصفه الشريف محمد بن علي التلمساني صاحب حاشية الشفا: بشيخنا بركة قطرنا وعالم عصرنا الإمام التفنن الذي لا يسمح الزمان بمثله".
- وقال أبو الفضل مسعود بن محمد جموع: "عقب ذكره لترجمته وحديثه عن سمو مكانته قال: حتى قال فيه القائل:

تكلم في الحقيقة والمجاز فما في الأرض مثلك يا ابن غازي

- وقال أبو عبد الله الكفيف الأنفاسي:

حبر تثبت والإنصاف شيمته أكرم به طاب من خَلق ومن خُلق
أتى به الدهر فردا لا نظير له مثل البخاري لما جاء بالعتقي

- وقال ابن زيدان في "إتحاف أعلام الناس": "عالم العصر، وبركة القطر، المتفنن الذي لم يسمح الزمان له بمثيل، بحر زخار تتلاطم أمواج تحقيقه، حافظ حجة، فرضي حيسوبي عروضي خطيب، جامع شتات الفضائل، مقرئ مجود، صدر في القراءات متقن لها عارف بوجوهها وعللها، طيب النغمة عذب المنطق، حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان، عارف بصنعة التدريس، ممتع المجالسة، جميل الصحبة، سري الهمة نقي الشيبة، حسن الأخلاق والهيئة، عذب الفكاهة، معظم عند الخاصة والعامة، نصوح قائم بعلم التفسير والفقه والعربية والحديث، حافظ له واقف على أحوال رجاله وطبقاتهم، ضابط لذلك كله

معتن به ذاكر للسير والمغازي والتاريخ والآداب".

- وقال أبو عبد الله محمد المدرع الفاسي في نظمه لصلحاء فاس:

كـذا ابن غـازي المحقق الشـــهير العـالم العـلامـة البـحـر الخـطـير
نـعـم الإمـام الجـامـع الـدرايـة معـتـمـد الســـلـف في الـروايـة
لـه تـآلـيـف بـدت مشـــهـورة تـنـبـئ عـن عـلاه بـالضـــرورة

- وقال الكتاني كما في "السلوة": الشيخ الإمام العلامة الهمام شيخ الإسلام والدين وبقية العلماء المجتهدين، حصن الملهوفين والطالبين، وملجأ سائر القراء والراغبين، السيد الصالح والقدوة الناصح، ذو المورد الروي والمجلس الفسيح البهي، الحافظ الرواية المكثار، المحرر لما انبهم على كثير من النظار، خاتمة العلماء وآخر الأعيان النبلاء".

وهاك شيئا من سيرته باختصار شديد، وإلا فإن الكلام عن هذه الشخصية تحتاج إلى بحث لوحدها كي نوفيها حقها في التعريف ليظهر للخلف ما كان عليه سلفهم رحمهم الله، وهذا عينة من ذلك.

• مولده ودراسته وشيوخه:

ولد ابن غازي رحمه الله في مكناس سنة 841هـ وبها نشأ وتعلم أولى حروفه وحفظ أولى محفوظاته، ولما شب قليلا رحل إلى مدينة فاس ليستكمل تعليمه ويكوِّن شخصيته الفريدة التي بقيت ملازمة له طوال حياته قال في "الروض الهتون" متحدثا عن نفسه ومراحل تعلمه: "ابن غازي العثماني منسوبا لأبي عثمان، وهو من قبيلة كتامة حسبما ذكر ابن خلدون في كتاب "العبر"، نشأت بهذه المدينة كما نشأ بها أسلافي، وقرأت بها، ثم ارتحلت إلى مدينة فاس في طلب العلم أظنه سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فأقمت بها ما شاء الله تعالى ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها بـ"التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد".

وقبل الحديث عن شيوخه وما أخذه عنهم ينبغي ألا نغفل عن المجهود الكبير والدور العظيم

الذي قامت به والدته رحمة بنت الجنان في تكوينه العلمي والخلقي، فهي رحمها الله كانت قبل أن تتزوج بوالده تحت رجل عالم اسمه أبو عبد الله محمد بن عزوز الصنهاجي فساعدها على حفظ كثير من الأحاديث النبوية وفقهها على أحسن وجه، ولما توفي رحمه الله تزوجها والد ابن غازي فأولدها ابن غازي هذا موضوع ترجمتنا فكان لها الفضل في توجيهه الخلقي والعلمي قال رحمه الله عن ذلك والكلام في "الروض الهتون": "وقد كانت أمي حفظت منه حديثا [من زوجها الأول الحاج أبو عبد الله محمد بن عزوز الصنهاجي] كثيرا من الصحاح، وكادت أن تحيط حفظا بالأدعية الواردة في الصحاح فحفظت منها كثيرا في أيام الصغر فلم أتعب في حفظه بعد الكبر ولله الحمد، وكانت رحمها الله تعالى ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف وكان علمها كثيرا من تفسير قصصه وأخباره فنفعتنا بذلك في الصغر غاية برد الله تعالى ضريحها".

فلما بلغ سبع عشرة سنة وكان قد أخذ في مدينة مكناس قسطا من العلم، رحل إلى فاس لكونها المركز العلمي الذائع الصيت آنذاك لاحتوائها على جامع القرويين الذي يضم ألمع العلماء فأخذ على ثلـــة منهم أمهات كتب المالكية وكتب السنة منهم في الطليعة:

أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري سمع عليه تبحرا وتوسعا بعض التفاسير وكان إمام وقته في المعقول والمنقول، سمع منه المدونة، والموطأ برواية يحي الليثي ضبطا لمتنه وتفقها فيما لابد منه، وبعض سير ابن إسحاق رواية عبد الملك بن هشام، وبعض مدارك القاضي عياض، وبعض مختصر الجوزقي، وبعض وثائق أبي القاسم الجزيري، وبعض مختصر خليل بن إسحاق، وغير ذلك من الكتب، **وأبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي الشهير بالصغير** قال عنه ابن غازي: "ما رأت عيناي قط مثله خلقا وخلقا وإنصافا وحرصا على العلم ورغبة في نشره، واجتهادا في طلبه وإدمانا على تلاوة التنزيل العزيز وحسن نغمة بقراءته، وتواضع وخشية ومروءة وصبرا واحتمالا وحياء، وصدق لهجة وسخاء وإيثارا ومواظبة

على قيام الليل، وتبحرا في القراءات وأحكامها، وبلغ في علم النحو مبلغا لم يصل إليه أحد من أترابه ولا من أشياخه"، **وأبو العباس أحمد بن عمر المزجلدي** قال عنه: "ما أدركنـــا بفاس أعلم منه بالمدونة" سمع منه بعض البيوع، **وأبو علي الحسن بن منديل المغيلي** سمع منه في القرويين بعض رسالة محمد بن أبي زيد، **وأبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبي القاسم القرموني**، حضر مجلسه في القرويين في الرسالة، والفقيه المتفنن **أبو زيد عبد الرحمن الكاواني** قرأ عليه في مكناسة الرسالة قراءة تحقيق وتدقيق، وختمتين في فرائض التلقين فقها وعملا، وبعض الألفية، وبعض المدونة، وبعض تفريع ابن جلاب، قال عنه: "وكان إماما في أصول الدين فتح بصائرنا فيها وفي أصول الفقه"، **وأبو الحسن علي بن منون الشريف الحسني المكناسي** قرأ عليه القرآن العزيز ختمات كثيرة، وتمرن عليه في الفرائض والوثائق وإعراب القرآن وأوقافه، **وأبو العباس أحمد بن سعيد الحباك القيجميسي المكناسي** قرأ عليه نحو ثلث شرح ابن عقيل على الألفية تحقيقا وتدقيقا لاسيما في الشواهد الشعرية، **وأبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد الغساني** المكناسي الدار، **وأبو عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد النفزي الحميري الشهير بالسراج** أجازه في كثير من الكتب قال عن ذلك: "وقد أجاز لي جميع ما رواه من ذلك آخر ربيع الثاني عام ستة وسبعين وثمانمائة فمن ذلك: الحديث المسلسل بالأولية، والحديث المسلسل بالسؤال عن الاسم وتوابعه، وناولني رحمه الله تعالى فهرسة جده، وأجاز لي جميع ما انطوت عليه بعد أن قرأت عليه بعضها وحدثني بذلك كله عن أبيه عن جده عن صاحبها وذلك بمدينة فاس (...)"، والقاضي المدرس المفتي **أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياغلي** استفاد منه في الفقه وأصوله وأصول الدين وأجاز له جميع ما حمله عن شيوخه، والفقيه **أبو عبد الله محمد بن يحى البادسي** جالسه كثيرا وصاحبه في السفر مرارا وقرأ عليه جمع الجوامع لابن السبكي، والشيخ **أبو الفرح محمد بن أحمد الطنجي** جالسه بجامع القرويين على قراءة صحيح البخاري تحقيقا وتدقيقا وبحثـــا ومطالعة، وقرأ عليه بعـض

صحيح مسلم، وفهرسة أبي شامل الشمني.

كما أجاز لمترجمنا الحافظان المصريان **أبو عمرو عثمان الديمي، وأبو عبد الله محمد السخاوي** استجازهما له صديقه ورفيقه الشيخ زروق سنة 885هـ كما أجاز له العلامة **ابن مرزوق الكفيف** من تلمسان.

- **جلوسه للتدريس، وخروجه من مكناسة:**

لما أخذ كفايته من العلم، وصار مبرزا في كثير من العلوم، وسمح له بالتدريس والخطابة عاد إلى مسقط رأسه فولي خطابة مكناسة الزيتون، وتصدر للتدريس بجامعها الأعظم، إلا أن أيدي الشر والظلم طالته فأخرج أو خرج مبتعدا عن مدينته التي عشقها بجنون وألف فيها كتابا يشهد بذلك قاصدا المشرق إلا أن أهل مدينة فاس لم يسمحوا له بالذهاب وتشبثوا به فبقي عندهم هناك فانتفعوا بعلمه كثيرا، ومن هناك بدأ إشعاعه العلمي وطارت في الآفاق أخبار تمكنه وموسوعيته قال عبد الله المرابط الترغي: "نشط ابن غازي في فاس فحرك مجلس علمه بها، وبعث الحركة التعليمية على أشدها، فتكاثر عليه الطلبة والراغبون في العلم ودرس مختلف العلوم والفنون من فقه وحديث وتفسير وأصول ولغة وأدب ونحو وغيرها، ويعتبر الإمام ابن غازي باعث النهضة العلمية التي شهدها عصر السعديين بعده".

وأما السبب الذي دفعه للخروج من مدينة مكناس فمجهول، لأنه لما تحدث عن ذلك لم يطل الكلام عن السبب بل دعا كل من يقف على هذا الأمر أن يظن الخير ولا يبحث عن الخبر قال في "الروض الهتون": "ثم عدت إلى مدينة مكناسة كلاها الله فأقمت بين أهلي وعشيرتي زمانا ثم انتقلت إلى مدينة فاس كلاها الله تعالى فاستوطنتها:

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
وإنما الدنيا قنطرة للعباد يعبرون عليها ليوم الميعاد

فامتثل علماء التراجم لقوله ولسان حالهم يقول: "هذه مؤونة كفيت"، وهذا مما لم يوافق عليه

الشيخ عبد الله كنون لما ترجم لابن غازي حيث قال: "وما هي بأول غفلات مؤلفي التراجم عندنا عن العناصر الأساسية التي تتكون منها ترجمة الذي يعرفونه"، فلذلك لم يتطرق أحد ممن عاصره أو تتلمذ على يديه لذكر سبب الخروج أو النفي بشكل مباشر مكتفين بقولهم: "لما نفي من بلده مكناسة على عهد محمد بن أبي زكرياء الوطاسي"، ولا شك أن القضية كانت سياسية إذا علمنا أن ابن غازي كان رجلا في الخمسين من عمره لما ترك مكناس، وعالم مثله وفي عمره هذا لا شك أنه يجاهر بالحق ولا يخشى شيئا، واشتهاره بالعلم والورع والدين يدحض فرضية صدور عنه ما يوجب النفي من بلده شرعا.

- **تلاميذه:**

وعليه فأيًّا كان السبب فإنه استوطن مدينة فاس وسكن حومة البليدة سنة 891هـ كما يقول الكتاني، وولي خطابة فاس الجديد، ثم تولى الخطابة والإمامة والتدريس بجامع القرويين وأسندت إليه كراسي تدريس الفقه والعربية والحساب والفرائض وغيرها، فقصده الناس من كل أنحاء إفريقيا الشمالية للأخذ عنه فضلا عن مدن المغرب، فهؤلاء كثير من علماء تلمسان رووا عنه وتتلمذوا له وهي من هي آنذاك، وإذا أردنا أن نذكر تلاميذه فمن التعسف أن يدعي الشخص الباحث الإحاطة بكل تلاميذه، فمن لقب بشيخ الجماعة وكان على قدره لا يمكن لباحث أن يتتبع كل من أخذ عنه، ولكن يكفيه أن يذكر مشاهير تلاميذه الذين صاروا علماء يشار لهم بالبنان ليكون قد استوفى جهده في تعريف هذا العالم الفحل، ومن أشهر من تتلمذ على يديه رحمه الله:

أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي، انتهت إليه رياسة العلم في فاس في وقته، وجمع بين الفتيا والقضاء والتدريس وهو من أجل تلاميذ ابن غازي وأحبهم إلى قلبه

كان يكتب له ما يحتاجه، وكان ابن غازي يقدمه على كثير من طلبته، وهو نجل صديقه أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب "المعيار المعرب"، و**أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي الفاسي** الفقيه النحوي المقرئ المتوفى سنة 930هـ صاحب كتاب "تقييد وقف القرآن" الذي ارتضاه المغاربة في تحديد مواطن الوقف، و**محمد بـــن علي الحسني التلمساني** شارح الشفا للقاضي عياض، أخذ عنه سنة ثلاث عشر وتسعمائة كما صرح بذلك صدر شرحه للشفا، و**أحمد بابا التنبكتي** صاحب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، و**أبو عبد الله محمد بن عدة الأندلسي** المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة على ما في لقط الفرائد كما ذكر صاحب "إتحاف أعلام الناس"، و**أبو العباس أحمد بن قاسم الزقاق الفاسي**، وابنه **أبو العباس محمد بن محمد بن أحمد بن غازي العثماني**، و**أبو الحسن علي بن موسى بن هارون المطغري الفاسي**، و**أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الشهير بالدقون** خطيب القرويين، و**أبو علي الحسن بن عثمان التاملي الجزولي** إمام القراءات، و**أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الوهراني المغراوي الشهير بشقرون**، و**أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مجبر المساري** النحوي الفرضي المقرئ، و**أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الدكالي**، و**عبد الله بن عمر المدغري أو المضغري** وهو من كبار الآخذين عن ابن غازي، و**أبو محمد عبد الرحمن بن علي بـن أحمد القصري الفاسي السفياني المعروف بسُقين**، و**أبو عبد الله محمد الكفيف الأنفاسي**، و**أبـو الحسن علي بن عيسى الراشدي** الأستاذ النحوي، وغيرهم كثير وكثير.

- **ما خلفه من تراث علمي:**

لم يكن ابن غازي رحمه الله مجدا ومجتهدا في الخطابة والتدريس فقط، بل كان مؤلفا بارعا، وكاتبا بليغا، ألف عدة كتب في مختلف مجالات العلم من فقه وحساب وقراءات وغيرها، وقد اشتهرت بعض كتبه في الأوساط العلمية والثقافية كثيرا، ونوه بها العلماء واعتنوا بشرحها من

ذلك مثلا: أرجوزته المسماة "تفصيل عقد درر ابن بري" أو "تفصيل عقد الدرر في طرق نافع العشر"، قال فيها أبو علي الحسن الدرعي مغريا الناس بقراءتها ودراستها وفهم محتواها:

أيا من تصـــدى للقراءة قاصـــدا	**لتحصـــيل مذهب الإمام أبي عمرو**
على مـا رواه العـدل ورش لنـافع	**وقالون بعده وإســحاق ذو الســر**
ومن بعـد إسماعيلهم نجـل جعفر	**على ما رواه العشــر عنهم بلا عسـر**
عليـك بتفصـــيل ابن غـاز فـإنـه	**كفيـل بهـا حقـا حقيقـا بلا نكر**
فبين تبيينـا وأوضـــح مشـــكلا	**وفســـر مغلقـا وأبعـد عن جور**
وضـــمنـه ذكر القراءات كلـهـا	**ســوى أحرف فيها أحال على البري**
وزاد على التعريف نشـــر فوائـد	**جـزاه الإلـه خـيرا عـلـى خـير**

وهذه هي المؤلفات التي ذكرها هو في كتبه أو أشار إليها، وبعضها مما لم يذكره وذكرها له من ترجم له، وعددها أربع وعشرون مؤلفا أوردها محقق كتاب "مختصر خليل ومعه شفاء الغليل في حل مقفل خليل الدكتور أحمد نجيب":

1. إنشاد الشريد من ضوال القصيد كتاب في القراءات وهو تقريرات على الشاطبية.
2. المسائل (أو الإشارات) الحسان المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان.
3. منية الحساب منظومة نظم فيها كتاب تلخيص ابن البنا يقول في مطلعها:

يقول راجي العفو والـــــمفاز	**محمـد بن أحمـد بن الغـازي**
وبعـد فـاقصـــد بـذا الكتـاب	**نظم المهمـات من الحســـاب**
ضـــمنته مســـائـل التلخيص	**وربمـا أزيـد في الـتـمـحـيـص**
وربمـا اســـتغنيـت بـالتلويح	**مخـافـة الطول على التصـــريح**

4. بغية الطلاب شرح منية الحساب شرح فيه ابن غازي نظمه السابق.
5. الجامع المستوفي لجاول الحوفي، أو إزالة اللثام عن مبتسم فرائض الحوفي الإمام، وهو شرح لجداول في علم الفرائض ألفها أبو القاسم الحوفي.
6. تحرير المقالة في مهمات الرسالة، وقد يطلق عليها: النظائر، أو نظائر الرسالـــــة، وهي

منظومة في نظائر الرسالة الفقهية لابن أبي زيد القيرواني أتى فيها بنظم بديع محكم جمع فيه ما في الرسالة من أشباه ونظائر قال في مطلعها:

قـــال ابـــن غـــازي واسمـــه محمـــد الله ربي الكـريم أحمـد
مصـــــليـا على النبي المجتبى وآلـه والـتـابـعـين الـنـجـبـا
وأســـــتعين بـالله في مقـالـة تحوي نظـائرا من الرســـــالـة

7. تفصيل عقد الدرر أو تفصيل عقد درر ابن بري وهو نظم فصل فيه ما أجمله ابن بري في عقد الدرر اللوامع في طرق قراءة الإمام نافع، قال في مطلعها:

دونـك عشـــر طرق لنـافع تنشـــر طي الـدرر اللوامع
سميـتهـا لمـا جرى بـفـكـري تفصـــيـل عقـد درر ابن بري

وذكر تاريخ الفراغ منها فقال:

ثم لتســـع بقيت في التاســـع من القرون ذا حبـاء واســـع
ويـرغـب الـرحمـان في الجـواز محمـد بـن أحمـد بـن غـازي

8. إمداد أبحر القصيد ببحري أهل التوليد وإيناس الإقعاد بجنسها من الشريد: وهو تذييل للقصيدة الخزرجية في العروض.

9. التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد: وهي فهرسة ضمنها تراجم أهم شيوخه وما أخذه عنهم.

10. الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون.

11. شفاء الغليل في حل مقفل خليل بين فيه هفوات وقعت لبهرام في شرحه لمختصر خليل، ومواضع مشكلة في المختصر أجاد في حلها وتوضيحها.

12. تكميل التقييد وتحليل التعقيد أو إتحاف ذوي الذكاء والمعرفة لتكميل تقييد أبي الحسن وتحليل تقييد ابن عرفة.

13. نظم فواصل الممال أو كشف قناع الوهم والخيال هو رجز في فواصل الممال في قراءة نافع.

14. نظم مراحل الحجاز وشرحه.

15. الكليات في الفقه أو الكليات في المسائل الجارية عليها الأحكام في الفقه المالكي.

16. إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب وهو حاشية صغيرة على صحيح البخاري جعلها كتكملة على شرح الزركشي التنقيح فذكر ما أغفله.

17. كشف الالتباس والغلط عن أوضاع المخمس خالي الوسط أو تكملة أوضاع المخمس خالي الوسط وكيفية التصريف به على أحسن نمط.

18. إمتاع ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق.

19. منظومة في الذكاة وهي أبيات في صفة الذبح وقد شرحها أبو سليمان الأغيلي وسمى شرحه: الروض الفاتح في بيان صفة الذبائح.

20. إسعاف السائل في تحرير المقاتل والدلائل وهو شرح لستة أبيات جمعت ما قاله ابن رشد في حكم المتردية والنطيحة.

21. المطلب الكلي في محادثة الإمام القلي.

22. منظومة في البدع ذكرها ناشر فهرسته.

23. مذاكرة أبي إسحاق بن يحي في حكم الماء المنسوب المحيا قال فيها: "فإنك أيها الفاضل الفقيه الحافظ الجهبذ النبيل النحرير كلفتني مذاكرتكم في حكم ماء المحيا المعالج بالتقطير، وشرطت أن يكون ذلك على سبيل الإطناب والإسهاب لا على طريـــــق الإيجاز والاقتضاب، فلبيت دعوتكم (...)".

24. الفوائد المستخرجة من حديث أبا عمير ما فعل الغير، وهو جزء جمع فيه قرابة مائتي فائدة استنبطها من الحديث الشريف المذكور وقد أشار إليها في كتابه "الروض الهتون".

- **شعره:**

كان ابن غازي ذا حـــس مرهف، متذوقا للشعر والكلام المزون، متمكنا من قولـــه وإنشائه،

وأنظامه العلمية كثيرة كما مر معنا في مؤلفاته، ولم يكن يخلو مجلس من مجالس أهل العلم المهمة من الاستشهاد بما نظمه والاستفادة منها في جمع النظائر وحصر الشوارد كما قال عبد الله كنون، ومما ذكر له من شعر غير أراجيزه ومنظوماته العلمية قوله في حبيبته مدينة مكناس التي أخرج منها كما في "الروض الهتون":

بالحسن من مكناسة الزيتون ... قد صح عذر الناظر المفتون
فضل الهواء وصحة الماء الذي ... يجري بها وسلامة المخزون
سحت عليها كل عين ترة ... للمزن هامية الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين أباطح ... وافتر ثغر الزهر فوق غصون
ولقد كفاها شاهدا مهما ادعت ... قصب السبق القرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه ... فسكت عذاب مياهه بعيون
وكأنما هو بربري نافذ ... في لوحه والتين والزيتون
حييت من بلد خصيب أرضه ... مثوى أمان أو مناخ أمون
وضفت عليه من الإله عناية ... تكسوك ثوبي أمنة وسكون

وقال في مكناس كذلك، والظاهر أنها نفثة مصدور مغموم إذا نظرنا إلى سكوته عن ذكر سبب خروجه منها، ودعوته الناس أن يأخذوا ما ظهر ويدعوا ما بطن، ولكن الإنسان ضعيف لابد أن يخرج ما في صدره من هم كي يرتاح ولو جزئيا:

طلقت مكناسة ثلاثا ... والشرع يأبى الرجوع فيه
ليست بدار سوى لقاض ... أو عامل جور أو سفيه

ومما ينسب له كذلك في هذا الشأن:

أقمت بمكناسة مدة ... أعلم أبناءها ما الكلام
فلما توهمه بعضهم ... عليَّ به بخلوا والسلام

وقال كذلك:

السمن والزبد والأجبان مع أقط ... لا تبتعن بعضها بالبعض إذا منعا
والجبن إن بعته بالمثل من أقط ... فلا يراه إسحاق ممتنعا

وله أيضا في حل الأعداد:

إذا عـدد قـد حـل ســفر بعـدوه	**فعشـر له والخمس والنصـف في الطبع**
وإن خمســة فالخمس والزوج إن يفد	**بتسـع فذو ثلث وسـدس وذو تسـع**
وإن تبق ســت أو ثلاث فـإنـه	**أخو الثلث مع سـدس وإلا بالشـفع**
ثمـان فـإن أفنـت بثمن وضـعفـه	**وإن أربع تبقى فليس سـوى الربع**
وإن غيرهـا فـاطرح بسـبع فإن أبى	**فنصـف له في الزوج أولى فذو سـبع**
وفـردا إذا يـفـنى بـتسـع فـإنـه	**أخو الثلث مع تسـع ولا وجه للمنع**

- **جهاده ووفاته**

كان رحمه الله متدينا حقا، ومما يدل على قوة إيمانه ومتانة خلقه خروجه المتكرر إلى الجهاد والحض عليه، فهو كما قال عنه العلماء: لـم يكن في عصره أخطب منه، وكان يوظـف بلاغتـه هذه وقوة شخصيته في دعوة الناس إلى الجهاد وترغيبهم فيـه، وحضهم على الدفاع عن الأراضي المغربية من الغزو الأجنبي، بل إنه لـم يكن يطلق الكلام من غير أن يتمثله، أو أنه يصول ويجول ويدعوا الناس من فوق منبره إلى الجهاد وبذل النفس والمال من غير أن يفعل هو ذلك وكأن ذلك لا يعنيه ودوره فقط

دعوة الناس وتوجيههم، بل كان يعطي للناس القدوة بنفسه تشبها بمن سبقه من العلمـاء الأفاضل أمثال ابن تيمية والعز بن عبد السلام وشيخه أبو محمد الورياغلي الذي كان من عادته أن يشتغل بالتدريس فصلي الشتاء والربيع وفي المصيف والخريف يرابط في الثغور، قال سعيد أعراب في كتابه "القراء والقراءات بالمغرب": "محرضا على الجهاد، وقد أعطى المثال

من نفسه فرابــط على ثغور الهبط التي كان يتهددها الاحتلال البرتغالي عدة مرات، فكان له اليد الطولى في إنقاذ بلده من التسلط الأجنبي".

وكان في آخر عمره وقد بلغ من الكبر عتيا قد خرج للحراسة في قصر كتامة كما قال تلميذه الونشريسي، أو للإغارة على نصارى أصيلا مع السلطان محمد الشيخ الوطاسي كما ذكر الشفشاوني في "دوحة الناشر"، وسواء كان للإغارة أو للحراسة فإنه كان مقداما محبا للجهاد طالبا للشهادة في سبيل الله قال التنبكتي نقلا عن تلميذه عبد الواحد الونشريسي:

"وبالجملة فهو آخر المقرئين وخاتمة المحدثين، لم يزل باذل النصيحة للمسلمين محرضا لهم في خطبه ومجالس إقرائه على الجهاد والاعتناء بأموره، حضر فيه بنفسه مواقف عديدة، ورابط مرات كثيرة، وخرج في آخر عمره لقصر كتامة للحراسة، فمرض ورجع لفاس فاستمر به إلى أن توفي إثر صلاة الظهر يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنــة تسعة عشر وتسعمائة 919هـ".

ودفن رحمه الله يوم الخميس عاشر جمادى الأولى بالكغادين داخل مدينة فاس بإزاء أبي عبد الله القوري وأبي الفرج الطنجي، وحضر جنازته السلطان وأعيان الدولة ومن دونهم من الناس، قال الكتاني في "السلوة": وكان قبر صاحب الترجمة مهملا لا بناء عليه، ثم إنه في صفر من عام خمسة وأربعين وألف وضع نقش على رأسه ليعلم بأنه قبره وفيه:

فـهـذا ضـــريـح الإمـام الهـمـام عنيـت ابن غـازي ســراج النظـام

ثم بعد ذلك انتدب بعض الفضلاء لقبره فبنى عليه بناء جيدا داخل القبر وكتب عليه:

مــرغ الجـيــد والــزم تـربـة ابـن غـازي الأنـوه
وبـه الـرحمـن فســأل تـلـف بـالـقـبـول حـظـوه
وبـنـقـط كـل شـــطـر بـعـد ذا وفـاة قـدره
روضـــة ســـقـاه ربي من قوام الســر صـفوه

جـنــة الـرضـــــوان وافى إذ حـبـا بـالجـود عـفـوه

ثم انهدم هذا البناء وجدد عليه بناء آخر في هذا العصر، وقد أسرع إليه الخراب، وعلاه السقوط والذهاب وإلى الله سبحانه المرجع والمآب".

فرحمه الله رحمة واسعة، وجعل علمه وجهاده وكتبه خالصة لوجهه تعالى ونفعه بها يوم لا ينفع مال ولا بنون، ورزقنا الله عز وجل علماء مثله يكون قولهم كفعلهم لا يخشون في الله لومة لائم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

12. أبو عبد الله محمد الهبطي (.../930هـ):

هو الإمام العالم المقرئ **أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي الفاسي**»[1].

هذا الرجل من علماء المغرب المغمورين بحق، قلَّت أخباره، وجهلت أحواله، وتعرضت سيرته للتناسي، ولم يأخذ حقه من التعريف بمراحل حياته العلمية شأنه شأن ثلة كبيرة من العلماء المشهود لهم بالعلم والتمكن غير أن أبا عبد الله الهبطي أَكْثَرَ المترجمون من تناسي أحواله وأخباره، فهم لم يذكروا لا تاريخ ولادته، ولا شيوخه وتلاميذه، ولا شيئا عن نشأته، ولا دوره العلمي والثقافي

[1] أنظر ترجمته في:
- درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي: 152/2.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس: 333/1.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 277/1.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ص 586.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج للتنبكتي: 221/2.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني للقادري: 37/1.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 321.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 100/4.
- القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: ص 176.
- مقدمة في دراسة تقييد وقف الشيخ الهبطي والمنهاج المتبع في نقده وتحقيقه للحسن وكاك: ص 9.
- كتاب الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب للشيخ عبد الصمد كنون: ص 22.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش للدكتور عبد الهادي حميتو: 187/4.
- منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي للشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري: ص 17.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 846.

في عصره، ولم يذكروا شيئا عن علمه أو تمكنه سوى ذكرهم أخذه عن ابن غازي وأنه قيد عنه الوقف، أو تاريخ وفاته، وهذا إجحاف تاريخي في حق الرجل، وهذه بعض الكتب التي لـم تتوسع في ترجمته:

- ✓ "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"، و"نيل الابتهاج بتطريز الديباج" وكلاهما لأحمد بابا التنبكتي لم يزد فيهما عن قوله: "محمد بن أبي جمعة الهبطي عالم فاس توفي سنة ثلاثين وتسعمائة".
- ✓ "درة الحجال في أسماء الرجال" لابن القاضي: "محمد بن أبي جمعة الهبطي السماتي[1] [بالسين] الأستاذ أبو عبد الله توفي بفاس سنة 930هـ".
- ✓ "جذوة الاقتباس" لابن القاضي كذلك: "محمد بن أبي جمعة الهبطي السماتي [بالسين] الأستاذ صاحب وقف القرآن العزيز توفي بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة".
- ✓ "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" للحجوي الثعالبي: "الإمام الفقيه النحوي الفرضي الأستاذ المقرئ وهو الذي يقرأ أهل المغرب بالوقف الذي جعله في القرآن الكريم منذ زمنه إلى الآن مطبقين عليه وهو أخذه عن الإمام ابن غازي شيخه وإن كان في بعضه

---

[1] أبو عبد الله الهبطي هذا صاحب الوقف اشترك هو واثنان آخران في نفس الكنية وقد فرق بينهما القادري رحمه الله في "نشر المثاني" فقال ما يلي:

محمد الصغير بن عبد الله الهبطي:

ومنهم الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد الصغير بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله الهبطي.

عبد الله الهبطي:

قال في ممتع الأسماع في ترجمة سيدي عبد الله المذكور: الطنجي المعروف بالهبطي أصله من صنهاجة طنجة من قبيلة مثنة، وكان سلفه بطنجة إلى أن أخذت سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وذكر وفاته أعني سيدي عبد الله سنة ثلاث وستين وتسعمائة وقبره مشهور بزاويته حوز شفشاون وهو من أصحاب سيدي عبد الله الغزواني، وأما ولده صاحب الترجمة فتوفي سنة إحدى وألف وليس واحد منهما.

محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي ت 930هـ:

صاحب تقييد وقف القرآن العظيم فإنه محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي بالصاد والميم والتاء كما رأيته بخط من يعتمد عليه وصحح عليه، فتوفي هذا بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة قاله في الجذوة وقبره معروف بطالعة فاس قرب الزربطانة وهو ممن أخذ عن الإمام ابن غازي وعنه قيد الوقف رحم الله الجميع".

نظر وإن تلقاه قراء المغرب بالقبول توفي سنة 930هـ".

- ✓ كتاب "الجراب" لعبد الصمد كنون: "الهبطي صاحب تقييد وقف القرآن العظيم هو أبو عبد الله بن محمد بن أبي جمعة الصماتي توفي بفاس سنة ثلاثين وتسعمائة كما ذكر في الجذوة ودفن بطالعة فاس قرب الزربطانة، وهو ممن أخذ عن الإمام ابن غازي وعنه قيد الوقف رحم الله الجميع بمنه".
- ✓ كتاب "موسوعة أعلام المغرب" ذكره في وفيات 930هـ فقال: "توفي الأستاذ محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي صاحب وقف القرآن العزيز بمدينة فاس".

ثم جاء صاحب "سلوة الأنفاس" محمد بن جعفر الكتاني الذي ترجم له فيما يزيد عن العشرين سطـرا بقليل وأورد بعض المعلومات التي يمكن أن تساعد في إماطة القليل من لثام الجهالة عن هذه الشخصية المغربية المشهورة والمغمورة في آن واحد، وهذا مما جعل العلماء المتأخرين ممن درسوا وقف الشيخ الهبطي يقعون في حيرة كبيرة لقلة المعلومات عن حياته، وقد جعلهم هذا النزر اليسير من الأخبار ينصرفون للكلام عن البيئة العلمية العامة التي كانت سائدة في عصره، أو ينقبون في تراجم شخصيات أخرى تكون فيها إشارة لهذا العالم الفذ كما فعل الشيخ عبد الهادي حميتو الذين وجد بعض تلاميذه، أو يعطون وقفه الذي خلفه معظم الاهتمام مدحا أو نقدا أو دراسة كمحاولة منهم لتقديم خدمة جليلة للعلم بتعريف شخصية هذا المقرئ الكبير رحمه الله قال الأستاذ حسن وكاك في كتابه "مقدمة في دراسة تقييد وقف الشيخ الهبطي والمنهاج المتبع في نقده وتحقيقه": "هذا ومن الغريب أن يكون الشيخ الهبطي مشهورا ومغمورا في آن واحد كان مشهورا في أوساط قراء المغرب باسمه ووقفه، وكان مغمورا لدى الجميع فيما سوى ذلك حتى إننا لنجهل الكثير عن شيوخه وتلاميذه وآثاره، فلم نكد نسمع من شيوخه أحدا سوى ابن غازي المكناسي، ومن تلاميذه أحدا غير ابن عدة الأندلسي والشيخ السنوسي".

- **مولده ودراسته:**

ولد أبو عبد الله الهبطي في حدود منتصف القرن التاسع الهجري في مدشر أهباطة كما يبدو من قبيلة سماتة إحدى قبائل الجبل بشمال المغرب ولذا جاءت نسبته هكذا: الهبطي السماتي، ويرى بعضهم أن الهبطي نسبة إلى جبال الهبط المعروفة، كما يقول الأستاذ سعيد أعراب في كتابه "القراء والقراءات بالمغرب"، ويبدو أنه رحمه الله قد تعلم على عادة أبناء ذلكم الزمن في الكُتاب إذ كان منطلق الطفل الصغير في المغرب أن يبدأ في تعلم القرآن ورسمه وتجويده وإتقان قراءته وبعد ذلك ينتقل إلى باقي العلوم يقول ابن خلدون في مقدمته: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، إلى أن قال: وهذا مذهب أهل الأمصار من المغرب ومن قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا البلوغ إلى الشيبة، وكذا في الكبير إذا رجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه ممن سواهم".

فحفظ الهبطي القرآن وجوده وأتقن قراءته، وكانت مدينة القصر الكبير وقتئذ من أهم المراكز الثقافية بالمغرب ولابد أنه درس بها أو على الأقل أخذ تعليمه الأولي بها، على أن البادية كانت مزدهرة بمدارس القراءات وشيوخ الروايات بل هي التي حافظت على هذا الفن وعملت على انتعاشه عندما تقلص ظله بالحاضرة، ثم رحل أبو عبد الله الهبطي إلى فاس وأنهى بها دراسته كما قال سعيد أعراب.

- **تلاميذه:**

وأما شيوخه فلم يعرف منهم أحد غير العلامة محمد بن غازي المتوفى سنة 919هـ، وما دام قد أخذ عن هذا العالم الكبير فلا شك أنه قد أخذ عن علماء فاس الكبار الذين يشبهون ابن غازي علما وتمكنا أو يقاربونه، فتضلع من العلوم وأخذ كفايته التي أهلته لأن يجلس للتدريس فقرأ عليه طلبة صاروا علماء كبار قال الشيخ عبد الهادي حميتو في كتابه "قراءة

الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش": "الإشارة الرابعة تتعلق بأخذ عدد من المبرزين من أصحاب ابن غازي عنه ودلالتها على إمامته ومكانته واضحة لأنهم إن كانوا قد أخذوا القراءة أو العربية أو غير ذلك مما كان مبرزا فيه مع وجود ابن غازي بالحضرة فهذا دليل ساطع على نبله وعلو كعبه، وإن كان أخذهم عنه بعده مع جلالة أقدارهم وتلقيهم عنه للقراءات السبع وعلومها ولعامة علوم الرواية وإجازتهم بذلك كما تقدم فهو أعظم دلالة على ما ذكرناه له، ومن استعراض أسمائهم كما ذكرهم الإمام أبو العباس المنجور نجد أنهم الصفوة المعتبرة من رجال مدرسة ابن غازي فمنهم:

1. **عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الدكالي**: أحد الحاملين لإجازة ابن غازي بما في فهرسته مع إخوته الثلاثة كما تقدم ذكره المنجور وذكر أخذه عن والده وعن الشيخ ابن غازي وعن غيرهما كالأستاذ النحوي الفقيه الفرضي أبي عبد الله بن أبي جمعة الهبطي.
2. **عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي**: ذكر المنجور أيضا أخذه عن والده وابن غازي وغيرهما كالأستاذ النحوي الفقيه الفرضي أبي عبد الله بن أبي جمعة الهبطي.
3. **علي بن عيسى أبو الحسن الراشدي**: الأستاذ النحوي ذكره أيضا وذكر أخذه عن ابن غازي وعن معاصريه من الأساتيذ كالأستاذ الدقون والأستاذ الهبطي والأستاذ الحباك.
4. **أبو القاسم بن محمد بن إبراهيـــم**: أحد أكابر أصحاب ابن غازي من الأربعة الذين سماهـــم في إجازته ومن طريقه عنه يسند القراءات من طريق ابن غازي من المتأخرين، ذكر أبو العباس المنجور أنه كان صهرا للشيخ أبي عبد الله الهبطي على ابنته، وأنه كان ممتعا بسبب ذلك بالخزانة الغنية التي كانت في هذا البيت مما كان له عونا على الطلب، كما ذكر أنه أخذ عن شيخ الجماعة الإمام أبي عبد الله بن غازي وعن الفقيه الأستاذ النحوي الفرضي أبي عبد الله محمد الهبطي وعن غيرهما.
5. **محمد بن علي بن عدة أبو عبد الله العدي الأندلسي**: ذكره المنجور وذكر أخذه عن

ابن غازي وعن أبي العباس الدقون، وعن الأستاذ النحوي الفقيه الفرضي أبي عبد الله بن أبي جمعة الهبطي.

أمع أخذ أمثال هؤلاء الأعلام عنه يكون أبو عبد الله الهبطي نكرة من النكرات؟"، إضافة إلى العلامة **أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني** الذي أخذ عنه وقفه، إذ كان رحمه الله كلما وجد عالما له باع طويل وإتقان شديد في علم من العلوم أخذ عنه ذلك العلم، وتشرف وشرف بأن يقال إنه من تلاميذ المأخوذ عنه رغم موسوعية الشيخ السنوسي واطلاعه وفقهه رحمه الله.

- **ما خلفه من آثار:**

وأما آثاره فكما يقول حسن وكاك لم يعرف منها إلا هذا الوقف الذي بين أيدينا والذي يعتبر الطابع الشخصي للمدرسة القرآنية بالمغرب والعنوان البارز المميز للمصحف المغربي عن غيره من المصاحف في العالـــم الإسلامي، وإلا "عمدة الفقير في عبـــاد العلي الكبير" [مخطوط بالخزانة العامة بالرباط كما ذكر القائل].

ولعل اهتمامه بتعليم القرآن واشتغاله بتدريب الطلاب على النطق السليم والتلاوة الصحيحة هو الذي جعله ينصرف عن ما سوى ذلك فقلَّت بذلك كتبه ومؤلفاته قال الأستاذ وكاك: "ويظهر أن الشيخ الهبطي وإن وصف في "سلوة الأنفاس" وغيرها من المصادر السابقة بأنه كان يتقن عدة فنون من العلم إلا أنه تخصص في فن القراءات وصناعة الأرداف[1] وبتلقينهـــا ونشرها ونشر وقفه هذا ملأ حياته العلمية كما يستفاد من قول صاحب "السلوة" السابق: "الأستاذ المقرئ"، ومن سبب قدوم الشيخ السنوسي عليه بفاس، وإذا ثبت لدينا بما تقدم ذكره من أن الشيخ الهبطي كان من أساتذة القراءات والمتفرغين للإقـــراء في جل أوقاته سهل علينا أن ندرك السبب الذي من أجله قلت آثاره ولم تشتهر شيوخه ولا تلاميذه، ذلك

[1] قال حسن وكاك: يقصد بصناعة الأرداف ما هو شائع عند القراء من الجمع بين قراءتين أو أكثر في درج واحد قصد التعليم مع الاختصار، ونظام الأرداف مخالف لما عليه السلف.

السبب هو انصراف أهل الروايات المتأخرين عادة عن كل شيء إلى إتقان صناعة الأرداف وما يتصل بها من الأحكام".

وأما الأسباب التي من أجلها قيد الشيخ الهبطي الوقف المتداول بين قراء المغرب إلى اليوم فكثيرة منها كما يقول وكاك: عجز الطلبة عن معرفة أماكن الوقف الصحيحة في القرآن، ومنها حاجتهم إلى أوقاف معينة تعينهم على ترتيب الأرداف بالسبع أو العشر، ومنها حاجتهم إلى أوقاف مضبوطة لتنظيم أصواتهم في حالة القراءة الجماعية المعهودة في الحزب الراتب بالمساجد صباح مساء، ومنها حاجتهم إلى أوقاف تجنبهم السكوت وسط الكلمة والوقوف على الحركة في القراءة الوصلية المعهودة في بوادي الجزائر إلى الآن، وفي الجامع الأعظم بتونس كطريقة من طرق معهودة هناك في الحزب الراتب".

- **ثناء العلماء عليه:**

أما علماء التراجم الأقدمون فلم يوردوا كلاما كثيرا عنه كما سبق فلم يعرف فيه مدح كثير ولا ذم، وإن كان هذا المدح والثناء فقليل نحو قولهم "الأستاذ النحوي الفقيه الفرضي" كما فعل أبو العباس المنجور فيما نقله عنه الشيخ عبد الهادي حميتو، وهذا لا ينقص من قيمة الرجل فأثره هذا الذي اشتهر بين الناس تكلم عنه ومدحه، وجعل اسمه متداولا بين الناس سواء كانوا علماء أو عامة، ويكفيه هــذا الشرف وهذا القبول الذي جعله الله تعالى له في الأرض، ولما جاء العلماء المتأخرون ممن نقبوا عن شيء من سيرته ودرسوا وقفه المتداول بين الناس لم يجدوا بدا من الثناء عليه فقال:

- الكتاني في" سلوة الأنفاس": "واشتهر عند كثير من الناس أنه الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، الهمام، الفقيه، الأستاذ الكبير، النحوي الفرضي الشهير".
- وقال الأستاذ سعيد أعراب: "كان أبو عبد الله الهبطي عالما عاملا خيرا تقيا فقيها فرضيا متبحرا في علوم العربية عارفا بالقراءات ووجوهها".

- وقال الشيخ عبد الهادي حميتو: "(...) في سياق ذكر أبي العباس المنجور لمشيخته وذلك في ترجمة أبي القاسم بن محمد بن إبراهيم صاحب ابن غازي الذي قال عنه المنجور: كان من الأساتيذ المعتبرين عارفا بعلوم القرآن أداء ورسما وتفسيرا ممتعا من الكتب العلمية التفسير والحديث والعربية وغيـر ذلك مما جمعه صهره والد زوجته الأستاذ الكبير ذو النحو الغزير الفقيه الفرضي أبو عبد الله الهبطي وهي إعانة كبيرة على الطلب"، فرجل له مثل هذه الخزانة المتنوعة الغنية يصهر إلى مثل هذا الأستاذ البارع في القراءات وعلومها ويوصف بالأستاذ الكبير ذي النحو الغزير (...) إلخ، هل من المقبول أن يعتبر في زمنه نكرة من النكرات؟".
- وذكر عبد الله الغماري في "منحة الرؤوف" ما يلي: "وقد كان رضي الله عنه عالم فاس في وقته فقيها نحويا فرضيا أستاذا مقرئا عارفا بالقراءات مرجوعا إليه فيها، وكان موصوفا بالخير والفلاح والبركة والصلاح ذا أحوال عجيبة وأسرار غريبة»[1].

- **وفاته ومكان دفنه:**

توفي الأستاذ الشيخ المقرئ أبو عبد الله الهبطي سنة 930هـ في فاس، ودفن داخل باب الفتوح قريبا من ضريح الشيخ أبي زيد الهزميري كما ذكر الكتاني في "سلوة الأنفاس"، وحياة الأستاذ الهبطي تحتاج إلى باحث فحل، يسافر في صفحات كتب التراجم التي لم ينتبه لها من ترجم له لعله يجد شيئا يزيل به هذا الإبهام عن حياته وشخصيته، فرحمه الله رحمة واسعة، وجعل علمه وعمله خالصا لوجهه تعالى، ونفعه بهما، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[1] هذا القول قيل: إنه قول للكتاني في "السلوة" غير أني لم أقف عليه في النسخة التي عندي.

13. أبو العباس المنجور (.../995هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو **أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور المكناسي النجار»**[1]، وخالف صاحب "نيل الابتهاج" في اسم جده إذ سماه عبد الله، وسمته الجماعة عبد الرحمن، وهو وهم منه رحمه الله إذ المنجور نفسه قد صدَّر بعض كتبه بذكر اسمه واسم أبيه وجده كما

[1] أنظر ترجمته في:
- فهرس أحمد المنجور بتحقيق محمد حجي.
- درة الحجال في أسماء الرجال: 156/1.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 135.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس: 89/3.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام: 237/2.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: ص 43.
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر للشفشاوني: ص 69.
- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لابن زيدان: 372/1.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي: ص 143.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: ص 566.
- طبقات الحضيكي: ص 145، رقم الترجمة 20.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 287/1.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 204/1.
- الأعلام قاموس تراجم: 180/1.
- مراقي السعد لآيات المجد لأبي العباس أحمد بن علي المنجور تحقيق مبارك الحبيشي: 41/1.
- التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا ص: 166.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 250.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 103/4،104.
- الحركة الفكرية في عهد السعديين لمحمد حجي: 360/2.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 633.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري: 191/5.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 945.

فعل في فهرسه إذ قال: "يقول عبد الله المفتقر إلى عفو ربه ورحماه أحمد بن علي ابن عبد الرحمن المنجور".

يعتبر مترجمنا من دعائم وركائز البيت العلمي المغربي منذ دخول الإسلام إليه إلى يوم الناس هذا، فهو رحمه الله كان له إشعاع علمي كبير في عهد السعديين وما بعده، لما قدمه من خدمات جليلة لعلوم الشريعة بما ألفه من كتب، وخرَّجه من طلاب، وقد حباه الله بذكاء عجيب ساعده في أن يتمتع بإحاطة شاملة للعلوم، وقدرة عجيبة على فهمها وتبسيطها ونشرها، فهو رحمه الله كان عالما شدَّ طرفا وافرا من علوم عدة سواء العقلية منها أو النقلية، فهو إمام مشارك في الفقه وأصوله، والحديث، والقراءات، والعقائد، والتفسير، فضلا عن الرياضيات والفلسفة وغير ذلك، قال الكتاني في "سلوة الأنفاس": "قال النيجي: وكان لا يقرأ فنا إلا أقرأه إقراء من لا يعرف إلا ذلك الفن"، ولم يحصل رحمه الله على كل هذا العلم، وهذه الشهرة العلمية المرموقة، والذكر الحسن، والسيرة الطيبة، إلا بالكد والتحصيل الجيد، والاطلاع الشامل، لا يمل ولا يضجر، وكان يقول: "إن العلوم كلها نافعة"، فكان يبحث عنها ويتعلمها حتى أنه تعلم لعبة الشطرنج فأتقنها، وتعلم الضرب على العود فكان يحركه كما قال عنه مترجموه منهم صاحب "الإعلام" و"الصفوة" وغيرهما.

ومع كل هذا العلم، وهذه الشهرة في وقته إلا أن مراحل نشأته الأولى، وتدقيق تاريخ ولادته ومكان ذلك بقي مجهولا أو مختلفا فيه، فبقي الغموض يكتنف نشأته وأطوار حياته، إلا الجانب العلمي الذي جلاه هو بنفسه في فهرسه المشهور.

- **مكان وتاريخ ولادته:**

ذكرت بعض المصادر أن أصل مترجمنا من مدينة مكناس وسكناه في فاس كما قال الزركلي في "الأعلام"، وذكر محقق كتاب "مراقي السعد" مبارك الحبيشي أن مولده كان بمكناس حيث قال: "مما يشير إلى أن مولده كان بمكناس"، وأظنه وهم في قوله هذا لأن عددا من الكتب التي تكلمت عن المنجور ذكرت أن مولده كان في فاس، وإن كان أصله من مدينة مكناس، قال الكتاني في "السلوة" بعد أن ذكر اسمه ونسبه: "الفاسي الدار والمولد والقرار"، وقال ابن القاضي وهو من تلامذة المنجور قال في "الجذوة": "الفاسي الدار والمولد"، وقال السملالي في "الإعلام بمن حل مراكش": "الفاسي الدار والمولد والقرار"، فهذه الكتب تذكر صراحة أن ولادته كانت في فاس وليس في مدينة مكناس.

وأما تاريخ ولادته فقد اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال:

- **الأول**: أنه ولد سنة 926هـ وهو قول الكثير ممن ترجم له منهم: مؤلف "السلوة"، و"الإعلام بمن حل مراكش"، و"إتحاف أعلام الناس"، و"نيل الابتهاج"، و"شجرة النور"، و"معجم المؤلفين"، و"الأعلام"، و"النبوغ المغربي"، وغيرهم.
- **الثاني**: أنه ولد عام 928هـ.
- **والثالث**: أنه ولد عام 929هـ، وهو قول تلميذه ابن القاضي ذكره في "لقط الفرائد"، وأكدَّه محمد ميارة في مقدمة كتابه "شرح تكميل المنهج المنتخب" نقلا عن خط أحد أقرباء المنجور أنه توفي وهو ابن 66 سنة إذ لم يختلف العلماء في تاريخ وفاته.

- **دراسته وشيوخه:**

لم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن نشأة المنجور، ولا عن المراحل الأولى من طلبه للعلم، وهو الأمر الذي جلاه هو بنفسه في فهرسه الذي ذكر فيه شيوخه، وما أخذه عنهم، وفي أي مكان أخذه عنهم، فنجده من خلاله طالبا مجدا مجتهدا، ينتقل من حلقة عالم إلى أخرى،

يزاحم بركبه في حلقات العلم، ويقطع مدينة فاس باحثـــا عن مجالس علمها في المساجد والمدارس من طلوع الشمس إلى غروبها، فقرأ بالقرويين والمدارس التابعة لها، وأخذ في جامعي الأندلس والأشراف، ومساجد أخرى هنا وهناك أعواما عديدة، قرأ خلالها علوما شتى من قرآن وعلومه، ونحو، وفقه، وحديث، وأصول، وأدب، ومنطق، وحساب، وعقائد، وفرائض، وغيرها من العلوم التي كان يدرسها علماء تلكم المجالس العلمية التي كان يقصدها، فتتلمـذ بذلك على شيوخ أعلام مشهود لهم بالفضل والعلم والتمكن، فقرأ على المقرئ **أبو سالم إبراهيم بن مخلد**، و**أبو العباس أحمد بن محمد بن جيدة الوهراني** قرأ عليه العقيدة الكبرى للسنوسي، و**علي بن موسى بن علي بن هارون التلمساني** سمع منه موطأ الإمام مالك، ومختصر خليل وغيرهما، و**أبو عمرو عثمان بن عبد الواحد المكناسي اللمطي** قرأ عليه القرآن، وطرفا كبيرا من ألفية ابن مالك، و**عبد الحق بن أحمد المصمودي** أخذ عنه الحساب والفرائض، و**عبد الواحد بن أحمد الونشريسي** لازم درسه في المدونة، وأخذ عنه غيرها من العلوم، و**عبد الرحمن بن علي السفياني المعروف بسقين** أخذ عنه المنجور بعض صحيح البخاري، وجميع صحيح مسلم، وموطأ الإمام مالك، وأخذ عنه أيضا جامع الإمام الترمذي، وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجة، وسنن الدارقطني، وصحيح ابن حبان، ومسند الشافعي، ومسند الإمام أحمد، وسائر ما صنفه ابن خزيمة، والحربي، والحاكم أبو عبد الله ابن الربيع، والبيهقي وغيرهم، وأخذ عنه أيضا فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، والترغيب والترهيب للمنذري وغير ذلك، و**أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليسيتني الفاسي** لازمه المنجور نحو إحدى عشرة سنة وانتفع به، وكان قارئ درسه في كثير من الأحيان، و**عبد الوهاب الزقاق أبو محمد**، و**علي بن عيسى الراشدي** نحوي من علماء القراءات حضر المنجور دروسه في الشاطبية، و**عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الدكالي**، والنحوي **أبو شامة الدكالي** خطيب جامع القرويين، و**محمد بن أحمد العبسي**، و**أبو عبد الله محمد**

بن خروف التونسي، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الزقاق، ومحمد بن علي بن عدة الأندلسي، وأبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الدكالي، والحاج بن البقال الأغصاوي، ومحمد بن عبد الرحمن بن جلال، ومحمد شقرون بن هبة الله الوجديجي، وأبو عبد الله محمد بن مجبر المساري، وأبو العباس أحمد بن محمد الماواسي، وأبو عبد الله محمد الصغير بن أحمد بن الحاج الزجني، وغيرهم ممن ذكر أسماءهم في فهرسته.

وقد أفاد واستفاد من معاصريه ممن هم في مثل عمره أو يقاربونه فكان بذلك أستاذا وتلميذا في آن واحد منهم: **أبو الحسن السكتاني، وأبو عبد الله بن عيسى التاملي، وأبو العباس أحمد بن علي الزموري، وأبو عثمان الهوزالي**، وغيرهم.

- **جلوسه للتدريس وتلاميذه:**

لما أجاز للمنجور شيوخه، وشهدوا له بالعلم والتمكن والقدرة على الجلوس للتدريس وخوض غماره، جلس للتدريس في فاس ومراكش ولم يخلطه بغيره من الوظائف فتفوق على أقرانه قال محمد حجي: "قضى نحو نصف قرن متنقلا بين القرويين ومنزله، أو شادا الرحلة إلى جامع المنصور بمراكش دون أن يتولى وظيفا رسميا قط غير الكراسي العلمية"، وقال ابن عسكر الشفشاوني في "دوحة الناشر": "كان عالما مشاركا، ورزق حسن العبارة، وكان يدرس بفاس ومراكش"، وقد برع رحمه الله في التدريس جدا، وبذَّ أقرانه بسلامة الذوق وصحة الفهم وحسن العبارة، حتى شهد له تلاميذه بالتفرد والإتقان، يجيد ترتيب النقول، ويتأنق في كيفية التدريس، سلس التعبير، قوي العبارة، منتقيا للألفاظ، فصيحا بليغا، أثر بفصاحته وبلاغته في جل من سمعه حتى قال فيه تلميذه ابن القاضي وقد لازمه طويلا كما في "درة الحجال": "صارت الدنيا تصغر في عيني كلما ذكرت أكل التراب للسانه والدود لبنانه"، وقال محمد حجي: "وكانت له مهارة عجيبة في فن التدريس وقدرة فائقة على التعبير"، ومع ذلك كان رحمه الله أروع الناس في النقل، كاد لا يفارق لسانه لا أدري، أو حتى أنظر، أو كلاما يقرب من هذا

كما قال تلميذه ابن القاضي، غير أنه كانت معه حدة في بعض الأوقات تمنع المتعلم من مراجعته والإكثار من مباحثته كما قال الكتاني في "السلوة".

وبجلوسه للتدريس في فاس ومراكش كان قد أخذ عنه جم غفير وخلق كثير منهم: **أبو عبد الله محمد علي الهوزالي** شاعر السعديين، و**أبو عبد الله محمد بن القاسم القيسي الشهير بالقصار**، و**أبو المحاسن يوسف بن محمد القصري**، و**عبد العزيز بن محمد المغراوي**، و**أبو عبد الله محمد بن عبد الله الرجراجي**، و**أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي** صاحب "درة الحجال في أسماء الرجال"، و"جذوة الاقتباس" وغيرهما، و**الحسن بن إبراهيم الخالدي السكتاني**، كان المنجور يفسح له في مجلسه لما يعرف من استقامته وجديته في التحصيل، و**عبد العزيز بن محمد الفشتالي**، و**ابن أبي نعيم الغساني**، و**أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الفهري القصري الشهير بالعارف الفاسي**، و**عيسى بن عبد الرحمن السكتاني** مفتي مراكش وقاضيها، وغيرهم كثير.

- **مؤلفاته:**

لم يكن أبو العباس المنجور أستاذا بارعا فقط، بل كان كاتبا بليغا أيضا، خط يراعه كتبا فريدة في بابها، قوية في بنائها، ظهر من خلالها تنوعه العلمي والثقافي، إذ ألف في العقائد، والفقه، والقراءات، والعروض، والنحو، وغير ذلك من العلوم المتنوعة، بيد أن الملاحظ عنه أنه لم يخلف تراثا علميا ضخما، فجل ما وصلنا من تآليفه لا يتجاوز الخمسة عشر كتابا، ذكر هو بنفسه في فهرسه اثني عشر كتابا، والكتب الثلاثة الباقية ذكرها له محقق "مراقي المجد" وغيره، والملاحظ فيها كذلك أنها في جملتها تدور في فلك الشروح والحواشي والمختصرات وبعض الأجوبة، وها هي ذي أسماءها:

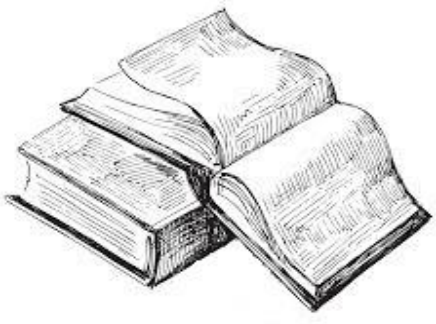

17.نظم الفرائد ومبدي الفوائد لمحصل المقاصد، وهو شرح لمحصل المقاصد مما به تعتبر العقائد لابن زكرى.

18.مختصر نظم الفرائد وهو مختصر لشرحه السابق.

19.الحاشية الكبرى على شرح كبرى السنوسي.

20.الحاشية الصغرى على شرح كبرى السنوسي.

21.مراقي المجد لآيات السعد، وهو تفسير للآيات الكريمة الواردة في شرح سعد الدين التفتازاني لتلخيص المفتاح.

22.شرح نظم علاقات المجاز ومرجحاته لأبي الفضل ابن الصباغ المكناسي.

23.شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب وهو شرح لأرجوزة علي بن القاسم التجيبي الزقاق الفقهية.

24.المختصر المذهب من شرح المذهب المنتخب وهو اختصار لشرحه السابق.

25.شرح المختصر من ملتقط الدرر وهو شرح مختصر المنتخب للناظم الزقاق.

26. شرح إيضاح السالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك وهو شرح لنظم شيخه عبد الواحد الونشريسي لقواعد أبيه.

27. أجوبة في الفقه والكلام وغيرهما.

28. الفهرسة وهي مطبوعة بتحقيق محمد حجي.

29. أجوبة في القراءات.

30. شرح على الخلاصة لابن مالك، وهو مختصر لمختلف شروح الألفية كتبه بطلب من المنصور.

31. تقريب لفهم شواهد الخزرجي، وهو تقييد موجز لأهم أبواب العروض، يأتي للبحر بما له من أعاريض وأضرب، ثم يستشهد، ويأتي بالتفاعيل.

- **شعره:**

إقراض الشعر للفقهاء بمثابة تاج من الحلي يتزينون به ويزيدهم بهاء ونضارة واحتراما، وقد كان مترجمنا رحمه الله من هذا الصنف الذي لم يمنعه فقهه وتوسعه في العلوم من إقراض الشعر ونظمه، بيد أنه لم يكن مكثرا من ذلك، فجل ما ذكر منسوبا له لا يضعه في خانة المكثرين، ومع ذلك فقد كان قادرا على قوله ونظمه، بل أشهر ما ذكر له من نظم كان بمثابة جواب علمي فقهي عن مجموعة من المسائل أجاب بها السائل على نفس القافية، فقد ألقى بعض السنوسيين أبياتا علمية ملغمة سأل فيها قاضي الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي عن مجموعة من المسائل فتصدى لها أبو العباس المنجور وأجاب عنها في براعة ظاهرة:

إلى علمك العالي المسائل ترتقي ... تفطن لها يا حميدي وأصدق
فما الحكم في الأوزاغ هل ساغ أكلها ... وما الحكم في موت المجانين فانطق
وهل جاز للمسبوق بعد تشهد ... دعاء إذا ما رام إكمال ما بقي
وما وزن ليس يا حبيب وأصله ... وما جمع قلة لصاع فحقق
وما وزنه شمر ولا تأن وأتنا ... بجمع سواء والمقيد أطلق
وبيِّن لنا من في أعوذ بربنا ... من إبليس والتخمين في الكل فاتق

فأجابه المنجور بقوله:

جوابك في الأولى إباحة أكلها ... ومستقذر كل يباح فصدق
وأنكر في التنبيه نجل بشيرهم ... إضافة ذا للمذهب افهم ودقق
وقد قيل في الأوزاغ يحرم أكلها ... وذلك في الكافي ليوسف فارتق
وميت مجنون جرى خلف حكمه ... بعلم كلام لا تكن غير متق
وتحقيقها أن الجنون الذي طرا ... يصير كموت فصل الحق تعبق
فآونة لعد البلوغ طروه ... وحينا يرى قبل البلوغ فطبق
وآونة أثر الصلاح وقوعه ... وحينا بعصيان الكبيرة يلتقي
وحينا يدوم للممات وتارة ... يفيق فخذ حكم الجميع ووثق

ويندب للمسبوق دعوى تشهد	**وفات إمام في الثلاثة فارتق**
وليس له فعل بحال وأصله	**بكسر لياء فاكسر العين ترتق**
وجمعك صاعا في القليل بأصوع	**وسوغ لهمز الواو نهجا ونمق**
وإن شئت فاقلبه فيرجع آصعا	**لضابط تصريف فللعلم شوق**
وصاع كعام عينه فرع ضمة	**وتحريكه فتح فزنه وحقق**
ومقصود من في العود بدء لغاية	**فإبليس مبدأ العود عند الموفق**
وجمع سواء فالذي منه جامد	**بأفعلة فاعلم يقاس ففرق**
ومشتقه وزن خطايا قياسه	**سوائية نقل فبالمدح فانطق**

ومن نظمه أيضا قوله:

ويرفلن في الحلات يختلن في الحلى	**وفيهن أنواع الجمال وضوح**
يبادرن ترقيع الكوى بمحاجر	**لإقبال حب طال منه نزوح**

- **ثناء العلماء عليه:**

إن العالم المتفرد في شخصيته وعلمه يشتهر أمره، ويكثر ذكره، ويعرف قدره، ويشيع خبره، فيمدحه الناس خاصة تلاميذه ومعارفه في وقته، وتمدحه مؤلفاته وما خلفه من تراث علمي بعد وفاته، وهذا ما حصل مع مترجمنا، فهو رحمه الله حاز مدح وثناء علماء عصره الذين اختلطوا به، وخبروا أحواله، وسمعوا كلامه خصوصا طلابه، ومدحه العلماء اللاحقون ممن تدارسوا كتبه وقرأوا سيرته، وعرفوا قدره، فحاز بذلك ثناء عظيما، ومدحا جميلا:

- قال ابن زيدان في "إتحاف أعلام الناس": "إمام فقيه معقولي، محدث أصولي، آية من آيات الله في المعقول والمنقول وسعة العارضة والاطلاع والمهارة الكاملة في سائر الفنون، كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ والبيان والمنطق وغير ذلك، وكانت له معرفة برجال الحديث، شديد العناية بالتحصيل، قوي التحقيق حسن الإلقاء والتقرير، معتنيا بالمطالعة والتقييد والإقراء، لا يكل ولا يمل، شعاره الإنصاف في البحث والمذاكرة، يميل مع الحق حيث كان، صافي الذهن، حاد الإدراك، مصيب الفهم، ذا خط رائق، وأدب

فائق، خدم العلم حتى ألقت إليه العويصات زمامها، وبرز على الأقران، وصار شيخ جماعة الأعلام في وقته (...)".

- وقال تلميذه أحمد ابن القاضي: "كان آية من آيات الله تعالى في المعقول والمنقول، وكان أحفظ أهل زمانه، وأعرفهم بالتاريخ والبيان، والمنطق والأصول، وغير ذلك، وكانت له معرفة برجال الحديث".
- وقال كذلك كما في "الدرة": "وكان من عباد الله الصالحين، لا يفتر عن قراءة القرآن إلا زمن المطالعة، أو التأليف، أو الإقراء، أو ضروریاته".
- وقال الحضيكي في طبقاته: "كان –رضي الله عنه– عالم وقته، متفننا فقها، وأصولا، وبيانا، وقراءة، وعربية، وفرائض، وحسابا، ومنطقا، وعروضا، وحديثا، وتاريخا، معتنيا بالقراءة والإقراء والمطالعة، لا يمل ولا يضجر، منصفا في البحث، جنوحا للصواب إذا تعين، صدوقا في النقل، ثبتا قوي الإدراك، ثابت الذهن، ثابت الفهم".
- وقال العباس السملالي في "الإعلام": "شيخ الإسلام، علم الأعلام، ومفتي الأنام، محيي الدين والسنة، ونجم الأمة، الفقيه المعقولي، المحدث الأصولي، خاتمة علماء المغرب، وشيخ الجماعة فيه في جميع الفنون".
- وقال الكتاني في "سلوة الأنفاس": "وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته عند عده لأوليـــاء هذا الخارج بقوله:

وأحمـد إمـامنـا الـــــمنجور ســـؤدده بين الورى مشـــهور
كان رئيس العلم في الـــمعقول والفقـه والبيـان والأصـــول

- وقال محمد حجي: "إمام فاس الكبير وعالمها المشارك حقا، المبرز في الفلسفة والرياضيات والقراءات فضلا عن التفسير والحديث والفقه والعقائد".
- وقال محمد مخلوف: "خاتمة علماء المغرب المتبحر في كثير من العلوم خصوصـــا أصول

الفقه، المحقق الفاضل، العلامة العمدة الكامل".

- **وفاته ومكان دفنه:**

توفي أبو العباس المنجور يوم الإثنين السادس عشر من ذي القعدة عام 995 هـ بفاس، ولم يختلف المترجمون في عام وفاته، وقد دفن رحمه الله خارج باب الفتوح متصلا بقبر شيخه اليسيتني بمطرح الجنة كما نقل الكتاني في "سلوة الأنفاس"، فرحمه الله رحمة واسعة، وغفر لنا وله، وجعل ما قدمه من خدمة للعلم في ميزان حسناته.

14. أحمد ابن القاضي (960/1025هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو **شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية الزناتي المكناسي الفاسي الشهير بابن القاضي»**[1]، والمكناسي نسبة إلى

[1] أنظر ترجمته في:
- درة الحجال في أسماء الرجال: 14/1.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس: 195/3.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: ص 150.
- الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر لعبد الله الفاسي الفهري: ص 124.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام: 295/2.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني للقادري: 211/1.
- تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي: 198/1.
- طبقات الحضيكي: ص 174/61.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 297/1.
- الأعلام قاموس تراجم للزركلي: 236/1.
- ترتيب الأعلام على الأعوام لخير الدين الزركلي: ص 576.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني: ص 114.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 640.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 154/1.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 283/1.
- معجم المطبوعات المغربية: ص 144/285.
- معلمة المغرب: ص 6584.
- الحركة الفكرية في عهد السعديين لمحمد حجي: 368/2.
- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي: ص 86.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 1229.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 253.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: ص 249/343.
- مؤرخو الشرفاء تأليف ليفي بروفنصال: ص 85.

القبيلة البربرية الزناتية مكناسة لا إلى مدينة مكناس، وجده الأعلى هو موسى بن أبي العافية الذي حارب الأدارسة في مستهل القرن الرابع للهجرة وأمعن في قتلهم وتشريدهم حتى كاد يفنيهم، وقد تبرأ ابن القاضي من أفعاله عند ترجمته له في "جذوة الاقتباس" فقال ما نصه: "ونسبتنا نحن إلى هذا الرجل أعني موسى بن أبي العافية والله أعلم لكن فعله الذي كان منه لأهل البيت لا أرضاه، لأني يشهد الله علي وملائكته أني عبد أهل البيت [أي خادمهم] ومن محبيهم، أماتني الله على حبهم في عافية آمين يا رب العالمين".

وقال مخلوف في "شجرة النور": "أبو العباس أحمد بن **عمر** بن أبي العافية، ولعله وهم وقع فيه فإن قَصَدَ والده فإن والده اتفقت التراجم على أن اسمه محمد، وإن قصد جده الأعلى ابن أبي العافية فإن اسمه موسى ليس عمر كما هو مثبت في "جذوة الاقتباس" لابن القاضي نفسه، و"الصفوة" و"السلوة" وغيرهم.

يعتبر ابن القاضي من العلماء المتميزين الذين قدموا للتراث الإسلامي عموما والتراث العلمي المغربي خصوصا خدمات جليلة، بما ألفوه من كتب في مجالات مختلفة، فهو رحمه الله لم يؤلف في التاريخ والتراجم وهما الغالبان على شخصيته، ولكنه كان مشاركا في غير ذلك من العلوم من فقه وعربية وحديث وأدب، إضافة إلى العلوم العقلية المحضة التي كان يجيدها ويطير في سمائها طيران البازي في جو السماء خاصة علم الحساب والهندسة اللذين أتقنهما وضبطها وتشربهما قلبه ووعاهما عقله حتى ألف فيهما أربعة كتب، ووصفه خير الدين الزركلي في كتابه "الأعلام" بكلمتين جمعتا كل هذا فقال: "مؤرخ رياضي".

- **مولده ودراسته وشيوخه:**

ولد مترجمنا بفاس سنة 960هـ في أسرة اشتهر كثير من رجالها بالعلم والرواية ولقاء الشيوخ العلماء، وقد كان والده محمد بن محمد بن أحمد ابن أبي العافية الشهير بابن القاضي من أهل العلم تَرْجَمَ له مترجمنا في "جذوة الاقتباس" وقال فيه: "كان فقيها نوازليا فرضيا حيسوبيا، أخذ الحساب والفرائض عن عبد الحق المصمودي السكتاني، وعن علي بن هارون وأخذ عنه مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي، وتلخيص المفتاح عن محمد اليسيتني (...)".

وقد اهتم به أبوه العالـم هذا ورباه تربية حسنة، وأنشأه على حب العلم والاستزادة منه، فصادف منه نبوغا ونباهة، وحبا للعلم والتعلم، والعكوف على دراسة الكتب ولقاء الشيوخ، فأخذ في فاس وفي غيرها من مدن المغرب كمراكش كما في "معلمة المغرب" لأن مراكش في عهد السعديين كانت مركزا علميا مهما يتقاطر العلماء وطلاب العلم للأخذ فيها والاستقرار لأنها كانت محل عناية أمراء السعديين، فتتلمذ على علماء كثيرون منهم:

والده **محمد بن محمد بن أحمد ابن أبي العافية الشهير بابن القاضي** قال في ترجمته: "(...) وهو والدي رحمة الله تعالى عليه (...) أخذت عنه الفرائض والحساب وشيئا من منية الحساب لابن غازي، توفي سنة أحدا وثمانين وتسعمائة"، و**أبو راشد يعقوب بن يحى اليدري** إمام الفرائض والحساب وغيرهما، و**مبارك بن علي بن إبراهيم التورختي المصمودي**، و**أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار الغرناطي**، و**أبو العباس أحمد بن علي المنجور المكناسي** وقد لازمه كثيرا تقريبا عشرين سنة، وتأثر به تأثرا كبيرا قال في ترجمته له في "درة الحجال": "ولقد أجاز لي رحمة الله عليه جميع ما يحمله وجميع تآليفه، وصارت الدنيا تصغر بين عيني كلما ذكرت أكل التراب للسانه، والدود لبنانه"، وقال كذلك: "لازمته كثيرا من سنة 975هـ إلى وفاته رحمه الله"، و**أبو العباس أحمد بابا التنبكتي** المؤرخ الشهير صاحب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج" وغيرها من الكتب الكثيرة

النافعة، والفقيه المفتي **أبو زكريا يحيى بن محمد السراج الحميري**، و**أبو زكريا يحيى بن علي المالكي الخصيبي**، والقاضي **عبد الواحد بن أحمد الحسني السجلماسي**، والقاضي **أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضري**، و**أبو عبد الله محمد بن علي الدادسي**، و**أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر التواتي**، و**أبو محمد عبد الله بن محمد الوردي المراكشي**، و**محمد بن محمد المشاط المنافي المعروف بالهزاز**، والفقيه الأستاذ **أبو عبد الله محمد بن يوسف المساري الترغي**.

ولما كان دون الثلاثين من عمره –في أواسط العشرين– وأخذ من علم علماء المغرب الشيء الكثير، رام السفر إلى المشرق للحج والتعلم والحصول على أسانيد جديدة من علماء تلكم البقاع، فتجهز للرحلة، وأعد عدة السفر، وطوى الطريق إلى المشرق قال مُتَرجموه: "رحل إلى المشرق المرة الأولى وحج وجاور وأقام هناك سنين عديدة"، فتتلمذ في هذه الرحلة الطويلة على شيوخ أعلام كبار في مصر والحجاز وغيرهما منهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن العلقمي المصري الشافعي قال فيه: "أخذت عنه البخاري رواية بمصر سنة 986هـ بداره"، و**أبو عبد الله محمد بن أحمد الرملي**، و**البدر القرافي محمد بن يحيى بن عمر** صاحب "توشيح الديباج وحلية الابتهاج"، و**أبو عبد الله محمد المحلى جمال الدين الشافعي**، و**الشيخ المحدث النحوي منصور المنوفي**، و**عبد الرحمن بن عبد القادر الهاشمي العلوي الشافعي المكي**، والشيخ **عبد الله بن أبي القاسم الهندي الديلي الحنفي**، والشيخ **راشد بن عبد الله البغدادي الشافعي**، ومفتي مصر **أبو الحسن علي بن غانم المقدسي الحنفي**، و**أبو عبد الله البهنسي المصري**، والشيخ **سالم السنهوري** شارح مختصر خليل، و**يوسف بن فجلة الزرقاني** صاحب حاشية خليل، و**أبو زكريا يحيى بن محمد الحطاب المالكي**، و**الشيخ عثمان المالكي المصري**، وغيرهم كثير.

- **رحلته الثانية ومحنته:**

لما أخذ ابن القاضي ما قدر له من علوم آب إلى المغرب واستقر بمسقط رأسه مدينة فاس، وتصدر فيها للتدريس ونشر العلوم النقلية والعقلية كما في "معلمة المغرب"، ثم ارتحل من فاس واتجه إلى مراكش، ونظرا لعلمه الغزير، ومعرفته الواسعة، واطلاعه الجيد على أحوال المشرق، ضمه السلطان أبو العباس المنصور الذهبي إلى بلاطه، وحظي عنده بمنزلة رفيعة، ومكانة سامية مرموقة، ولما حلت سنة 994هـ تاقت نفسه إلى المشرق مرة أخرى للحج والاستزادة من العلوم، إضافة إلى مهمة ثانوية وهي نشر مآثر وأخبار المنصور الذهبي ودولته في المشرق، واستأذن الأمير في ذلك فأذن له غير أن الرياح جرت بما لا تشتهيه سفينته، قال عبد العزيز الفشتالي كما نقل عنه محمد حجي في كتابه "الزاوية الدلائية": "ثم ثاب له رأي في معاودة البلاد المشرقية للتطوع بحجة أخرى، واستزادة العلم والتحصيل، وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا الإمام أمير المؤمنين أيده الله في الآفاق، فجمع من مفاخر الدولة وفتوحها ومآثرها وأمداحها ما أمل بثه في الأقطار ونشره في المشارق لو ساعدته الأقدار، واستأذن أمير المؤمنين أيده الله فأذن له ووصله، وتوخى الطريق على البحر فركب السفن من ثغر تيطاون فاعترضتهم أساطيل العدو في بحر الزقاق فأسرتهم، وحصل في ورطة عظيمة لولا ما تداركه من ألطاف الله تعالى وشمله من عناية مولانا أمير المؤمنين".

وقد تعرض في هذا الأسر لبلاء عظيم، ومحنة شديدة اجتمع فيها الجوع والبرد والضرب والتكليف بما لا يطاق، فنظم قصيدة شعرية يستدر بها عطف المنصور لينقذه مما هو فيه من بلاء جاء فيها:

بحق الذي ولاك ملكا فنجني ... من الهلك يا قصد السبيل المكبل
وكن يا إمام العدل في عون حائر ... أسير كسير ذي جناح مذلل
لقد مزقت أيدي الزمان وريده ... ودارت عليه الدائرات كجلجل
وأخنى عليه الدهر من كل وجهة ... وداست عليه النائبات بأرجل

قال ابن القاضي كما "المنتقى": "فما بلغت ليده العالية إلا بعد تكفل همته العليا بإخراجي لأنه أيده الله كان قد كتب في شأني لقواد الثغور أن يبحثوا عني في أي موضع مستقري من بلاد الكفرة أذلهم الله تعالى"، فلما وجدوه افتداه السلطان أبو العباس المنصور بمال جزيل ما يعدل عشرين ألف أوقية كما قال الكتاني، وكانت مدة أسره نحوا من أحد عشر شهرا لأنه أسر يوم الخميس رابع عشر شعبان عام أربعة وتسعين وتسعمائة وخرج يوم سابع عشر رجب من السنة التي تليها، وكرد للجميل والعناية التي أحاطه بها المنصور ألف كتابا في شأنه سماه: "المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور".

- **مهامه الوظيفية وتلاميذه:**

التدريس: لما عاد ابن القاضي من رحلته الأولى جلس للتدريس في مدينة فاس كما سلف الذكر، ثم ما لبث أن انتقل إلى مراكش واستوطنها ردحا من الزمن، وحرك فيها مجالس علمه وتدريسه وتأليفه، ثم قصد الزاوية الدلائية في أواخر عمره فجلس للتدريس فيها أيضا قبل أن يرجع إلى مدينة فاس بصفة نهائية، قال عبد الله المرابط: "تميز ابن القاضي خلال إقامته الأخيرة بمراكش بنشاط ملحوظ في مجالس الدرس والتأليف، ولم يقصر استفادته على طلبة مراكش إذ نراه ينقل درسه إلى فاس أولا إلى زاوية الدلاء ثانيا".

وقد اتبع رحمه الله في تدريسه طريقة سهلة وبسيطة مبنية على التركيز والتحصيل الجيد بعيدا عن التعمق الطويل، واتباع التفاصيل والأقوال المتشعبة، ودليل ذلك أنه كان يختم مختصر الشيخ خليل كل أربعة أشهر وكان هذا دأبه، بينما لا ينتهي منه غيره إلا في سنوات، واشتغل في أواخر عمره بتدريس صحيح البخاري في جامع الأبارين بفاس فكان الذي يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد بن عاشر، وكان يجيز الحاضرين في آخر كل مجلس لتحصل الرواية لكل من سمع ولو حديثا واحدا متشبها بما رآه عند المشارقة، وقد تتلمذ على يديه الكثير من الناس صار بعضهم طلبة كبار يشار لهم بالبنان، منهم:

أبو العباس المقري صاحب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، والأستاذ **أبو زيد بن القاضي**، و**أبو العباس أحمد بن علي الفاسي**، و**أبو عبد الله البوعناني**، و**أبو عبد الله الصباغ**، و**أبو العباس الأبار**، و**محمد بن أبي بكر الدلائي**، والفقيه الكبير **عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر** صاحب متن "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" وهو الذي كان يقرأ صحيح البخاري بين يديه بمسجد الأبارين أواخر عمره، والشيخ **أبو عبد الله محمد ميارة** صاحب "الدر الثمين"، وغيرهم كثير.

القضاء: مارس ابن القاضي مهمة القضاء إلى جانب التدريس فعين قاضيا للقصر ثم مدينة سلا ثم مدينة مكناس كما في "الإعلام بمن غبر" و"معلمة المغرب"، غير أنه لم تحدد الفترة الزمنية التي ولي فيها القضاء، أو بالأحرى اختلف فيها، فهل عين قاضيا بعد سفره الثاني وافتدائه من الأسر أم قبل ذلك؟، وهل استقضى في مدينة سلا أولا أم مدينة مكناس؟، وماذا قصد صاحب "الإعلام بمن غبر" بكلمة "القصر"؟ هل يقصد مدينة القصر الكبير؟.

أما السؤال الأول فإن ليفي بروفنصال في كتابه "مؤرخو الشرفا" يرى أنه عين قاضيا بمدينة سلا بعد رجوعه من الأسر وتأليفه كتاب "المنتقى" حيث يقول: "لا شك أن ابن القاضي قد كتب "المنتقى" كما قلنا في بادرة عرفان بجميل من افتداه من الأسر (...) لا ندري هل نظر المنصور إلى "المنتقى" بعين الرضى والاستحسان، إلا أننا نلاحظ أنه لم يلبث أن عين مؤلفه قاضيا بسلا"، في حين ذهب كاتب مقال ابن القاضي في "معلمة المغرب" إلى أنه تولى القضاء قبل ذهابه إلى مراكش أي قبل أسره وافتدائه قال: "وتجدر الإشارة إلى أن ابن القاضي قد امتهن القضاء والخطابة أول الأمر بالقصر ثم عمل قاضيا بسلا ومكناسة فترة من الزمان قبل توجهه إلى مراكش".

والخلاصة من هذا كله أن ابن القاضي قد عمل في مجال القضاء مدة من حياته أسوة بالعلماء الكبار الذين كان السلاطين والولاة يندبونهم لتولي مهمة القضاء لما تحتاجه هذه المهمة من علم كبير، وتمكن ودراية بأحوال الناس وأعرافهم، وقدرة على الاستنباط من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ للحكم بالحق، لئلا يظلم أحد، ويسود بذلك العدل والأمن بين أفراد المجتمع.

- **مؤلفاته:**

كان ابن القاضي عالما فريدا جمع بين العلوم العقلية والنقلية، ألف مؤلفات شتى في علوم مختلفة فألف في التاريخ والسير، والمنطق، والفقه، والفرائض، والحساب والهندسة وغير ذلك مما يدل على سعة أفقه، ووفرة حفظه، واطلاعه الكبير، وقد اشتهرت بعض كتبه اشتهار قفا نبك بين الشعراء واعتمد الناس عليها كثيرا، واعتنوا بها اعتناء خاصا خصوصا "درة الحجال" و"جذوة الاقتباس" فهذان الكتابان لهما مكانة تاريخية مميزة، اعتمد عليهما العلماء كثيرا في التراجم لما حووه من معلومات هامة، ومادة علمية غزيرة، بلغة مميزة ومنسقة بلا إيجاز مخل، ومما وقفت عليه من مؤلفاته ما يلي:

1. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس.
2. درة الحجال في أسماء الرجال: وهو عبارة عن ذيل لكتاب ابن خلكان.
3. غنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض.
4. المدخل في الهندسة.
5. فتح الخبير بصناعة التكسير وهو شرح على أرجوزة ابن ليون في صنعة التكسير.
6. نظم تلخيص ابن البنا.
7. المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور.

8. نيل الأمل فيما به بين المالكية جرى العمل.

9. نظم منطق السعد.

10. تقاييد على جداول الحوفي سماه القانون الوفي بجداول الحوفي في الفرائض.

11. فتح النبيل بما تضمنه من أسماء العدد التنزيل.

12. شرح قصيدة البلوي في مسائل ميراث الجد.

13. وفهرسته المسماة رائد الفلاح في ذكر مالي من الأسانيد الصحاح.

14. لقط الفرائد في تحقيق الفوائد، وهو ذيل لوفيات ابن قنفد.

15. زهر البستان المتنوعة بمحاسن أهل الزمان ذكره القيطوني في "معجم المطبوعات".

16. منظومة درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك، استدرك بها ما لـم يذكره ابن الخطيب في كتابه "رقم الحلل في نظم الدول"، وهي أرجوزة ذكر فيها الملوك مرتبين حسب وفياتهم، ومطلعها:

الحمـد لله الـذي أبـدى العبـر في دول الـملوك للـذي عـبر

17. وشرحها المسمى الدر الحلوك المشرق بدرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك، كما ذكر القيطوني في "معجم المطبوعات"، والسملالي "الإعلام".

18. اختصار للمعيار المعرب إلا أنه لم يكمله لفقده نسخة أصله لكون من كان يملكه ضن به عليه كما ذكر الفاسي في "الإعلام بمن غبر".

19. وجزء جمعه في مسموعات شيخه أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغي، ذكره القيطوني في "معجم المطبوعات المغربية".

- **شعره:**

من المميزات التي تفرد بها ابن القاضي عن غيره هو أخذه من كل علم وفن بنصيب، مزواجا في ذلك بين العلوم الشرعية والأدبية وبين غيرهما كالحساب والمنطق والهندسة، وقد اعتنى بقول

الشعر، ونظم الكلام، والاشتغال بعلم العروض فهما وتطبيقا فألف منظمات علميـة اعتنى بها الناس واشتغلوا ببعضهـا من ذلك كما سلف في مؤلفاته: "نظم كتاب تلخيص ابن البنا المراكشي"، و"نظم منطق السعد"، و"منظومة درة السلوك"، إضافة إلى "شرح قصيدة البلوي"، وفي هذا دليل واضح على قوة ملكته الشعرية، وسيلان قريحته النظمية، ومما نظمه من شعر غير ما ذُكر من مؤلفاته النظمية هذه قوله:

"ومما نظمته بمراكش في ليلة الثلاثاء سابع وعشرين ذي القعدة عام إحدى وألف:

يا مالكي رفقا على جسمي الذي ... أضنيته بجمالك الفتان
واستوص بي خيرا فإني مدنف ... عيني تجود بدمعي الهتان
فبخالك المسكى الذي عاينته ... في جبهة بمعاقد التيجان
لا تحرمن شفتاي من لثم له ... ولوجنة حمراء كالعقيان

ومن نظمه أيضا ما أورده في "جذوة الاقتباس" في ترجمة أبي الحسن العطار:

لم أكرم الشيب على أنه ... ينزجر المرء من الشيب
ومن أتى الفحش على كبره ... فإنه من أعظم العيب
يا خجلتي يوم وقوفي غدا ... مفتضحا من عالم الغيب
فامنن على المذنب من توبة ... يمحو بها ما فات من عتب
يا رب ما قدمت من صالح ... أرجوه إلا الفضل من سيب

ومن نظمه كذلك:

فمن السحت عندنا ما رأينا ... ثمن السحر ثم مهر البغي
ثمن الجاه والرشا والكهانة ... وذو وصف ما فاز منه بشي

وقال زمن أسره يستصرخ الخليفة المنصور:

تجلت عن العاني الأسير المكبل ... هموم سرت في الجسم في كل مفصل
بذكر الإمام الهاشمي الذي سما ... بسيمة خير الخلق في كل محفل
إمام العلا المنصور فخر أئمة ... به قد تحلى كل جيد معطل

به راق وجه الأرض وافتر ثغره وحلي جيد منه بالدر والحلي
إمام همام همه طول همه ظبي مانة عين المعالي بصيقل
فكم تضحك الخيرات في بطن كفه ويبكي دناء كل رمح ومنصل
وكم جاوز الغايات حتى لو أنه أراد الثريا أمها في التنزل
معز الليالي من سناه توقدت ضياء بنور للخلافة مشعل
زكي زهي للسماح سماؤه جناح لنسر النصر في كل محفل
إمام الهدى بحر الندى قسور الردى إلى المعتفي والفاجر المتضلل
بحق الذي ولاك ملكا فنجني من الهلك يا قصد السبيل المكبل
وكن يا إمام العدل في عون حائر أسير كسير ذي جناح مذلل
لقد مزقت أيدي الزمان وريده ودارت عليه الدائرات كجلجل
وأخنى عليه الدهر من كل وجهة وداست عليه النائبات بأرجل
فعافاك رب العرش يا مالك العلا ودمت إماما في علاء...
ولا زلت حج المعتفين وكعبه مطافا لأهل الفضل في كل محفل

وقد مدح الخليفة المنصور بقصائد شعرية كثيرة أوردها في الكتاب الذي ألفه في شأنه المسمى "المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور".

- **ثناء العلماء عليه:**

لم يترك ابن القاضي ألسنة العلماء دون أن تنهال عليه بالمدح والثناء، واصفين إياه بالعلم والتمكن والموسوعية، وقد حلوه بكلمات علمية عالية كالعلامة، والإمام، والفقيه، والثقة، والإخباري، والمحقق، وغيرها من الأوصاف المجيدة التي لم يطلقها العلماء عبثا في حقه، وهم أكيس من أن يمدحوا رجلا دون أن يشاهدوا آثارا من علم وإحسان ونفع للناس:

- قال الكتاني في "السلوة": "ومنهم الشيخ الإمام النحرير، العالم العلامة الشهير، الفقيه المحدث الأديب، الإخباري المؤرخ الأريب، الحاج الرحالة".
- وقال كذلك: "كان حافظا ضابطا، محققا مؤرخا، إخباريا ثقة، سيال القريحة بالشعر، حسن العبارة، لطيف الإشارة، مستجمعا لعلوم الأدب، ماهرا في معرفة علوم الأوائل،

مشاركا في غير ذلك للأيمة الأماثل، وافرد بعلم الحساب والفرائض في وقته شرقا وغربا فكان يطير فيهما طيران البازي في جو السماء، ويتصرف فيهما تصرف الحوت في البحر، وكان له اعتناء بنشر العلم وتدريسه يختم مختصر خليل في أربعة أشهر ذلك دأبه أبدا، مع ما هو عليه من الأخلاق المرضية، والأحوال المهدية، والكرم الوافر، والتواضع ولين الجانب، وحسن النية".

- وقال الإفراني: "الشيخ الإمام، العالم المحدث الرحال".
- وقال القادري في "نشر المثاني": "ومنهم العلامة المؤرخ (...) وكان صاحب الترجمة إماما مؤرخا ضابطا واعية متحريا معبرا علامة دراكة مشاركا".
- وقال الحضيكي في "طبقاته": "كان –رضي الله عنه– متواضعا مع جلالة قدره وتبحره في جميع فنون العلم، معتنيا بنشر العلم، ويختم مختصر خليل في أربعة أشهر ذلك دأبه دائما، حسن النية ولين الجانب".
- وقال مخلوف: "الإمام العالم الجليل، المفضال الفقيه المتفنن، المؤرخ الرحال".
- وقال عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس": "هو الإمام العلامة مسند فاس ومؤرخها".
- وقال القيطوني: "الشيخ الإمام النحرير، العلامة الشهير، الفقيه المحدث، الأديب المشارك، المؤرخ الضابط، النقاد المطلع، الثبت المتقن، الحيسوبي الفرضي، مسند فاس ومؤرخها، له معرفة بالفقه والحساب وافرائض والهندسة والتاريخ، كان حافظا ضابطا محققا مؤرخا إخباريا، سيال القريحة في الشعر (...)".
- وقال محمد حجي: "الفقيه الرياضي، المؤرخ الشهير".
- وقال عبد الله كنون في النبوغ: "وكان متضلعا من علوم الفقه والحديث والعربية والتاريخ، وهو الغالب عليه، بلا الحساب والفرائض".
- وقال الزركلي في "الأعلام": "مؤرخ رياضي".

- **وفاته ومكان دفنه:**

بعد خمس وستين سنة من ولادته، قضى جلها بين الكتب والشيوخ والطلاب مفيدا ومستفيدا، أصابه خلالها محن وأضرار مما لا ينجو منه معظم الناس، توفي مترجمنا رحمه الله في مغرب يوم سادس شعبان سنة خمس وعشرين وألف للهجرة 1025هـ بمدينة فاس وقيل سنة 1026هـ كما قال عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس" نقلا عن صاحب "البدور الضاوية"، ولكن غالب المترجمين متفقين على التاريخ الأول 1025هـ، وصلى عليه بجامع القرويين تلميذه الشيخ الكبير أحمد المقري، ودفن بباب الجيسة بقرب سيدي محمد بن الحسن كما هو ثابت في "سلوة الأنفاس"، فرحمه الله رحمة واسعة، ونفعه بعلمه وما خلفه من تراث علمي زاخر.

15. عبد الواحد بن عاشر (990/1040هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو الفقيه المقرئ الأستاذ **عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الأنصاري أبو محمد (وقيل أبو مالك) المالكي الفاسي»**[1]، اختلف العلماء في لقبه فقال تلميذه محمد

---

[1] أنظر ترجمته في:
- الأعلام قاموس تراجم للزركلي: 175/4.
- فهرسة الشيخ محمد بن أحمد ميارة الفاسي: ص 27.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس: 336/2.
- شجرة النور الزكية: 299/1.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر لمحمد الصغير الإفراني: ص 124.
- طبقات الحضيكي: ص 512.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي: 96/3.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 1287.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 636/1.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 331/2.
- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ص 786.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني للقادري: 283/1.
- الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لمحمد بن أحمد بن محمد المالكي أبو عبد الله الشهير بميارة: ص 6.
- المباشر على ابن عاشر لمحمد النابغة الغلاوي ص: 27.
- العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر ص: 18.
- الفكر السامي للحجوي: 109/4.
- التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا: ص 251.
- القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: ص 46.
- معلمة المغرب: ص 5837.
- معجم المطبوعات المغربية للقيطوني: ص 114/224.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 248.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 642.
- مؤرخو الشرفاء تأليف ليفي بروفنصال: ص 182.

بن أحمد ميـــارة وغيره (أبو محمد)، في حين قال القيطوني في "معجم المطبوعات"، وعادل نويهض في "معجم المفسرين"، ومخلوف في "شجرة النور" (أبو مالك).

لا شـك أن عددا لا يستهان بـه من طلبـة العلوم الشرعية بالمغرب قد سمعوا بالعالـم العلامة عبد الواحد بن عاشر من خلال متنه الذائـع الصيـت "المرشـد المعين على الضروري من علوم الدين"، وحفظوا متنه هذا خصوصا طلبة التعليم العتيق الذين يهتمون بالقرآن الكريم والمتون العلمية اهتماما بالغا، فأغلب هؤلاء الكرام يعرفون ابن عاشر ويعرفون متنه، فهو عالم التصق اسمه بمتنه، واشتهر رحمه الله ما اشتهر متنه وذاع صيته، وقد جعل الله له القبول في الأرض فاهتم به الناس جدا.

- **مولده ودراسته وشيوخه:**

ولد مترجمنا بمدينة فاس حاضرة العلم عام 990هـ وقد ذكر في "معلمة المغرب" أنه كان يسكن بدار أسلافه الكبرى بحومة درب الطويل من فاس القرويين، وأنه من حفدة الشيخ الشهير أبي العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر السلاوي المتوفى عـام 765هـ، ابتدأ مساره العلمي بحفظ القرآن الكريم على عادة ولدان المغرب في تلك الفترة، فقرأ القرآن على الإمام الشهير والأستاذ المحقق **أبي العباس أحمد ابن الفقيه الأستاذ سيدي عثمان اللمطي** وعلى غيره، وأخذ القراءات على الأستاذ المحقق **أبي العباس أحمد الكفيف**، ثم عن العالم الشهير مفتي فاس وخطيب حضرتها **أبي عبد الله محمد الشريف المري التلمساني** وغيرهما، فلما حفظ القرآن وأتقن قراءته وتجويده ورسمه، انتقل إلى باقي العلوم، فأخذ النحو والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم عن جماعة من الأئمة الأعلام منهم:

أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي، والإمام النحوي الأستاذ **أبي الفضل قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي**، والفقيه المحدث **أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي** ابن عم أبي الفضل المذكور قبله، قرأ عليه صحيح البخاري في جامع الأبارين بفاس وكان ابن عاشر رحمه الله هو الذي يسرد الحديث بين يدي الشيخ، وعن قاضي الجماعة بفاس **أبي الحسن علي بن عمران**، و**أبي عبد الله محمد الهواري**، و**أبي الفضل قاسم بن محمد أبي نعيم الغساني**، وقرأ موطأ الإمام مالك على الفقيه **أبو عبد الله محمد بن الجنان**، وشمائل الترمذي على **الإمام المحدث أبو الحسن علي البطيوي**، وأخذ طريقة التصوف عن العالم **أبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي المشهور بابن عزيز**، كما كان يتردد على الزاوية البكرية وأخذ عن شيوخها المبرزين فحضر مجالس **محمد بن أبي بكر الدلائي** في التفسير والحديث، وغير هؤلاء الأعلام ممن كانوا يدرسون العلوم بمدينة بفاس.

فلما بلغ من العمر ثماني عشرة سنة، واشتد عوده، وقوي جسمه، وأخذ من علوم فاس مـــا يؤهله ويرغبه رغبة قوية في أخذ المزيد، اشتاق إلى الرحلة للمشرق للحج وطلب العلم، فأعد عدته لذلك وقصد بلاد المشرق للسماع من علماء تلك البقاع وأداء فريضة الحج، فحج عام 1008هـ كما يقول تلميذه محمد ميارة في "الدر الثمين" غير أن تفاصيل هذه الرحلة لا نعلم عنها شيئا، ولم يحفظ لنا منها شيء إلا أسماء بعض من أخذ عنهم وهم على رؤوس الأصابع ذكر بعضهم تلميذه أبو عبد الله ميارة وغيره، فسمع خلال هذه الرحلة من الإمام المحدث **صفي الدين أبو عبد الله محمد بن يحي العزي الشافعي**، وأخذ عن **أبي النجاة سالم السنهوري**، **والشيخ بركات الحطاب**، والتقى بالشيخ **عبد الله الدنوشري** وسأله الأخير عن أشياخه فذكر ابن عاشر شيخه أبو عبد الله القصار القيسي فيما ذكر له، فقال الدنوشري:

قد حاك شقة العلوم أيمة ... وكسوا بالفضل من هو عار
رقت حواشيها ورق طرازها ... لكنها تحتاج للقصار

- **جلوسه للتدريس وتلاميذه:**

لما امتلأ وعائه بالعلم، وأخذ من العلوم المختلفة ما يؤهله لأن يجلس للتدريس وتعليم الناس ولا يكون عالة على هــذا المجال، جلس للتدريس بجامع القرويين وتولى الخطابة كذلك، وقد برع بحق، فقد ذكر تلميذه ميارة بعض العلــوم التي قرأها عليه، فبان بها أن الرجل كــان متبحرا جدا، عالـم مشارك في علوم كثيرة ومتنوعــة مـن نحو، وفقه، وحديث، وحساب، وطب، وضبط، ورسم، وقراءات، وغيرهـا من العلوم والفنون، قــال أبو عبد الله ميارة في حق أستاذه: "فــاق أشياخــه في التفنن في التوجيهات والتعديلات"، ومع ذلك كان متواضعـا جـدا يروم الاستزادة من العلوم ومن أقواله: "لو لـم يجيزوا إلا لـمن أتقن ما بَلَغَنَا شيء"، ومن بين الكتب التي كان يدرسها في مجالسه وأخذها عنه تلميذه هذا أو أخذ عنه بعضها ما يلي:

- صحيح الإمام البخاري.
- وصحيح الإمام مسلم.
- مختصر الشيخ خليل في الفقه.
- ألفية ابن مالك في النحو.
- مورد الظمآن في الرسم لأبي عبد الله الخراز، قال ميارة: "مرات متعددة قبل شرحه له وحال شرحه وبعد كماله".
- ذيل مورد الظمآن في الضبط بشرح التنسي.
- الدرر اللوامع لأبي الحسن علي بن بري بشرح ابن المجراد السلوي، في القراءات.
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
- التلخيص في الحساب لابن البنا المراكشي.

- أرجوزة الحكيم ابن سينا في علم الطب من أولها إلى آخرها، قال ميارة: "مع جماعة من أصحابنا إلا أنا لم نعتن بعد بذلك الفن".

فإذا نظرنا إلى هذه الكتب المختلفة في شتى العلوم النقلية والعقلية، والتي تشربها وفهمها وعرفها حق المعرفة حتى اختارها ليدرسها ويشرحها للطلاب بسلاسته في التعبير، وحسن عرضه لدروسه، عرفنا لماذا مدحه الشيخ إدريس القيطوني في "معجم المطبوعات المغربية" بقوله: "الشيخ الإمام الكبير، العالم العلامة الشهير، الحجة المشارك، الورع الناسك، الخطيب المقرئ المجاهد، الأصولي المتكلم النظار، خاتمة العلماء العاملين الأخيار، شيخ الجماعة بفاس ونواحيها، كان إماما عالما ورعا عابدا، متفننا في علوم شتى، ذا معرفة بالقراءات وتوجيهها، والنحو والإعراب، والرسم والضبط، وعلم الكلام والأصول والفقه، والتعديل والحساب، والفرائض والمنطق، والعروض والطب، وغير ذلك، له الباع الطويل في المشاركة في العلوم مع غاية التحرير والتحقيق، فاق أشياخه في التفنن في التوجيهات والتعليلات، متواضعا حسن الأخلاق، نزيه النفس مثابرا على التعليم، كثير الإنصاف في المباحثة".

أخذ عنه تلامذة كثر وسمع منه خلق كثير، اشتهر بعضهم وبقي بعضهم الآخر خاملا لم يعرف له اسم، ولم تذكره المصادر التاريخية وهم الأكثر، ومن أشهر من تتلمذ عليه:

أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي شارح "المرشد المعين"، وقد أجازه إجازة عامة فقال: "قال الفقير إلى ربه عبد الواحد بن عاشر وقد أجزت الفقيه المذكور جميع مروياتي ومقروآتي وما لي من ملفق كفتح المنان المروى بمورد الظمآن، ومقطع كالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وكل ما يجوز لي وعني روايته بشرطه عند أهله"، **وأبو العباس أحمد بن علي بن محمد السوسي البوسعيدي الهشتوكي**" ذكر مؤلف "مؤرخو الشرفاء" أنه أخذ عن ابن عاشر بفاس، والشيخ **عبد القادر الفاسي** المتوفى سنة 1091هـ، و**أحمد بن محمد بن علي الزموري الفاسي**، و**محمد الزوين** صاحب شرح منظومة "تحفة الأبصار في أعمار

العقار لأبي الفضل العجلاني"، والإمام المعمر **محمد بن سعيد المرغيثي**، والقاضي **محمد بن محمد ابن سودة ابن أخت ابن عاشر** المتوفى عام 1076هـ، وغيرهم.

- **كتبه ومؤلفاته:**

رغم اشتغاله بالتدريس والخطابة وما يصاحب ذلك من التحضير والاطلاع الكثير إلا أنه كان ينظم وقته جيدا، ويستغل كل لحظة من حياته فيما ينفع، فدون بنات أفكاره، وخلف لنا ما يزيد عن عشر مؤلفات بين شروح ومتون وأراجيز في غاية التحرير والاتقان، وقد اهتم الناس ببعضها كثيرا وانتفعوا بما فيها، ومن أهم مؤلفاته:

1. منظومته في الفقه المالكي التي سماها: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وقد ابتدأها عندما أحرم بالحج سنة 1008هـ فنظم أفعال الحج مرتبة من قوله: وإن ترد ترتيب حجك... إلخ، ثم لما انفصل عن حجه كمَّل ما يتعلق بالقواعد الخمس كما قال الكتاني في "السلوة"، قال رحمه الله في مطلعها:

يقول عبد الواحد بن عاشر	**مبتدئا باسم الله القادر**
الحمد لله الذي علمنا	**من العلوم ما به كلفنا**
صلى وسلم على محمد	**وآله وصحبه والمقتدى**
وبعد فالعون من الله المجيد	**في نظم أبيات للأُمِّيِّ تفيد**
في عقد الأشعري وفقه مالك	**وفي طريقة الجنيد السالك**

وقد اعتنى بها الناس جدا فحفظوها وشرحوها وأوصوا الناس بدراستها، قال الشيخ محمد ميارة: "منظومة عديمة المثال في الاختصار، وكثرة الفوائد والتحقيق، وموافقة المشهور ومحاذاة مختصر خليل، والجمع بين أصول الدين وفروعه"، وقال فيها الحجوي الثعالبي: "يحفظها ولدان المغرب"، وقال فيها الفقيه النحوي أبو عبد الله محمد بن أحمد العياشي:

عليك إذا رمت الهدى وطريقه	**وبالدين للمولى الكريم تدين**

بحفظ لنظم كالجمان فصوله وما هو إلا مرشد ومعين
كأن المعاني تحت ألفاظه وقد بدت سلسبيلا بالرياض معين...

وقد اهتم العلماء بشرحها من ذلك:

- ✓ تلميذه أبو عبد الله محمد ميارة شرحها في كتاب سماه: الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين.
- ✓ المباشر على ابن عاشر لمحمد بن أعمر النابغة الغلاوي المتوفى سنة 1240هـ.
- ✓ العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر: للمختار بن العربي مؤمن الشنقيطي.

2. الكافي في القراءات ذكره عمر حكالة في "معجم المؤلفين".
3. فتح المنان في شرح مورد الظمآن في رسم القرآن.
4. الإعلان بتكميل مورد الظمآن في رسم الباقي من قراءات الأئمة السبعة الأعيان.
5. تنبيه الخلان في علم رسم القرآن ذكره المختار بن العربي مؤمن في شرحه لمتن ابن عاشر، والذي سماه "العرف الناشر".
6. طرر على شرح الإمام أبي عبد الله محمد التنسي لذيل مورد الظمآن في الضبط.
7. طرر على الشرح الصغير للتتائي على مختصر خليل المسمى بجواهر الدرر.
8. أرجوزة في عمل الربع المُجَيَّب في نحو مائة وثلاثين بيتا.
9. تقييد على العقيدة الكبرى للإمام السنوسي.
10. حاشية على الجعبري.
11. شرح على مختصر خليل من النكاح إلى العلم التزم فيه نقل لفظ ابن الحاجب، ثم لفظ التوضيح وأضاف إلى ذلك فوائد عجيبة ونكتا غريبة جلها من بنات أفكاره.
12. شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح.
13. نظم في النكاح وتوابعه من طلاق وغيره.
14. مقطعات في جمع نظائر مهمة من الفقه والنحو.

15. تقريض على منظومة علي بن عبد الواحد الأنصاري المسماة: اليواقيت الثمينة فيمن انتمى لعالم المدينة.

- **ثناء العلماء عليه:**

لمعرفة قدر مترجمنا ينبغي تدقيق النظر في الأوصاف التي مدحه بها العلماء، والنظر في مجال الكتب التي ترجمت لـــه أو أوردت اسمه على الأقل، فقد ذكر في الكتب التي تهتم بالفقه والتفسير والتصوف وغيرها، ومُدح بصفات علمية عدة تقارب حد الدهشة، فكما مـر معنا قول إدريس القيطوني الذي حلاه بأوصاف علمية نراها في حاضرنا مجموعة في أطر جامعـة علمية كاملة، فلو كان في عصرنا لكان الأحرى به أن يدرس في جامعة لوحده مختلف العلوم ويبرع في ذلك، فهو شخص فريد، وعقل نادر، وإنسان أقل ما يقال عنه نابغة عصره:

- قال تلميذه محمد ميارة: "كان رحمه الله تعالى عالما عاملا، ورعا عابدا، مفتيا في شتى العلوم (...) وكان الناظم رحمه الله ذا معرفة بالقراءات وتوجيهها، وبالنحو والتفسير والإعراب، والرسم والضبط، وعلم الكلام، يحفظ نظم ابن زكرى عن ظهر قلب، ويعلم الأصول والفقه والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض وعلم النطق والبيان والعروض والطب وغير ذلك".
- وقال الإفراني في "صفوة من انتشر": "ممن له التبحر في العلوم، ومن أهل المشاركة في الفنون، كان ذا سمت حسن، مثابرا على تعليم الناس، زاهدا في الدنيا يأكل من كد يمينه، يضرب في الأرض على طلب الحلال، متواضعـــا حسن الأخلاق، كثير الإنصـــاف فـــي المباحثة (...)".
- وقال القادري في "نشر المثاني": "أحد الأعلام، كبير الشأن، رأس في العلم والتحقيق والمشاركة في العلوم".
- وقال الكتاني في "السلوة": "ومنهم: الشيخ الإمام الكبير، العالم العلامة الشهير، الحجة

المشارك، الورع الناسك، الخطيب المقرئ المجاهد، الحاج الأبر الزاهد، شيخ الجماعة بفاس ونواحيها".

- وقال الحضيكي في "طبقاته": "عرف بابن عاشر الفاسي العلامة الجليل، برع في علوم شتى، وتبحر في منقولها ومعقولها، على دماثة الأخلاق، وسمت حسن، وزهادة في الدنيا، وورع تام، وكان دؤوبا على تعليم الناس، حريصا عليهم وعلى تعليم السنن والدين وإخماد البدع".
- وقال عمر رضا كحالة في "معجم المؤلفين": "عالم مشارك في القراءات والنحو والتفسير، وعلم الكلام، والفقه وأصوله، وغيرها".
- وقال عادل نويهض في "معجم المفسرين: "عالم بالقراءات، مشارك في الأصلين، والتفسير، والحديث، والتصوف، والنحو، والعروض، والبيان، والمنطق، والطب، والهيئة، والحساب".

- **شعره وبعض فتاويه واخباره:**

كان ابن عاشر رحمه الله فحلا عربيا يجيد علم العربية وما يتعلق بها، فمكنه هذا من أن يكون شاعرا مجيدا، وناظما متمكنا، ولا أدل على ذلك من أراجيزه ومتونه التي نظمها في العلوم كما مر في مؤلفاته، وقد كان يقول أبياتا شعرية في غير ما مرة، ولكنها لا ترتقي إلى درجة القصائد الطوال أو حتى المتوسطة بل هي أبيات صغيرة يعبر بها عما يجول في خاطره في مناسبات معينة، ومن ذلك ما أورده تلميذه أبو عبد الله ميارة في شرحه "المرشد المعين" حيث يقول: "ومن نظمه رحمه الله وكان يكثر من ذكره عندما تكثر عليه الأسئلة الفقهية ومن إملائه نقلت:

يزهدني في الفقه أني لا أرى بسائل عنه غير صنفين في الورى
فزوجان راما رجعة بعد بته وذئبان راما جيفة فتعسرا

ومنه في مدح مختصر ابن الحاجب وشرحه التوضيح:

خليلي خليل قد شـــغفت بحســـنه وتوضـــيحه صـــبحا بزينة حاجبه
وآليـت آلوه شـــرحا لغـامض من الود يرضـــاه خليـل وحـاجبـه

ومنه في الكتاب على طريق اللغز:

لله في خلقـه من صـــنعـه عجـب حقـائق كـادت في الوجود تنقلـب
كلهم بعين ترى لا الأذن تســـمعهـا خطـابهـا حـاضـــر وأهلهـا ذهبوا

وقد كان رحمه الله متبعا لسنة رسول الله ﷺ محبا لها كيف لا وهو الذي قرأ أمهات كتب الحديث وفهم محتواها، وقد كان كما يقول عنه مترجموه ورعا، زاهدا، مجاهدا، معتكفـــا، متواضعا، يقوم من الليل ما شاء الله، حسن الأخلاق، نزيه النفس ينزل إلى من دونه ليأخذ عنه، ويتولى في الأسواق أشغاله بيده، ويباشر أسبابه بنفسه، وعيب عليه ذلك وليس الأمر كما ظن العائب فقد قال ﷺ: «**من حمل سلعة فقد برئ من الكبر**». [قاله القادري].

وكان ينفر الناس من البدع والمحدثات التي لم تكن على عهده ﷺ ومن ذلك: ما أحدثه الناس عند دفن الميت من اجتماع القراء وقراءة القرآن على القبر حال الدفن، وقد نهى عن ذلك ونفر منه، ولم يفعله هو لما مات أخوه فقيل من أجل ذلك أنه بخيل كما ذكر القادري وهذا من مظاهر أذِيَّته رحمه الله، نقل الحضيكي في "طبقاته" وغيره أنه أنكر قراءة الحزابين على عادة الناس في الجنائز فلم يحضرهم لما مات أخوه، ولما فرغوا من الدفن قام عند قرب انصراف الناس فقال: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وإنما منعني من اصطناع الحزابين لأنهم يفسدون قراءة القرآن، وقال قراءتهم عذر في التخلف عن الجنائز".

- **وفاته ومكان دفنه:**

بعد حياة عمرها العلم والعمل والتدريس والتأليف توفي مترجمنا رحمه الله ضحى يوم الخميس ثالث ذي الحجة عام 1040هـ، وقد اختلف الناس في سبب موته رحمه الله على قولين:

الأول: أنه مات مسموما وهذا القول أورده القادري في "نشر المثاني" فقال: "ومن المحكى

أن سبب موت صاحب الترجمة أنه ضرب عليه الباب بعض، فخرج إليه فناوله شيئا من النوار المعروف بالياسمين، فدخل للدار وهو بيده، فلما شمه استنكر رائحته فإذا هو مسموم، فرمى به في القادوس، وأصابه ألم في الحين فمات".

والآخر: أنه مات بسبب مرض يسمى النقطة[1]، وهو الذي قاله تلميذه أبو عبد الله ميارة في "فهرستــه"، وشرحه "الدر الثمين".

وإن كنت شخصيا أرجح قول تلميذه أبو عبد الله ميارة لأن أخبار شيخه لا تخفى عليه خصوصا أنه كان من أَجَلِّ العلماء، ويَعرف حق من علَّمه وفقهه، وعاش ومات بفـــاس، ومات متأخرا عن شيخه باثنين وثلاثين عاما، فلا غرو أن أخبار شيخه ومعلمـــه لا تخفى عنه، ولو مات مسموما لذكر ذلك، والله أعلم.

والأهم أنه مات رحمه الله وعمره خمسون سنة، وقد دفن بمطرح الجنة أو الجلة بقرب المصلى وبني عليه قوس لتمييزه ومعرفته قال الكتاني: "قال في التنبيه: وقوسه في غربي روضة سيدي يوسف الفاسي"، فرحمه الله رحمة واسعة، ونفعه بعلمه وعبادته وكتبه آمين.

[1] شُرح هذا الداء في هامش سلوة الأنفاس بما يلي: (هو داء عصبي يبتدأ بثقل حركة اللسان والأطراف ثم الشلل الكلي، ثم شلل الأعضاء الداخلية خاصة، فالوفاة نسأل الله السلامة والعافية).

16. أبو عبد الله محمد ميارة (1072/999هـ):

- **اسمه وولادته وشيوخه:**

هو الفقيه المالكي المبرز، العالم العلامة الكبير **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الشهير بميارة الفاسي الكبير** تمييزا له عن حفيده الذي يلقب بالصغير»[1].

إذا ذكر متن ابن عاشر ورام الطالب فهمه ودراسته والاستفادة مما فيه فلا مناص له من الاطلاع على شرح "الدر الثمين" لأبي عبد الله ميارة، وابن عاشر وتلميذه ميارة هذا كانا فحلين في العلم، فقيهين مالكيين كبيرين قدما للمذهب المالكي في المغرب خدمة جليلة

[1] أنظر ترجمته في:
- فهرسة الشيخ محمد بن أحمد ميارة الفاسي.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: ص 250.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر فهرس أبي سالم العياشي: ص 114.
- طبقات الحضيكي: ص 309.
- الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر لعبد الله الفاسي الفهري: ص 181.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس: 200/1.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 309/1.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 346.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: ص 249.
- معجم المطبوعات المغربية: ص 172.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 1500.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 113/4.
- الأعلام للزركلي: 11/6.
- مؤرخو الشرفاء تأليف ليفي بروفنصال: ص 184.
- الحركة الفكرية في عهد السعديين لمحمد حجي: 371/2.
- معلمة المغرب: ص 7370.
- ومقال في موقع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بعنوان أبو عبد الله ميارة ت 1972هـ للدكتور بوشعيب شبون.

في تقريبه للناس بشكل مبسط في مؤلفات لها وزنها، وقد كتب الله لكتبهما خاصة متن "المورد المعين"، وشرحه "الدر الثمين" القبول بين طبقات المجتمع المغربي منذ عصرهما إلى عصر الناس هذا.

وأبو عبد الله ميارة كان عالما فقيها مفوها اشتغل بالتعليم والتدريس والتأليف مدة طويلة من حياته، وهو رحمه الله من مواليد مدينة فاس سنة 999هـ وبها نشأ وأخذ علومه بإقبال كبير وعزيمة قوية، زاحم بركبه في حلقات شيوخها، وبها نشر كتبه، وفقَّه تلاميذه والناس معهم، أخذ رحمه الله عن علماء فاس الفطاحل الذين أدركهم في أواخر حقبة السعديين علوما جمة، وقرأ عليهم أمهات الكتب الحديثية والفقهية والعقدية وغيرها، وقد أورد أسماء بعض شيوخه في كتابه المسمى "نظم اللآلئ والدرر في شرح مقدمة ابن حجر"، أو "معين القاري لصحيح البخاري"، وقد صدره بذكر شيوخه وأسانيده في رواية صحيح البخاري، وقد انتقى بعض الباحثين وهو بدر العمراني الطنجي شيوخه هؤلاء من كتابه السابق، وطبعهم بشكل مستقل تحت عنوان "فهرسة الشيخ محمد بن أحمد ميارة الفاسي" وأسماء شيوخه وبعض ما أخذه عنهم من كتب كالتالي:

1. **أبو الحسن علي بن قاسم بن عمر البطيوي**[1] وهو في مقام والده كما قال، قرأ عليه: جميع صحيح البخاري، وجميع صحيح الإمام مسلم مع إحضار شارحه الأُبِّي، وإكمال الإكمال للشيخ السنوسي في مسجد درب العقيبة قرب زقاق البغل، وقرأ عليه أيضا رسالة ابن أبي زيد، ونظائرها لابن غازي، وألفية الإمام مالك، ولامية الأفعال، وجمل المجراد، وصغرى السنوسي مرتين، والعقيدة الكبرى للسنوسي، ومختصر خليل إلا قليلا منه ملتزما

[1] أو البطوئي كما في فهرسته التي علق عليها بدر العمراني الطنجي.

في طرف كبير منه شرح المواق، وحاشية ابن غازي، والنصف الأول من مختصر ابن الحاجب، وشمائل الترمذي مرات متعددة، وجميع كتاب الشفا للقاضي عياض، وجميع ألفية العراقي في علم الحديث، ونحو النصف أو ما يقارب من الجامع الصغير للسيوطي، وجملة وافرة من جمع الجوامع لابن السبكي، وغير ذلك من الكتب والفنون.

2. **أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي**: سمع منه جميع صحيح البخاري إلا مجلسا واحدا أوله باب وقت صلاة المغرب أو نحو هذه العبارة من كتاب الصلاة، وهذا في غاية الضبط وغاية الحرص على التعلم، وأخذ عنه شمائل الترمذي، وجميع أحاديث الشهاب للقضاعي.
3. **عبد الواحد بن أحمد بن عاشر**: سمع منه صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومختصر الشيخ خليل في الفقه، وألفية ابن مالك في النحو، ومورد الظمآن في الرسم لأبي عبد الله الخراز مرات متعددة قبل شرحه له وحال شرحه وبعد كماله، وذيل مورد الظمآن في الضبط بشرح التنسي، وطرفا وافرا من الدرر اللوامع لأبي الحسن علي بن بري بشرح ابن المجراد السلوي، وطرفا رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وطرفا من التلخيص في الحساب لابن البنا المراكشي، وأرجوزة الحكيم ابن سينا في علم الطب من أولها إلى آخرها، قال ميارة: "مع جماعة من أصحابنا إلا أنا لم نعتن بعد بذلك الفن".
4. **أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني**.
5. **وأبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني**: سمع عليهما صحيح البخاري من أوله إلى آخره نحو ست ختمات أو ما يقرب منها بجامع القرويين في ست سنين ثلاث سنين لكل ختمة، وقرأ على **المقري** زيادة على الصحيح: مختصر الشيخ خليل مرتين ورسالة ابن أبي زيد إلا قليلا منها، وشمائل الترمذي، وطرفا من ألفية ابن مالك، وأما **أبو النعيم** فقرأ عليه زيادة على صحيح البخاري كبرى الشيخ السنوسي.
6. **أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الدكالي**: سمع عليه صحيح البخاري من

أوله إلى آخره إلا مجالس قليلة وذلك بالمسجد المجاور لداره بالدوح من طلعة فاس وقـــد أجازه فيه وأذن له بالتحدث به عنه.

وهؤلاء الستة هم الذين أوردهم في فهرسته، وقد قرأ عن غير هؤلاء الأعلام أمثال: **أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد البوعناني الشريف الحسني**، الذي قال فيه: "شيخنا وسيدنا، الإمام العالم العلامة، الحافظ المتقن، المحدث الرواية، الأستاذ المحقق"، والعلامة الفقيه **عبد الرحمن الفاسي**، والعلامة النحوي **أبو الفضل قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي**، و**الفقيه أحمد بن أبي العافية**، والولي الصالح **أبو عبد الله محمد بن أحمد العياشي**، وهذا قد انتفع بصحبته وسلوكه.

- **تلاميذه:**

لما أتم مترجمنا دراسته، وأنِس من نفسه قدرة على خوض غمار التدريس والتعليم، وشهد له أساتذته وشيوخه بالتفوق وأجازوه، جلس للتدريس وإقراء الناس، غير أني لم أقف على المكان الذي تصدر فيه للتدريس هل في القرويين أم في غيره من مساجد فاس التي كانت مزدهرة بحلقات العلم آنذاك؟، وسواء جلس في القرويين أو في غيره فقد كان عالما مفوها، ينتقي كتبه التي يدرسها بعناية، ويتكلم عنها كلاما علميا مضبوطا، وقد درَّس بعض كتبه التي ألفها بنفسه قال تلميذه أبو بكر العياشي: " سمعت عليه جملة من كتب الفقه، وسمعت من لفظه شرحه الصغير على "المرشد المعين" بأجمعه وكثيرا من شرحه على لامية الزقاق وغير ذلك من مروياته"، وقـد كثر طلابه، وأخذ عنه جم غفير وعالم كثير كما قال الكتاني، سواء المباشرين منهم أو غير المباشرين فالذين استفادوا من

كتبه وشروحه أكثر ممن شاهده وسمع كلامه قـــال محمد حجي في كتابه "الحركة الفكرية": "وليس مـــن المغالاة في شيء إذا قلنا إن طلبة المغرب وسائر أقطـــار شمال إفريقيا ظلوا يتتلمذون لميارة وابن عاشر عن طريق قراءة مؤلفاتهما التعليمية إلى أيام الناس هـــذه"، ومن أشهر من تتلمذ على يديه:

حفيده العلامة **محمد بن محمد ميارة الأصغر** المتوفى سنة 1144هـ، والفقيه **محمد المجاصي**، والعلامة الأديب **أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي** صاحب "اقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر"، و**أبو عبد الله ابن محمد العياشي الزياني المالكي** المتوفى سنة 1073هـ، و**أبو زيد عبد الرحمن بن أبي محمد عبد القادر الفاسي** المتوفى سنة 1096هـ، وغيرهم ممن كانوا يتقاطرون على حِلقه العلمية، ويسمعون كلامه الموزون المضبوط كثير وكثير.

- **مؤلفاته:**

كان مترجمنا رحمه الله رغم انشغاله بالتدريس والكد لينفق على نفسه إذ تذكر المصادر أنه كان متقشفا يتقوت من حلي لباس النساء كان يكريه في الأعراس كما قال في "السلوة"، ولا ينبغي لقارئ هذا أن يسارع إلى ظن أشياء تسيء إلى سمعة أبي عبد الله، فالرجل كان فقهيا عالما بأحكام الله تعالى مميزا بين الحلال والحرام، ولو رأى في عمله هذا أدنى شيء من شبهة لتركه وانصرف إلى غيره، ولا ينبغي لنا أن نقارن أعراسهم بأعراسنا فالفرق شائع والبون واضح، ومع انشغاله هذا كان رحمه الله حريصا على العلم وتحصيله وتقييده ونشره للناس، محبا للمحبرة والقلم والكتاب، ألف كتبا عز نظيرها، تزينت المكتبة العلمية المغربية بأن ضمت بين ثناياها كتبا مثلها، وقد انتشر بعضها في الناس واشتهر بينهـــم اشتهار قفـــا نبك بين الشعراء، قال بـــدر العمراني الطنجي: "لقد خط يراعه تآليف لقحت العقول والأفكار، وسارت بها الركبان في شتى البقاع والأمصار، وها هي ذي أسماؤها مجللة بلباس الإجلال والإكبار":

32.الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، شرح فيه متن شيخه عبد الواحد ابن عاشر، وقد فرغ من تأليفه كما يقول ليفي بروفنصال سنة 1044هـ أي بعد أربع سنوات من وفاة شيخه ابن عاشر رحمه الله.

33.ثم اختصر شرحه هذا في كتاب صغير بعد أربع سنوات من تأليفه "الدر الثمين" أي سنة 1048هـ.

34.شرح تحفة ابن عاصم وسماها: الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام.

35.فتح العليم الخلاق بشرح لامية الزقاق.

36.شرح هدي الساري مقدمة ابن حجر على صحيح البخاري وسماه: نظم اللآلئ والدرر في شرح مقدمة ابن حجر، أو معين القاري لصحيح البخاري، وقد صدره بذكر شيوخه وأسانيده في رواية صحيح البخاري، وقد طبعت بشكل مستقل بعنوان:

37.فهرسة الشيخ محمد بن أحمد ميارة الفاسي بتقديم وتعليق بدر العمراني الطنجي.

38.تكميل أو تذييل المنهج وشرحه، كمَّل به المنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق.

39.تنبيه المغتربين وكفاية المضطرين في التفريق بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين ولا أخبر به الصادق الأمين ولا ثبت عن الخلفاء المهتدين، وهو جواب له على رجل ليس من العرب منعه تجار فاس من الطلوع إلى حانوت بالقيسارية بفاس لكونه من المهاجرين الذين أسلموا قريبا.

40.اختصار زهر البستان في أخبار الزمان لصالح عبد الحليم أورده عبد السلام ابن سودة في كتابه "دليل مؤرخ المغرب" وقال فيه: ذكر له في أسماء دار المخزن بفاس.

41. زبدة الأوطاب في اختصار الحطاب ذكره عبد الله كنون في "النبوغ" وهو في ثلاث مجلدات، وقصد به اختصار شرح الحطاب على مختصر الشيخ خليل.

42. منظومة في الوفيات ذيل بها على منظومة أبي عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي.

43. تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة أورد القيطوني.

هذه معظم الكتب التي سماها العلماء ونسبوها له في كتبهم، يتضح من خلالها حبه للفقه المالكي وعلوم الحديث كثيرا، كيف لا وهو الذي تشرب في صغره وزمن طلبه هذين العلمين، وقرأ فيهما أكثر الكتب شهرة وطولا وضما للعلم واهتماما لدى العلماء كصحيح البخاري ومسلم ومختصر الشيخ خليل والرسالة وغير ذلك، وإلقاء نظرة على شيوخه وما درسه عليهم يجلي هذا الكلام ويوضحه.

- **بعض اخباره وثناء العلماء عليه:**

كان أبو عبد الله ميارة رحمه الله على خلق عال، وأدب جم، وسيرة حسنة، لم يكن يرد السوء بالسوء أو الأذية بمثلها، بل كان متغاضيا، منصرفا إلى شأنه، مهتما بالعلم والعبادة والتأليف، ناله أذى من طلبة وقته، ونسبوه لعدم الثقة في النقل حسدا مما حققه من علم انقلبت ثمراته في الواقع ونال به في نفوس الناس احتراما وتوقيرا، فأعرض عنهم وأقبل على شأنه ولم يرد على أحد منهم بجميل أو قبيح كما قال مترجموه، وهذا في غاية الحلم أن يتحمل الأذى ولا يرد بمثله مع قدرته على ذلك.

أضف إلى هذا أنه كان متواضعا خاشعا لما يحمله في صدره من نور الإسلام وعلمه، يروم الاستفادة والاستزادة من العلم حيث كان، ولم يغتر رحمه الله بعلو كعبه في الفقه أن يستفيد من أقرانه ويفيدهم خاصة ممن طبقت شهرتهم في الزهد والعلم الآفاق كأحمد بن علي البوسعيدي السوسي المتوفى سنة 1046هـ حيث طلب منه مترجمنا النظر في كتاب "الدر الثمين" في شرح "المرشد المعين" فأجابه البوسعيدي بقوله: "نظرت هذا المجلد المسمى "بالدر الثمين" الموافق اسمه لما وضع له من المعنى الأتم المكين لما فيه من المحاسن وجمع النظائر، ونظم قلائد الفرائض، والنقول المنسوبة المسرودة الفوائد، الكثيرة المسائل، المشحونة الوسائل، جعل الله نية مؤلفه خالصة لوجهه الكريم، وجعل فيه خدمته لمقام

ألوهيته العظيم، فماذا عسى أن أقول فيه غير أني محتاج إلى كثير مما فيه لأجل ما دون فيه من المسائل الدينية، والفروع الكثيرة الفقهية (...) ولا رأيت الكثير منها، فلله دره، فلو أدركه شيخنا صاحب الأصل لسُرَّ به".

ولهذا فقد حلاه العلماء بأوصاف حميدة، ومدحوه بألقاب جميلة، ووصفوه بصفات علمية عالية فمن قولهم العالم العلامة، إلى الفقيه المتفنن، إلى المحقق والحافظ، إلى بازي النوازل، وغيرها من الأوصاف العلمية المجيدة:

- قال عبد الله الفاسي الفهري في "الإعلام بمن غبر": "حافظ المذهب وحامل لوائه، والبدر المشرق في سمائه، صاحب الخلق الأعذب، وبازي النوازل الأشهب، المتحلي بحلية العلم والأدب".
- وقال الحضيكي في "طبقاته": "الإمام القدوة، الفقيه الحافظ الجليل، البازي الأشهب، المتفنن المتقن، المحقق المحصل ذو تأليف مفيدة".
- وقال الكتاني: "الشيخ الصالح الفقيه، العالم العلامة النبيه، حامل لواء المذهب، وباني النوازل الأشهب، ذو المآثر الأثيرة الأثيلة، والشمائل الحميدة الأصيلة، من قصر عن كنه ثنائه المنطوق والمفهوم، وأحجم عن شأو علاه المنثور والمنظوم، الإمام البركة الأكبر، والقدوة النفاعة الأشهر، مالك زمانه، وفريد عصره وأوانه".
- وقال فيه ليفي بروفنصال: "كان أبو عبد الله ميارة من أكابر العلماء وأساطين الفقهاء كرس حياته للتدريس والتأليف وكتبه متداولة عليها إقبال عظيم في حلقات العلم".
- وقال الإفراني في "صفوة من انتشر": "كان رحمه الله من أوعية العلم ومن المتفقهين في علم الأحكام".
- وقال محمد مخلوف: "الفقيه الفصيح العبارة، الإمام العلامة المتبحر في العلوم، الفهامة الثقة الأمين، المعروف بالورع والدين المتين".

- وقال إدريس القيطوني: "الفقيه، العلامة، الدراكة، الفهامة، المتفنن، النفاعة، المختص بالإتقان وحسن التصريف، المفرد عن أهل عصره بجودة التصنيف وسلامة العبارة وجودة الإشارة، شيخ المذهب وحامل لوائه، والبدر المشرق في سمائه، الإمام الأكبر، القدوة الأشهر".
- وحلاه تلميذه أبو سالم العياشي في قصيدته المسماة: "نفثة المصدور إلى الإخوان والصدور" فقال:

وأزكى سلام طيب نشره على ... إمامي وشيخي ذي التقى والفتوة
محمد المدعو ميارة له ... علي أياد لم تكدر بمنة
حميد السجايا وارع متواضع ... حليف الندا محيي علوم الشريعة
تصانيفه في كل علم مجيدة ... وأخلاقه أخلاق نفس مجيدة
قد انتشرت في الأرض آية علمه ... فنال بها بهاء في زيادة رفعة

- **وفاته ومكان دفنه:**

بعد ثلاث وسبعين عاما قضى أغلبها بين ثنايا الكتب والمساجد طالبا ومدرسا وعابدا توفي أبو عبد الله ميارة رحمه الله بعد ضحى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة اثنين وسبعين وألف 1072هـ، بفاس ودفن بدار بأقصى درب الطويل، صارت بعده روضة معدة لدفن الأموات، وأضيف إليها ساحات فصارت مقبرة كبيرة، وبني على قبره بها قبة، وجعل عليه دربوز وكسوة كما قال الكتاني في "سلوة الأنفاس"، فرحمه الله رحمة واسعة، ونفعه بعلمه وعمله وإفادته الناس، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

17. أحمد بن الونان

(.../ 1187هـ):

- **اسمه ونسبه وما حصل لسيرته:**

هو **أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن الونان**، الحميري النسب، الملوكي القبيل، التواتي الأصل، الفاسي الدار»[1].

شاعر مجيد، ورجل بليغ، كانت قوافي الشعر تذوب بين يديه ذوبان الملح في الماء، عرف الناس قدره في حياته، واعترف العلماء بتفوقه بعد موته، قربه السلطان إليه، وأعلى منزلته، وأجزل عطاءه، لما أنسه فيه من النبوغ والقدرة الأدبية والشعرية والعلمية، قال فيه أحمد بن محمد الجنكي: "نابغة وقته وسحبان أهل زمانه"، وقال فيه الشيخ عبد الله كنون في "النبوغ": "شاعر فحل، صاحب قريحة سيالة، وخاطر متدفق، وفكر نقاد"، وقال أبو عبد الله الجريري في مقدرته الأدبية: "وكان الناظم على ما بلغني شاعرا ماهرا، وفحلا هادرا، ذا وجد وإجادة، وقريحة وقادة، وبديهة بارعة، وفكرة لأبكار المعاني فارعة، وكان حسن النظم مكثارا لا يخاف

---

[1] أنظر ترجمته في:
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة لعبد الله كنون: ص 1328.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون: ص 316.
- شرح الشمقمقية لعبد الله كنون: ص 3.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 296/1.
- قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان لأحمد بن محمد الجنكي: ص 117.
- الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة لأحمد بن الحاج الرجراجي الرباطي: ص 18.
- المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية لمحمد بن عبد السلام السائح: ص 81.
- دليل مؤرخ المغرب الاقصى لعيد السلام بن سودة: ص 300.
- الأعلام للزركلي: 243/1.
- مقال للدكتور جمال بامي بعنوان أحمد بن الونان منشور على الموقع الإلكتروني "وحدة العلم والعمران بالمغرب"، وموقع "مغرس".

جواد لسانه عثارا، ألقت إليه الصناعة الشعرية زمامها، وفوضت إليه أحكامها، ووقفت عليه نقضها وإبرامها حتى صار في عصره قطبها وإمامها، مبرزا على إبطال الكلام وفرسانه، قاهرا لأدباء زمانه بإكثاره وإحسانه، وكان مـــع ما خوله من الإكثار والإحسان مولعا بالهجو، بذي اللسان، معجب بشعره ونثره، مزهوا بأدبه وثقوب فكره، ذاهبا بنفسه كل مذهب، لا يحيد عما اعتاده من ذلك المذهب، ريان من الفصاحة اليَعْرُبية، ملآن من العلوم العربية كاللغة والنحو (...) إلخ".

غير أنه مع كل هذا التميز وهذه الألمعية لم يحفظ لنا شيء من أخباره، ولا عُرف الكثير من أمر حياته، فهو سر مكنون في أحشاء تاريخ علماء وأدباء المغرب، لم يعرف له تاريخ ولادة ولا وفاة إلا ما ذكره الأستاذ النميشي في كتابه "تاريخ الشعر والشعراء" من أن وفاته كانت عام **1187**هـ، وقد تفرد بهذا التاريخ دون غيره كما يقول الشيخ عبد الله كنون الذي قَبِلَ قوله لثقته بالناقل رحم الله الجميع.

ولم يُحفظ للمتأخرين شيء عن مراحل دراسته وتعلمه، ولا اسم أحد من تلاميذه إن كان قد تصدى للتدريس، وكأنه كان عابـــر سبيل مر ببلاد المغرب، وضرب خيمته عند جبل مـــن جباله، فلما أصبح قلع الأوتاد، وطوى الخيمة، وأسرج البعير، ثم مضى متابعا طريقه من غير رجعة، وهذا مما جعل الشيخ عبد الله كنون يتحسر ويقول: "فهل تريد دليلا أقوى من هذا على إهمالنا لنبغائنا وعدم إنصافنا لهم حتى بعد الممات؟ وهل آن لنا أن نتخلص من هذا الإهمال الذي قضى على جـــل مآثر أسلافنا وبالتالي على أحسابنا الموروثة، وهي لقاح الأحساب المكتسبة التي نسعى لإيجادها وتهيئة أسبابها؟".

وقد قدم رحمه الله [أي الشيخ عبد الله بن عبد الصمد كنون] خدمة جليلة للعلم من خلال تعريفه بهذا الفحل الأدبي في ثلاثة من كتبه المشهورة هي: "النبوغ المغربي"، و"الذكريات"، و"شرح الشمقمقية".

- **مولده ودراسته:**

ولد ابن الونان رحمه الله في فاس، وهو عربي الأصل ينتمي إلى الحميرية بقومه بني معقل، وكانت طائفة منهم قد استولوا على توات وتغلبوا فيها على الزناتين لذلك يدعى في بعض المصادر بالتواتي، وبنو معقل هؤلاء رجح ابن خلدون أنهم من مذحج، ومذحج من كهلان، لذلك فهو يفتخر في قصيدته بنسبته إلى الأنصار لأن نسبهم في كهلان، لكن شهرة قومه في فاس إنما كانت تعرف بأولاد الونان قبل أن يعرف والده بأبي الشمقمق، ويعرف به هو الآخر مع أرجوزته، يقول مفتخرا بنسبه العربي:

سل ابن خـــلدون عـــلينا فـــلنا	**بيـــــمن مـــآثـــر لـــم تمـــحق**
وســل ســليمان الكلاعي كـــم لنا	**مـــن خبـــر بخـــير وخـــندق**
ويـــوم بـــدر وحـــنين وتـــبوك	**والســـــويق وبنـــــي المصطلق**
بهم فخرت ثـــــم زاد مـــــفخري	**بأدبـي الغض وحســـن منطـــق**

وكان أبوه من ندماء السلطان العلوي محمد بن عبد الله بن إسماعيل، وكان [أي والد المترجم] شاعرا مجيدا، حسن الكلام والشعر، لطيف المنادمة، أديبا ظريفا، خفيف الروح، لطيف الحس، صاحب نوادر وملح كما قال الشيخ عبد الله كنون، فكناه السلطان محمد بن عبد الله بأبي الشمقمق تشبيها لـه بالشاعر العراقي أبو محمد مروان بن محمـــد الكوفي المشهور بالشمقمق وهو مولى لمروان الجعدي آخر خلفاء بني أمية، فلما لُقب والد المترجم بهذا اللقب بقي له مصاحبا إلى أن مات، بل تعداه إلى ولده، وتعدى ولده إلى أرجوزته فلا تعرف إلا بالشمقمقية كما قال الشيخ كنون.

وحري بمن كان من ندماء السلطان أن يكون أديبا بليغا، عارفا بضرر الجهل، موقنا بمنافع العلم في الدنيا والآخرة أن يهتم بأولاده أيما اهتمام، ويعتني بهم غاية الاعتناء، ففي هذا الجو الأدبي المليح نشأ مترجمنا وتشرب الشعر والأدب من والده، وبما أنه كان فاسي المولد والنشأة فقد درس فيها على ثلة من علمائها، وقد ذكر الشيخ عبد الله كنون عن الجريري أنه تلقى

دروسه العلمية بفاس على الجلة من علمائها منهم: **محمد بن قاسم جسوس، وعمر الفاسي، ومحمد التاودي بن سودة، ومحمد بن الحسن بناني**، وغيرهم من أهل هذه الطبقة، فنبغ وبرع في شتى العلوم: من فقه، وسير، وتاريخ، وأنساب، وأمثال، وغير ذلك من ضروب العلم، يقول رحمه الله في أرجوزته الشهيرة مادحا نفسه ومتحديا مُكَذِّبهُ "سل تصدق" وهذا في غاية الإنصاف:

وهل أنا إلا ابن ونان الذي ... قربه كم من أمير مرتق
أحق من حُلِّي بالأستاذ والشـ ... ـيخ الفقيه العالم المحقق
وبالمحدث الشهير والأديـ ... ـب والمجيد والبليغ المفلق
وأعلم الناس بدون مرية ... سيان من مغرب ومشرق
بالشعر والتاريخ والأمثال والأنـ ... ـساب والآثار سل تصدق

- **آثاره:**

يقول عبد الله كنون في "الذكريات": "وآثار ابن الونان التي بأيدينا من غير الأجوزة هي قطعة شعرية مدح بها سيدي محمد بن عبد الله، ورسالة مسجعة كتب بها إلى الشيخ سيدي المعطي ابن الصالح صاحب "ذخيرة المحتاج ثم أتبعها بشعر في مدحه، وبيتان في مدح سيدي محمد بن عبد الله، وثلاثة أبيات قالها في ترفعه عن أخذ الزكاة، وهذه كلها تجدها في ترفعه عن أخذ الزكاة وهذه كلها تجدها في شرح العلامة الناصري للشمقمقية (...) وله غير ما ذكر نظم رصين لمسائل ابن خميس المعروفة، وهو أحسن الأنظام التي تضمنت تلك المسائل".

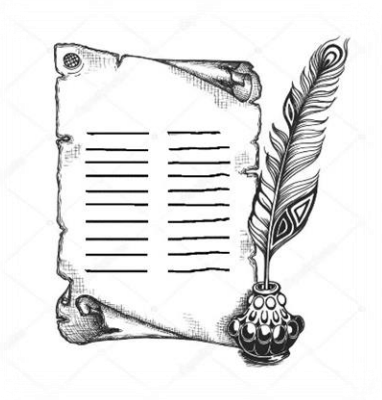

أبياته التي قالها في ترفعه عن أخذ الزكاة هي:

أما الزكاة فإن النفس تأنف أن ... يلوث الكف من أوساخها قنص
كأن نسبة أموال البرية لي ... دون النصاب من الأموال أو وقص
وأكره الدرهم الفضي أنظره ... حتى كأن بياض الفضة البرص

الأرجوزة الشمقمقية: ومن أعظم ما خلفه ابن الونان وبقي محفوظا وسلم من عوامل الفقدان أرجوزته البديعة التي كانت سببا من أسباب دراسة العلماء له، والتنقيب عن شيء من أخباره وسيرته، وقـــد حصل لهذه الأرجوزة قصة طريفة، فعندما نظمها رحمـــه الله وكانت تضم في ثناياها مدحا لنفس السلطان الذي سمى والده بأبي الشمقمق السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل أراد أن يلقيها في حضرته غير أنه تعذر عليه الوصول لمبتغاه، فتحين يوما خرج فيه السلطان لشأن من شؤونه، فصعد الناظم إلى مكان عال يتيح للسلطان رؤيته وسماع كلامه فقال يذكره بوالده:

يـا ســـيـدي ســـبط النبي أبـو الشـــمـقـمـق أبـــــي

فسمعه السلطان وعرفه فأمر أن يؤتى به عندما يبلغ منزله، وأتي به فألقى في حضرته هذه الأرجوزة التي تعتبر من عيون الشعر المغربي بل من بين أجمل الأراجيز العربية بشكل عام، فوقعت في نفس السلطان موقعها اللازم فقرب منزلته، وأجزل صلته، ورفع مكانته، وهي تحتوي على كثير من الفنون الأدبية والأغراض الشعرية مثل الغزل، والنسيب، والوصف، والحماسة، والمدح، والهجاء، والحكم، والأمثال، وأيام العرب وأخبارها وعوائدها وأحوالها، مما يدل على غزارة علمه فضلا عن تدفق قريحته وقوة ملكته كما يقول الشيخ عبد الله كنون في "النبوغ"، وهي على روي القاف وعدد أبياتها 275 بيت، وتنقسم بحسب الأغراض الشعرية إلى ثمانية أقسام:

1. النسيب بذكر رحيل الأحبة، ووصف الإبل ولوم الحادي على جده السير ليل نهار حتى أضر بالإبل وما تحمله.	2. الغـزل حيث يتغزل بصفات محبوبته وما هي عليه من الحسن.
3. الحماسة والفخر.	4. مخاطبة الحسود.
5. الحكم والأمثال والوصايا.	6. مدح الشعر.

7. مدح السلطان.

8. مدح الأرجوزة وتحدي الشعراء أن يأتوا بمثلها.

✓ **شروحها:**

وقد اعتنى بها العلماء جدا ودرسوها، ورغبوا الناس في حفظها ومعرفتها لما تحتويه من ضروب الأدب والعلم والنصائح، وقد شرحها غير واحد من العلماء بين مكثر ومقل منهم كما ذكر عبد السلام بن سـودة في كتابه " دليل مؤرخ المغرب الأقصى":

- أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الجراري السلاوي شرحها شرحا بسيطا في كتاب سماه: "**رقم الديباج الملحق بالفخر بأمير المؤمنين وأبي الشمقمق**".
- وأبو حامد العربي بن علي المشرفي الحسني شرحها شرحا متوسطا سماه: "**فتح المنان في شـرح قصيدة ابن الونان**"، أو: "**المواهب السنية في شرح الشمقمقية**".
- وأبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي شرحها شرحا سماه: "**زهر الأفنان من حديقة ابن الونان**"، وقد اختصر هذا الكتاب الشيخ أحمد بن محمد الجنكي في كتاب سماه: "**قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان**".
- وأبو بكر بن العربي بناني قاضي مراكش، شرحها شرحا متوسطا.
- وأبو المواهب المكي بن محمد البطاوري شيخ الجماعة بالرباط في كتاب سماه: "**اقتطاف زهرات الأفنان من دوحة قافية ابن الونان**".
- وأبو محمد عبد العزيز بن محمد السوسي الأدوزي ذكره المختار السوسي في كتابه "سوس العالمة"، شرحها شرحا متوسطا.
- وشرحها شرحا يحلل ألفاظها على الطريقة العصرية أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد كنون في كتاب سماه: "**شرح الشمقمقية**".

ونختم هذه الترجمة الموجزة عن حياة هذا الشاعر المغربي الذي عز نظيره، وقل من الناس من كان في مثل مقدرته الأدبية والشعرية، بأبيات من أرجوزته المشهورة التي طارت أخبارها وذاع صيتها بين الناس، فيقول في بدايتها واصفا الإبل، وناهيا الحادي عن العنف في سوقها داعيا إياه إلى الترفق بها، وما قاسته من صعوبة التضاريس:

مهلا على رسلك حاذي الأينق ... ولا تكلفها بما لم تطق
فطالما كلفتها وسقتها ... سوق فتى من حالها لم يشفق
ولم تزل ترمي بها يد النوى ... بكل فج وفلاة سملق
وما ائتلت تذرع كل فدفد ... أذرعها وكل قاع قرق
وكل أبطح وأجرع وجز ... عٍ وصريمة وكل أبرق
مجاهل تحار فيهن القطا ... لا دمنة لا رسم دار قد بقي
ليس بها غير السوافي والحوا ... صِبِ الحراجيج وكل زحلق
والمرخ والعفار والعضاه والبـ ... ـبشام والأثل ونبت الخربق
والرمث والخلة والسعدان والثـ ... ـغر وشري وسنا وسمسق
وعشر ونشم وإسحل ... مع تمام وبهار مُونَقِ
والسمع واليعقوب والقشة والسـ ... ـيد السَّبَنْتَى والقطا وجورق
والليل والنهار والرئال والهـ ... ـيثم مع عكرمة وخرنق
ولم تزل تقطع جلباب الدجى ... بِجَلَمِ اليد وسيف العنق
فما استراحت من عبور جعفر ... ومن صعودٍ بصعيدٍ زلق
إلا وفي خضخاض دمع عينها ... خاضت وغابت بسراب مطبق
كأنما رقراقه بحر طما ... والنوق أمواج عليه ترتقي
وكل هودج على أقتابها ... مثل سفين ماخر أو زَوْرق

ويقول رحمه الله ناصحا السامع والقارئ بضرورة استفراغ الجهد في تعلم العلم، واستغراق الوقت في طلبه بدل تضييعه فيما لا يعود بالنفع، داعيا إياه إلى إفراغ قلبه من كل ما يشغله ويصرفه عن الكد والتحصيل الجيد، ضاربا المثل بحجام ساباط الذي كان يضرب به المثل

في الفراغ، غير غافل عن ذكر التقوى لأن ثمرة العلم هي العمل، وبالعمل ومراقبة الخالق عز وجل تحصل التقوى:

وحصن العلم وزنه بالتقى ... وسائر الأوقات فيه استغرق
وليك قلبك له أفرغ من ... حجام ساباط ومن لم يعشق
ولا تكن من قوم موسى واصطبر ... لكده وللملال طلق
وخُص علم الفقه بالدرس وكن ... كالليث أو كأشهب والعتقي
وفي الحديث النبوي إن لم تكن ... مثل البخاري فكن كالبيهقي
فالعلم في الدنيا وفي الأخرى له ... فضل فبشر حزبه شرا وُقي

وقال رحمه الله يمدح الشعر ويدعو إلى تذوقه وقوله وعدم نقد قائله أو ذمه:

واعْنَ بقول الشعر فالشعر كما ... لٌ للفتى إن به لم يرتزق
والشعر للمجد نجاد سيفه ... وللعلا كالعقد فوق العنق
فقله غير مكثر منه ولا ... تعبأ بقول جاهل أو أحمق
ما عابه إلا عِيٌّ مفحم ... لعرفه الذكي لم يستنشق
كم حاجة يسرها وكم قضى ... بفك عان وأسير موثق

وقال في مدح السلطان محمد بن عبد الله صاحب لقب والده الذي اشتهرت به هذه الأرجوزة:

محمد سبط الرسول خير من ... ساد بحسن خَلقه والخلق
أعني أمير المؤمنين ابن أمير الـ ... ـمؤمنين ابن الأمير المتقي
خير ملوك الغرب من أسرته ... في وقته على العموم المطلق
له محيا ضاء في أوج الدجا ... سناه مثل القمر المتسق
وراحة تغار من سيولها ... سيول ودق وركام مطبق
ودوحة المجد التي أغصانها ... بها الأرامل ذوو تعلق
فاق الرشيد وابنه بحلمه ... وعلمه ورأيه الـ ... ـموفق

18. محمد بن أحمد الحضيكي (1189/1118هـ):

- **اسمه ونسبه:**

هو العلامة المحدث **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان التارسواطي**[1] **اللكوسي**[2] **المانوزي**[3] **الإيسي**[4] **واشتهر بالحضيكي**، ويلاحظ في بعض المصادر التي ترجمت له زيادة ألقاب أخرى ذات صبغة عامة كالسوسي، والجزولي، والبكري، والملوكي، وعادة ما يكتب هو اسمه ونسبه على هذا الشكل: محمد بن أحمد الحضيكي»[5].

- **مولده ودراسته وشيوخه:**

ولد بقرية تارسواط في قبيلة أمانوز بالسوس جنوب المغرب في شعبان سنة 1118هـ وبها قضى طفولته وقسطا من شبابه، نشأ في أسرة أحاطته بعناية كبيرة فأخذوه إلى الكتاب كسائر

---

[1] نسبة إلى قرية تارسواط وتقع في الجنوب من مركز تافراوت.
[2] نسبة إلى أسيف إيداولكوست، وهو الاسم القديم للوادي الذي يقطع حوض تارسواط.
[3] نسبة إلى قبيلة أمانوز، تقع في الجنوب الغربي من تافراوت، من قراها: أوكضيشت، إيزربي، إيمي أوكادير، أزمور، أكرسيف وغير ذلك.
[4] نسبة إلى قبيلة إيسي تستوطن المرتفعات الواقعة إلى الجنوب الشرقي من تافراوت.
[5] أنظر ترجمته في:
- المعسول للمختار السوسي: 150/11.
- سوس العالمة للمختار السوسي: ص 162/211/193.
- الأعلام قاموس تراجم: 15/6.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام: 81/6.
- خلال جزولة لمحمد المختار السوسي: 63/1.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: ص 351.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة: ص 409.
- طبقات الحضيكي تحقيق أحمد بومزكو: ص 21.
- الرحلة الحجازية للحضيكي تحقيق عبد العالي لمدبر: ص 13.
- معجم المطبوعات المغربية: ص 90.
- معلمة المغرب قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى: ص 2405.

الأطفال ليتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن فتعلم أولى حروفه على شيخه **عبد الله بن إبراهيم الكرسيفي**، ثم تنقل بين زوايا سوس ينهل من معين علمائها الفطاحل، ولما غدا شابا محبا للعلم مولعا بالأخذ عن الشيوخ رحل في طلب هذا الشأن، وجال شرقا وغربا فأخذ عن علماء فاس وسلا ومراكش ومكناس والرباط وغير ذلك من المدن المغربية، ثم شد الرحال إلى الحجاز للحج ولم يفوت هذه الفرصة فأخذ عن مجموعة من العلماء، وهذا يبين كثرة شيوخه وتفرق أماكنهم، إلا أنه كان طالبا نجيبا بارا بشويخه فترجم وذكر الكثير منهم في كتبه وفهارسه وتراجمه، وممن أخذ منهم نذكر بعضهم وليس المجال يسمح بتتبع جميع شيوخه فمنهم:

عبد الله بن إبراهيم الكرسيفي هو أول شيوخه وعليه تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن، **وأبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي** سمع منه مختصر خليل، وصحيح البخاري، وتفسير ابن الجوزي، وتفسير الجلالين، وتنبيه ابن عباد على الحكم العطائية، وصغرى الإمام السنوسي وكبراه، ومحصل المقاصد، وألفية ابن مالك بشرح المكودي وغير ذلك، **وعبد الله بن إبراهيم الرسموكي** أخذ عنـــه الأجرومية، وألفية ابن مالك، وبعض رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والتوضيح لابن هشام، **وأحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الحامدي، وأبو العباس أحمد بن عبد الله الإبراهيمي، ومحمد الصغير بن محمد الإفراني** درس عليه علوم الحديث والسير خاصة سيرة الكلاعي بجامع ابن يوسف بمراكش، **وأبو العباس أحمد بن محمد الشهير بالعباسي السملالي** أخذ عنه مختصر خليل، والعاصمية على الأحكام، وألفية ابن مالك، وألفية الاصطلاح والسيرة للزين العراقي، والتحفة، ولامية

الزقاق والشمائل، وصحيح البخاري، **والحسين بن محمد بن علي الشرحبيلي الدرعي، وإبراهيم بن محمد بن عبد الله السملالي، ومحمد بن يحيى الشبي الحامدي، وأحمد بن أحمد العماوي الدمرادشي** تتلمذ عليه في الأزهر أخذ عنه الخزرجية في علم العروض، وأصول الفقه لابن السبكي، والبردة للبوصيري، وبعض صحيح البخاري، وأجازه بجميع مروياته، **وأحمد بن مصطفى الإسكندري** شيخ المالكية بالأزهر أخذ عنه مختصر خليل، والرسالة، وأحاديث ابن أبي زيد، وأحادث بن أبي جمرة من صحيح البخاري، والجامع الصغير للسيوطي، وألفية ابن مالك، والتلخيص، وأصول ابن السبكي، وقد أجازه بجميع مروياته، **وأحمد بن عبد الله الغربي الرباطي** أخذ عنه لما رجع من الحج، **وعلي الصعيدي المالكي** حضر مجالسة أثناء مقامة بالقاهرة وأخذ عنه الخزرجية، وحواش في الفقه وأجازه هو الآخر، **وعمر الطحلاوي** قرأ عليه مختصر خليل في الأزهر، **وإدريس بن محمد العراقي أبو العلاء، ومحمد بن قاسم جسوس، ومحمد بن الحسن البناني الفاسي** أجازه إجازة عامة، **وأبو حفص عمر بن عبد الله الفاسي، وسالم بن أحمد النفراوي أبو النجا المالكي** أخذ عنه في الأزهر علم الأصول والبيان، **وعبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي** كان خطيب أمير مصر وشيخ الجامع حضر معه الحضيكي دروسا مختلفة في علوم شتى، وغيرهم من العلماء الأعلام كثير.

- **رحلته إلى المشرق للحج والدراسة:**

لم يكن السفر إلى المشرق يخطر على بال الحضيكي لما سافر لعدم قدرته على نفقة السفر، غير أنه كان يدعو الله ويرجوه أن يحج ويزور قبر النبي ﷺ وقبور أصحابه ويرى الأماكن التي تشرفت باحتضانها لرسول الله ﷺ، وفي يوم من أيام سنة 1152هـ وهو ببلدته تارسواط يتذاكر العلم مع أصحابه إذ جاءه خبر مفاده: أن ابن عم له وكان ممن تهيأ للسفر للحج وأعد كل ما يحتاج إليه في طريقه من زاد ومركب قد نزلت به الحمى وأصابه مرض شديد من عند الله فاهتم بالقعود، فأرسل إليه الحضيكي ساعتئذ أن يدفع له النفقة وينخلع له هو بدوره

من ماله ففعل ابن عمه، فارتحل الناس وارتحل معهم الحضيكي في اليوم الثالث من تيسُّر السفر له وهو ابن 34 سنة، فسلكوا الطريق التي يسلكها الحجاج المغاربة إلى أن وصلوا إلى مكة فحجوا وصلوا وفرحوا واستبشروا، ثم عرجوا على المدينة المنورة وزاروا قبر النبي ﷺ وقبور أصحابه، وصلوا في المسجد النبوي، ثم قفلوا راجعين إلى ديارهم، ولما وصلوا إلى مصر آثر الحضيكي مفارقة قافلة الحجيج والمكوث فيها للتوزد من علم أهلها، والدراسة في الأزهر الشريف والأخذ عن علمائه يقول رحمه الله عن ذلك: "ثم ودعناهم [أي قافلة الحجاج] من ثَمَّ [من قرية تسمى النبابة على شاطئ النيل] وبقيت أنا وثلاثة من طلبة سوس الأقصى مجاورين بجامع الأزهر على نية القراءة والأخذ عن أشياخه والتبرك بآثارهم والاقتداء بسيرتهم الحسنة، فكل منا يلازم من يرضاه من المشايخ، واستخرت الله تعالى بعدما جالست كلا منهم وحضرت مجلسه ودرسه أن يختار لي ويهديني ويرشدني إلى من يفتح الله لي على يديه وينفعني بعلمه". ثم لازم ثلاثة من علماء الأزهر ملازمة كبيرة ودرس عليهم الكثير من العلوم وهم: الشيخ أحمد الإسكندري، والشيخ أحمد العماوي الدمرداشي، والشيخ عمر الطحلاوي، ولم تمنعه ملازمته لهؤلاء الأعلام من الأخذ والسماع من غيرهم فقد ذكر أنه أخذ عن غير هؤلاء، وقد مكث في المشرق مدة عامين من سنة 1152هـ إلى سنة 1154هـ، أغلبها في مصر إذا استثنينا أشهر الحج.

ولما رجع إلى المغرب ألف كتابا يوثق فيه مراحل رحلته، والبلدان والمدن والمناطق التي مر بها مبينا طبيعة الطرق والعمران والطبيعة وجودة المياه وطبائع الناس وما إلى ذلك، وذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم أو زارهم أو زار قبورهم، وسجل فيها انطباعاته عن الديار المقدسة، وما شاهده من مواقع وآثار وبقاع، ولم يغفل ذكر بعض المسائل الفقهية عن مناسك الحج مع آراء الفقهاء، وقدم نصائح كثيرة لمن أراد أن يحج، إلى غير ذلك مما ذكره في كتابه الماتع الذي سماه "الرحلة الحجازية"، وقد ذكر في بدايته الغرض من تألفيه لهذا الكتاب فقال: "فالمراد ذكر

جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضر والسفر رجاء من الله تعالى عظيم البركة وشمول الرحمة عند ذكرهم، وانخراطا في سلكهم لوفور محبتي لهم، ولعظيم شوقي لذكرهم «فالمرء مع من أحب» تأنيسا لنفسي وتأسِّيا بهم وإسعافا لمن أحب، وذلك بعد الاستخارة، ولا تحملنك أيها الأخ الغيرة على الطعن والقدح، وتحسبه تأليفا من مؤلف إن هو إلا تقييد من مقصر متروك مهمل مخلف عن رفقته وجماعته".

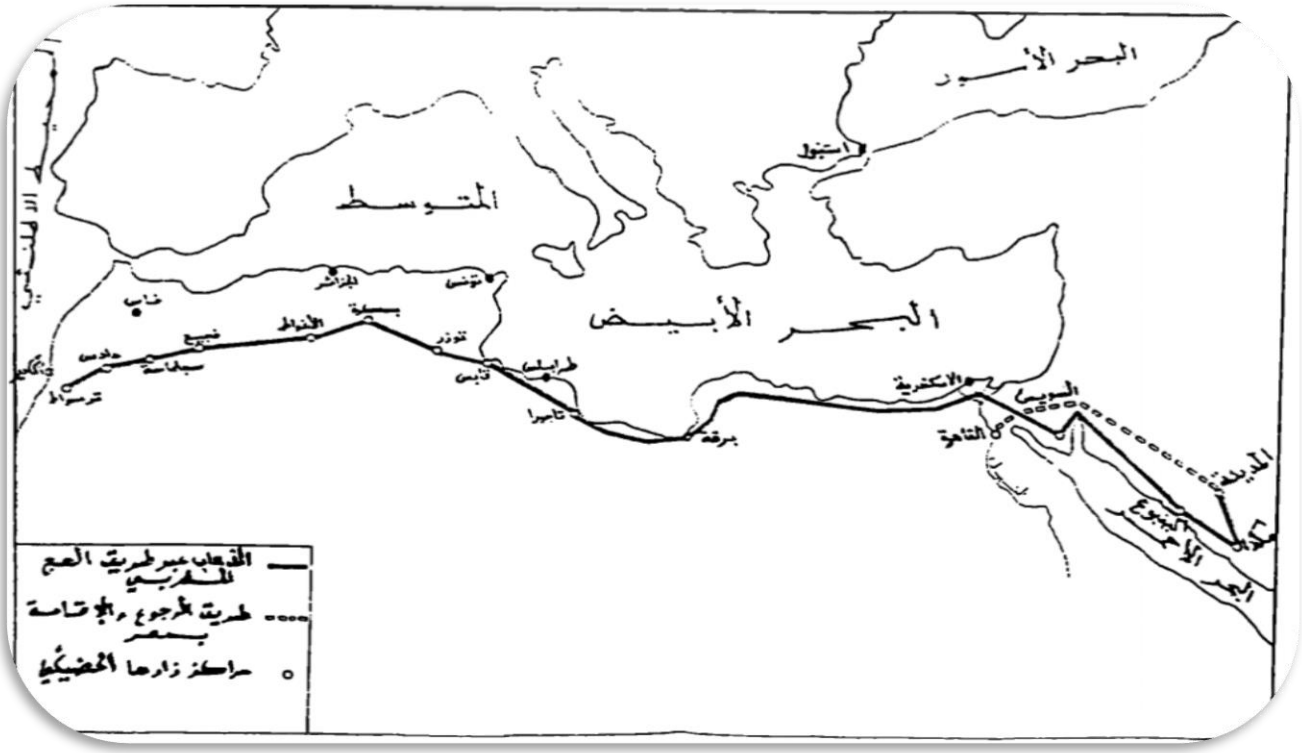

خريطة للمحطات التي مر بها الحضيكي حسب رحلته مأخوذة من كتاب "طبقات الحضيكي" الصفحة 105.

- **استقراره وتدريسه وتلاميذه:**

بعد أن أكمل الحضيكي مراحل تعليمه رجع إلى مسقط رأسه، ثم استقر به المطاف بزاوية أفيلال ضمن قبيلة إيسي، ولا نعرف متى قرر الاستقرار بزاوية الشيخ أبي القاسم الفيلالي ولا الأسباب التي دفعته لذلك، ومهما يكن فإن استقراره بإيسي ارتضاه لنفسه وكان فيه عظيم النفع لسكان تلك المناطق، فقد أعطى كل وقته للتدريس والوعظ وحل الخلافات بين الناس

والفتوى، وغير ذلك مما يتصل بحياة عالم مثله، فقصد الطلاب زاويته للأخذ عنه من كل حدب وصوب منهم من نبغ وطارت شهرته، ومنهم من بقي خاملا لم يعرف عنه شيء، وممن أخذ عنه وحفظ اسمه في كتب التراجم:

محمد بن عمر الاسغركيسي الهشتوكي السوسي أخذ عنه مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق، وصحيح مسلم تماما، وصحيح البخاري مرتين، وسيرة اليعمري، والخصائص الكبرى للسيوطي، والموطأ بشرح الزرقاني، والشفا للقاضي عياض، والكلاعي إلى الثلث الأخير، وصغرى السنوسي والكبرى بشرح مؤلفها، وشرح ابن عباد على الحكم، وآداب الكتاب لابن قتيبة، وبانت سعاد بشرحه عليها، والسلم بشرح المؤلف عليه، ومنظومة الرسموكي في المواريث، ورسالة ابن أبي زيد، والطرفة، وغيرها من الكتب وقد أجازه في مرض موته، و**عبد الله بن الحاج أحمد التيزختي**، و**محمد بن محمد الوولتي الطاطائي**، وأبناء عمه **محمد بن عمر**، **وعبد الرحمن بن عمر**، و**أحمد بن محمد التاكموتي**، و**عبد الله بن محمد التامكدلتي**، و**أبو القاسم داوود الساموكني**، و**محمد بن عبد الرحمن الحربيلي**، و**أحمد بن أحمد التيملي**، و**يدير بن إبراهيم الصنهاجي الركني**، و**أبو الربيع سليمان بن يوسف الناصري**، و**محمد بن الطيب الشواري**، و**بلقاسم التيزكيني الهشتوكي**، و**محمد بن أحمد التسكدلتي**، وأبناءه **أحمد وعبد الله والحسن** أجازهم إجازة عامة، وغيرهم كثير وكثير.

- **كتبه ومؤلفاته:**

لما استقر الحضيكي بمسقط رأسه كما سلف أعطى كل وقته للتدريس والتأليف، وقد كان رحمه الله من العلماء المشاركين في التأليف لما كان يتمتع به من العلم والموسوعية فترك لنا كتبا كانت من أهم أسباب شهرته وشهرة شيوخه وبعض تلاميذه لأنه كان يعرف بهم في بعضها، أضف إلى ذلك أنه أسس مكتبة علمية صارت في ذلك الوقت من أشهر مكتبات المنطقة فقد كانت تحتوي على رصيد مهم من المخطوطات، وقد تحدث عنها محمد المختار

السوسي فقال: "وقد رأيت بخطه أنه جمع في أوليته تسعمائة مجلد وأما في أخرياته فلا تسأل"، ومما ساعده على إثراء مكتبته أنه كان ينسخ الكتب بيديه دون الاعتماد على أحد يقول المختار السوسي أيضا: "كان رحمه الله كثير النسخ للكتب، نسخ كتبا عديدة بيده، بحيث لا يفتر ليلا ولا نهارا متى ما أمكنته فرصة حتى إنه إذا لم يكن له إدام القنديل ليلا، ندب امرأته أن تشعل له النار بسعف النخل وتأخذها بيدها وتضيء له إلى آخر الليل، وهو يكتب وينسخ ويقيد"، ومما خلفه رحمه الله مما كتبته أنامله من بنات أفكاره نذكر:

1. مناقب الحضيكي ترجم فيه لشيوخه وتلاميذه ومن لقيهم في أسفاره.
2. شرح الرسالة القيروانية.
3. مصابيح الإصابة في تعريف الصحابة.
4. شرح الهمزية للبوصيري.
5. حاشية على صحيح البخاري.
6. شرح نظم العلوم الفاخرة للرسموكي.
7. شرح قصيدة بانت سعاد.
8. مؤلف ضد بلَّا بن عزوز المراكشي.
9. مختصر الأجوبة الأجهورية.
10. شرح الطرفة في اصطلاح الحديث.
11. شرح القصيدة الشقراطيسية.
12. شرح كتاب حلية الأنوار في أخبار دار القرار.
13. التعليق على سيرة الكلاعي.

14. حاشية على الشفا للقاضي عياض.

15. مجموعة أجوبة فقهية.

16. مجموعة إجازات أشياخه.

17. مجموعة في فوائد الصلاة على النبي ﷺ.

18. مجموعة في الطب.

19. مجموعة في أصول الطريقة الصوفية.

20. مؤلف في تصريف الأفعال.

21. جمع أجوبة شيخه أحمد العباسي.

22. رسالة في آداب المعلم والمتعلم.

23. شرح نصيحة الإمام زروق.

24. فهرسة صغيرة في ذكر شيوخه وبعض أسانيده.

25. كناشة.

26. إجازة كبيرة لكثير من تلاميذه.

27. منظومة في الوعظ.

28. وصية لأولاده وأهله.

29. شرح دلائل الخيرات للإمام الجزولي.

30. والرحلة الحجازية وهي من أشهر مؤلفاته وقد استهلها بتحديد الهدف من تأليفها مصرحا بأن: "المراد ذكر جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضر والسفر، رجاء من الله تعالى عظيم البركة وشمول الرحمة عند ذكرهم والانخراط في سلكهم لوفور محبتي لهم ولعظيم شوقي لذكرهم".

- **تصوفه ومحاربته للبدع:**

كان الحضيكي رحمه الله عالما يهتم بما يدور حوله ولم يكن في برج عال بعيدا عن هموم

الناس وما يعيشونه فقد كان إنسانا اجتماعيا يختلط بالناس ويسمع همومهم ويرد على أسئلتهم ويفصل بينهم أحيانا، كما كان يستعمل نفوذه الروحي والمعنوي والعلمي لإحلال السلام بمنطقته وبالمناطق المجاورة لها، ويسعى دائما لإصلاح ذات البين بين القبائل، ولا عجب في هذا فهو كان شخصية يطغى عليها الطابع الصوفي المتبع للسنة، كما يظهر تصوفه في ورعه الزائد وصلاحه، فمن خلال كتاباته يتضح أن شخصيته كانت شخصية مبالغ في العبادة والنسك والتبرك والدعاء الكثير والصلاح والتقوى والتعبد، وهي مميزات أخلاقية تعبدية توحي إلى شخصية صوفية متميزة لا مجال عنده للشعوذة والانحراف، كما أنه لم يكن شخصا ميالا للظهور أو متشوفا للسلطة فقد كان محبا للخمول.

غير أنه كان شديدا على أهل البدع جدا، فمعظم من أثنى عليه قالوا: كان شديد الاتباع للسنة مبغضا للبدع، حتى لقد ذكر عنه الجشتيمي في كتاب "الحضيكيون" أنه تصدى عمليا لتنفيذ الأحكام عندما أمر بقتل شخصين ثبتت زندقتهمـا، ولا غرو أن يكون كذلك فالرجل كان عالما عارفا بالقرآن والسنة، متقنا لطريقة الاستنباط منهما، وهذا يتضح جليا في الكتب التي دَرسها ودرَّسها للناس فقد كانت من عيون الفقه الإسلامي ومن درر الفقه المالكي وغيره.

- **ثناء العلماء عليه:**

أثنى عليه العلماء كثيرا وحلوه بأوصاف جميلة لما عرفوا من علمه وصلاحه:

- قال فيه العباس بن إبراهيم السملالي في كتابه "الإعلام بمن حل مراكش": "كان رحمه الله عديم النظير في زمانه، ورعا ونزاهة وعلما ونباهة، متبعا للسنة، أخذ في كل فن من فنون العلم بنصيب، وضرب له فيها بسهم مصيب، عارفا بالسير والحديث، وعلوم الحقائق والمعارف، جمع بين شرفي العلم والولاية، معرضا عن الدنيا، وكان متجردا من الأسباب لا يعرف كيف يدخل فيها ومع ذلك كان يطعم الواردين في داره، شديد الشكيمة على

أهل البــدع، متبحرا محصلا بلغ الدرجة العليا في علم اللغة، عارفا بالتاريخ، وكانت معه هيبة، مآثره كثيرة وكراماته خطيرة".

- وقال فيه تلميذه الأصغركيسي في فهرسته: "كان عديم النظير في زمانه، ورعا ونزاهة وعلما ونباهة، له اليد الطولى في علم السير والحديث وإليه المفزع في ذلك، وانفرد عن أهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير والعلماء وطبقاتهم ومعرفة أيامهم بحيث لا يجارى في ذلك ولا يبارى، شديد الاتباع للسنة في سائر أحواله حتى في لباسه وأكله وأنواع العبادات والعادات، سالكا مسلك ابن أبي جمرة وابن الحاج وأضرابهم، مثابرا على التعليم مكبا على المطالعة قائما على البخاري وغيره من كتب الحديث"، وقال في محل آخر عنه: "كان آية من آيات الله في حفظ السير النبوية والتنقيب على أحوال الصحابة والسلف الصالح، بوشح مجالسه بذلك".
- وقال فيه أبو زيد الجشتيمي في كتابه "الحضيكيون": "أما بعد، فهذا ما تيسر من مناقب الإمام، العالم الهمام، شيخ شيوخنا ولي الله بلا نزاع، وأزهد أهل عصره بالإجماع سيدي محمد بن أحمد الحضيكي، (...) كان رحمه الله عالما بارعا، وللسنة بجده وهمته متابعا، ماهرا في فنون علوم الشرع، كريم الأصل والفرع، وليا كبيرا صفيا شهيرا، تشد الرحال لزيارته، ويتباهى عصره بزينته وعمارته، صالح العلماء، وعالم الصلحاء، علم الأعلام ومصباح الظلام (...)"، إلى آخر ما حلاه به من الأوصاف الجميلة والعبارات الراقية.
- وقال محمد المختار السوسي في كتابه "المعسول": "أحد مفاخر سوس الأعلام، حتى لتعجز عن تبيين أوصاف كمالاته الأقلام، زينة النصف الأخير من القرن الثاني عشر، افتتح الحروف الهجائية عند شيخ الإسلام أبي العباس الناصري، وولد 1118هـ، ثم أخذت بيده أيدي السعود حتى نال ما نال مما أفاضت به أقلام المؤرخين حوله".
- وقـــال الزركلي في كتابه "الأعلام": "عالم بالتراجم، من أدباء المالكية وفقهائهم (...)

كان ورعا وقورا شديدا على أهل البدع، قاوموه وائتمروا به ونجا".

- **وفاته:**

بعد حياة مليئة بالعلم والعبادة والزهد، والترحال والتأليف، والعيش في أحضان الكتب نسخا، وقراءة، وفهما، وتدريسا، ودراسة، انطفأت شمعته وانتهت أيامه عن 71 سنة في 19 رجب 1189هـ، ولم يختلف الناس في تاريخ موته فقد كان علما مشهورا بقي تاريخ موته محفوظا ومعروفا، فرحمه الله رحمة واسعة، ونفعه بما قدمه من علم وأشاعه من كتب، وقد رثاه تلميذه محمد بن أحمد التسكدلتي بقصيدة جميلة منها قوله:

دع الدمع يجري من أماق على خد ... وتسكبه عيناك من لوعة الوجد
على غيبة الإمام الذي به ... أنارت بلاد السوس بالسهل والنجد
لعمري إذا ما الأرض دكت جبالها ... فذاك فناء للأنام بلا بعد
فيا لصريم الدين سل على العدا ... فشيم على قسر المحبين في غمد
وأدخل عول في الفريضة بعدما ... تناهت حسابا واكتمالا من العد
ففي عام طفقش دهينا برزئه ... بيوم عروبة وفي رجب الفرد
فصرنا بضنك العيش والمحل بعده ... وأمر مخوف هوله غير مبعد
فلله الأمر من قبيل ومن بعد ... إليه أمور الخلق بدءا وفي العود
فقدنا الإمام الإيسي منساة الهدى ... قمطر العلوم النافعات الشوارد
فمن لجواب السائلين بعيده ... تراه مجيبا غير وان بما يجدي
ومن لثغور الدين يحميها رابطا ... بها لدفاع الجهل عنها بمرصد
لِتَبْكِهِ سوس الأقصى والأدنى بعدها ... وما فيها من عجماء والحجر الصلد
وتبكيه إيسي بكرة وأصيلها ... وما بحواليها من الواد والطود
لعمرك ما أبكي الإمام لفقده ... ولكن لهرج الجهل آت ممدد...

19. محمد بن عبد السلام الناصري: (1239/1145هـ):

- **اسمه ونسبه وتاريخ ومكان ولادته:**

هو **أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي التمكروتي»**[1]، قال فيه أحمد بن خالد الناصري: "كان علامة أديبا فقيها محدثا حافظا فاضلا لم يأت بعد الشيخين في آل ناصر من هو أعلم منه"، وقال محمد مخلوف: "خاتمة الحفاظ بالديار المغربية، العالم المحدث، الإمام الجليل القدر، الشهير الذكر، المعروف بالفضل والجلالة والثقة والعدالة"، وقال كحالة في معجم المؤلفين: "فقيه، محدث، مسند، رحالة"، وقال أبو زيد الجشتيمي كما في كتاب "الحضيكيون": "إمام علماء وقته، وسيد فضلاء عصره، العلامة الفهامة (...) كان عالما عاملا، علم الأعلام، وفقيه الإسلام،

---

[1] أنظر ترجمته في:
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: ص 843.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام: 192/6.
- الأعلام قاموس التراجم: 206/6.
- شجرة النور الزكية: 381/1.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: 412/3.
- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: ص 133.
- معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى: ص 7394.
- موسوعة أعلام المغرب: ص 2513.
- الدر النفيس في تفسير القرآن بالتنكيس لابن عبد السلام تحقيق طه فارس: ص 6.
- المزايا فيما أحدث من البدع في أم الزوايا لمحمد بن عبد السلام تحقيق عبد المجيد خيالي: ص 8.
- الرحلة الناصرية الكبرى لمحمد بن عبد السلام الناصري تحقيق المهدي الغالي: ص 9.
- رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة للدكتور عبد الهادي التازي: ص 458.

رئيس الأدباء، وبليغ الفصحاء، ماهرا في كل علم من علوم الشرع، قرآنا وتفسيرا وحديثا وفقها ونحوا ولغة وأدبا وتصريفا وبيانا وحسابا ومنطقا، وما علمنا في عصره بمثله في المغرب".

ولد مترجمنا بتامكروت بمدينة درعة المغربية وتقع غرب مدينة مراكش في الجنوب الغربي من المغرب وراء سلسلة جبال الأطلس، غير أن الكثير ممن ترجم له لم يذكر سنة ولادته إلا مُحقق كتاب "الدر النفيس في تفسير القرآن بالتنكيس" الدكتور طه فارس الذي ذكر أنه ولد سنة 1142هـ ناقلا ذلك عن موقع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، في حين ذكر محقق كتاب "الرحلة الناصرية الكبرى" أنه ولد عام 1145هـ ناقلا ذلك عن الجشتيمي في كتابه "الحضيكيون" ورغم الخلاف الحاصل في تاريخ ولادته فإنه يبقى تاريخا تقريبا، والأهم أنه ولد في نهايات النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري.

- **دراسته وشيوخه:**

ولد مُترجمنا لأسرة مشهورة بالفضل والعلم، فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين على عمه **أبي يعقوب بن يوسف بن محمد الناصري**، ولا غرابة في هذا فهو كان من أتباع الزاوية الناصرية مذ كان صغيرا وقد عرفت هذه الزاوية بالدور الكبير الذي قامت به من أجل الحفاظ على الثقافة الإسلامية وصيانة الهوية المغربية، وقد وفرت الشروط اللازمة للإقبال على الزيادة من العلم منذ تأسيسها على يد الشيخ محمد بن ناصر، ففيها تلقى مبادئ العلوم الأولى وفيها حفظ القرآن كما سلف وإن كانت المصادر لم تتطرق لمراحل نشأته الأولى ولكن نستشف مما سبق من التراجم أن هذه كانت بداية تعلم الأطفال بالمغرب، وإذا عرفنا أنه ولد بتامكروت فلا غرو أنه درس في الزاوية وتعلم على أيدي علمائها مفاتح العلوم قبل أن يرحل إلى فاس وغيرها ليأخذ عن علماء تلكم البلاد، وقد كثر العلماء الذين أخذ عنهم كثيرا فالرجل كانت رحالة يطوف في الأرض لينهل من علم الله فأخذ عن علماء الداخل المغربي في درعة، وسوس، وسجلماسة، وأبي الجعد، وتادلة، وفاس، ودكالة، والرباط، وتطوان، وغير ذلك من

المدن، وأخذ عن علماء المشرق كذلك، فخلال رحلتيه إلى الحج كان كلما نزل قرية، أو دخل مدينة، أو زار زاوية إلا أخذ عن أهلهم وأخذوا عنه فكثر بذلك شيوخه وتلاميذه، وممن تتلمذ على أيديهم وأخذ عنهم العلوم من مظانها الرئيسية نذكر:

والده **عبد السلام بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بناصر**، وعمه **أبو يعقوب يوسف بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بناصر، وأبو العباس أحمد بن علي سبط الشيخ ابن ناصر، ومحمد بن أبي قاسم السجلماسي البجعدي الشهير بالرباطي، ومحمد بن أحمد الحضيكي السوسي، وأحمد بن محمد الورزازي التطواني، ومحمد التاودي بن سودة المري القرشي الأندلسي، وأبو العباس أحمد بن عبد الجليل الشرايبي، وعبد الرحمن بن إدريس المنجرة** إمام زاوية المولى إدريس، وعن شيخ الجماعة بفاس **أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس، وأبو العلاء العراقي الفاسي** حيث لازمه وخالطه وبه تخرج ولم تنقطع المواصلات بينهما بعد رجوعه من فاس، **ومحمد بن علي الجغبوني** وغيرهم.

قال في رحلته الصغرى متحدثا عن مدينة فاس: "وقد كانت لي لهذه المدينة المباركة رحلتان في طلب العلم أواسط سنوات السبعين بالموحدة فما بعدها، وأدركنا جهابذة علماء عاملين مثل شيخنا شيخ الجماعة الشيخ **محمد قاسم جسوس** وقرأت عليه دراية صحيح البخاري، وشمائل الترمذي، بقرب منزله وأجازني فيها وفي غيرها، وبالشيخ الإمام المقرئ **أبو زيد عبد الرحمن** إمام زاوية شمس المغرب المولى إدريس قال: وبها أخذت عنه التفسير وغيره، ولم تتفق لي منه إجازة لموته بغتة، وبالشيخ **أبو محمد عبد الله السوسي** قال: لازمته بفاس العليا في مختصر خليل فختمته عليه مرتين كمختصر السنوسي في المنطق، وقطعة من تلخيص المفتاح، وسلم الأخضري، قال: وكنت القارئ فيهما في مجلس واحد يوم الخميس والجمعة ولم يتفق ختمهما، وبالشيخ **إدريس بن محمد العراقي** قال: قرأت عليه من أمهات الحديث الكتب

الستة وغيرها زهاء السبعين تأليفا، النزر دراية، والكثير رواية، وألفية العراقي، ونخبة ابن حجر في اصطلاح الأثر، وأجازني في كل ذلك وكتبته بخطه، وبالشيخ **أبي حفص عمر بن عبد الله الفاسي** قال: لازمته في فنون شتى منطقا وأصولا وبيانا وفروعا مثل: المختصر، والتحفة، ولامية الزقاق، قال: ولم تتفق لي منه إجازة، وبالشيخ **محمد بن الحسن البناني** قال: لازمته في التفسير، ومختصر خليل وغيرهما من حديث ونحو ومعان، وأجازني في ذلك إجازة عامة كتبتها بخطه، وبالشيخ المسن **البركة أحمد بن عبد الجليل الشرايبي** قال: قرأت عليه الحوفية في الفرائض، ومنية ابن غازي مرارا، ونظم التلمساني، وتلخيص ابن البنا، وتأليف القلصادي في الحساب، وأجازني في ذلك، وبالشيخ **محمد بن عبد السلام الفاسي** الإمام المقرئ النحوي اللغوي، و**محمد التاودي بن سودة** قال: قرأت عليه ألفية ابن مالك، وبانت سعاد، ومواضع من التفسير".

وأما شيوخه من المشارقة فكثير نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

الحافظ **مرتضى الزبيدي الحسني**، والعلامة شيخ الأزهر **أبو الصلاح الشهاب أحمد بن موسى بن داوود العروسي الشافعي الأزهري، وأحمد بن محمد الدردير المالكي المصري، ومحمد بن عبد الله المغربي المدني، وعلي بن محمد الشرواني، ومحمد بن خالد بن أبي بكر الجعفري**، وغيرهم ممن زاحم في حلقات تدريسهم.

- **جلوسه للتدريس وتلاميذه:**

ولما بلغ الشيخ أشده في العلم واستوى جلس للتدريس غير أني لم أجد أي إشارة عن مكان أو سنة جلوسه للتدريس، ولكن إذا نظرنا إلى المحيط الذي كان يعيش فيه، وإلى أقوال العلماء فيه نستنتج أنه جلس للتدريس في الزاوية الناصرية ببلده وموطنه الأصلي قال عبد الحي الكتاني: "ابن عبد السلام الناصري هو الإمام الفقيه المحدث المسند الرحالة الجماع نادرة

المغرب ومسنده (...) أعلم علماء البيت الناصري بالفقه والحديث، وأوسعهم رواية وأجسرهم قلما وأعلاهم إسنادا"، وثلة من علماء الناصريين جلسوا للتدريس بالزاوية مرابطين على نشر العلم منها، وسواء درَّس العلوم في زاويته أو في غيرها من المدارس فقد تخرج على يديه ثلة من الطلبة النجباء عرف بعضهم وطوى النسيان سير بعضهم الآخر، وننبه في هذا الموضع أن من أخذ عنه لم يكونوا مغاربة جميعا، فخلال رحلتيه كان إذا سنحت له فرصة الجلوس للتدريس وتبادل الخبرات مع الطلبة والعلماء كان يفعل، لذلك تنوعت طرق أخذه ونشره للعلم بين المغرب والمشرق، ومن أشهر من تتلمذ على يديه:

ابنه أبو عبد الله محمد المدني بن محمد بن عبد السلام الدرعي، وأبو عبد الله محمد بن محمد التهامي الرباطي، والحافظ محمد بن علي السنوسي، ومحدث المدينة **شهاب الدين أحمد بن علوي باحسن الشهير بجمل الليل،** والعلامة **أبو عبد الله محمد بن ريسون الحسني العلمي التطواني، ومحمد العمري التمكروتي، وأبو الحسن علي التدغي، وأبو الفيض حمدون بن الحاج، ومحمد بن منصور الشفشاوني الفاسي، وعبد الكريم بن عبد السلام الحضري الشفشاوني الفاسي، وأبو عبد الله محمد البخاري بن الحاج بو طاهر التبزاوي الفلالي، وأبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن الشيخ الأموي المكناسي، ومحمد بن أحمد بن موسى العلمي التازي،** وشيخ القراء في القبائل الحوزية **التهامي الأوبيري الحمري،** والسلطان **سليمان بن محمد** أجاز له عامة مروياته، وكان المترجَم عالي المنزلة عنده فكان إذا خرج للحج أرسل معه أموالا جزيلة بقصد تفريقها على علماء مصر والحرمين الشرفين وأشرافهما، **وعبد القادر الرافعي العمري الطرابلسي، وعبد العليم الفيومي المصري الضرير،** وغيرهم كثير وكثير.

- **رحلاته إلى المشرق:**

كان ابن عبد السلام محبا للأسفار كثيرا، رحل إلى المشرق مرتين للحج، وفي الطريق إلى بلاد

الحرمين التقى بعظماء الرجال العلماء، زار في طريقه الجزائر، وتونس، وطرابلس، ومصر، والشام، والحرمين فدون كلتا الرحلتين وما مر به فيهما، خصوصا الرحلة الأولى التي اعتنى بتفاصيلها فكثرت صفحاتها وتشعبت مواضيعها، وكثرت أقوالها، فيصف في رحلتيه الطرق التي مرت بها القافلة وما عانوه في الصعبة منها، ويتكلم عن البلدان والمدن التي نزلوا بها أو مروا من خلالها واصفا طبيعتها وتضاريسها وموقعها ومياهها، قال مثلا يصف مدينة تازة في رحلته الصغرى: "وتازة من المدن الصغار في المغرب قديمة، يزعمون أنها كآسفي وأزمور وطنجة، كانت عامرة قبل فتح مولانا إدريس للمغرب، بل أدركت الجاهلية والإسلام وهي حد ما بين الغرب والمغرب الأوسط مما يلي إيالة إفريقية وكان يقال لها مدينة الرياط، وهي سفح جبل عال مشرفة على بسائط تشقها جداول المياه العذبة عليها سور عظيم، ينصب إليها من الجبال مياه كثيرة وأنهار تسقي جميع بساتينها، وفيها أنواع كثيرة من الأشجار والزيتون والفواكه وجميع الخيرات".

زائرا مواقع دفن علمائها ومجاهديها وصالحيها، أخذا عن علمائها وآخذين عنه فكان بذلك شيخا وطالبا، واصفا عمرانها ومساجدها وما هي عليه من النظافة والرفعة والعلم، ولم يغفل ذكر طبائع الناس قال مثلا عن أهل تونس: "جمع الله لأهلها من المحبة ولين الجانب والكرم والبر بالغريب"، وقال عن أهل تازة: "وأهلها أهل محبة وإكرام"، ومتحدثا عن معتقداتهم وما فشا فيهم من البدع والانحرافات إن وجدت، غير غافل عن الأحكام الفقهية الخاصة بالحج وما يتصل بأداء هذه الشعيرة الربانية، إلى غير ذلك مما عرفت به مثل هذه الرحلات التي تجمع بين العبادة والعلم.

- أما **الرحلة الأولى**: فكانت سنة 1196هـ حيث خرج من الزاوية الناصرية في جماعة من

علمائها وفضلائها والجم الغفير من عوامها الذين يريدون الحج وزيارة البقاع المقدسة بعد صلاة الظهر يوم الخميس ثالث جمادى الثانية من السنة المذكورة وهي التي صنف فيها كتابه المسمى "الرحلة الناصرية الكبرى" وتقع في مجلدين حققها الدكتور المهدي الغالي، ومما يقوله فيها: "ولما صلينا الظهر يوم الخميس ثالث جمادى الثانية سنة ست وتسعين ومائة وألف خرجنا من الزاوية الناصرية في جماعة من فضلائها، وطائفة من علمائها، والجم الغفير من رعاعها، ومن انضاف إلى ذلك من جيرانها ومريد الحج من سكانها".

- وأما **الرحلة الثانية**: فكانت سنة 1211هـ أي بعد 15 سنة من الرحلة الأولى، وكان خروجه من تامكروت عشية السبت الرابع من جمادى الأولى، وانتهت بدخوله فاس ضحوة يوم الأحد 27 ذي القعدة عام 1212هـ، وصنف فيها مؤلفه المسمى "الرحلة الحجازية الصغرى".

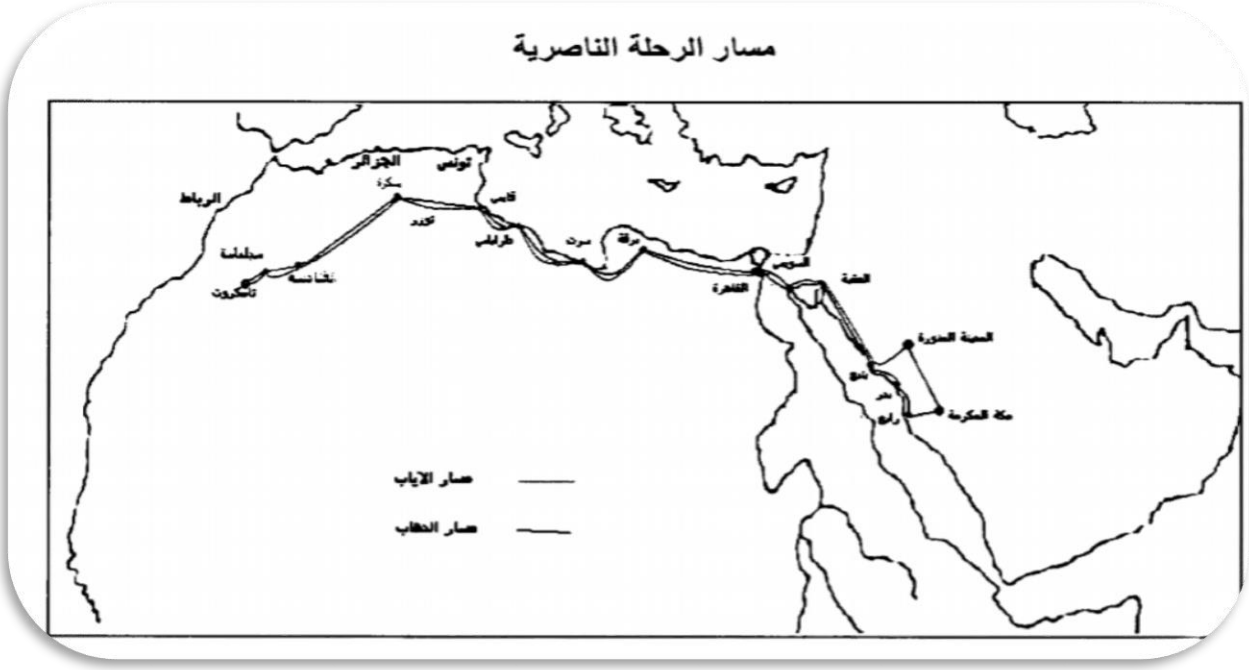

مسار الرحلة الناصرية الكبرى صورة مأخوذة من كتاب الرحلة الناصرية الكبرى الصفحة 34.

- **كتبه ومؤلفاته:**

كان اهتمامه رحمه الله بالكتب عظيما وحرصه على اقتنائها شديدا، بل اعتبر عدم العناية بها من البدع التي أحدثت بالزاوية الناصرية قال في كتابه "المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا": "ومما أحدث بها تضييع خزانة الكتب بها بتركهم معاهدتها كل سنة مرة"، وكان للمترجم شغف كبير بالكتب وقد عثر في رحلته الثانية كما يذكر صاحب "الإعلام" وهو بطرابلس

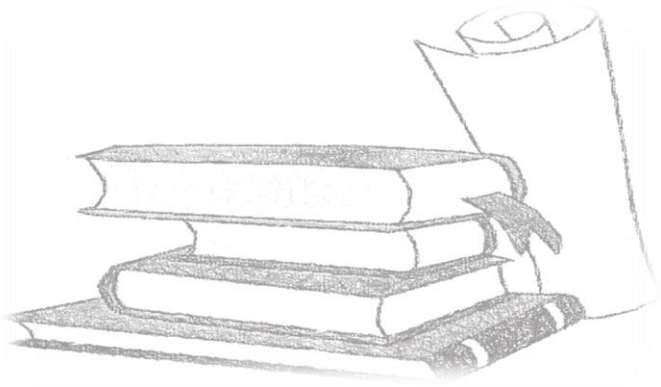

على كتب نفيسة غريبة اشتراها من صاحبها بثمن بخس منها مجلدان من "الكمال" لعبد الغني المقدسي في رجال الستة وهو الذي اختصره الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي الدمشقي وسماه "تهذيب الكمال"، ثم اختصره الذهبي وسماه "المقتضب"، وعثر كذلك على نسخة من صحيح البخاري بخط الصدفي كتبت عليها سماعات علماء أجلاء مثل القاضي عياض فمن دونه إلى ابن حجر، وفي أولها كتابة ابن جماعة الكناني، والحافظ الدمياطي، وابن العطار والسخاوي، وتلك النسخة هي التي بنى عليها ابن حجر شرحه المشهور شرقا وغربا "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، ويذكر المترجم أنه بذل لصاحبها صرة من ذهب فأبى بيعها له، ولم يتوقف عند هذا الحد بل أبلغ خبر ذلك الكتاب للسلطان الذي بادر بإرسال مبلغ كبير من المال لشرائه ألف مثقال أو ريال لكنه لم يظفر به لعوارض حصلت، ومما يذكر كذلك أنه لم يكتف بالاطلاع على الخزانات والكتب في مختلف مراحل الرحلة بل حاول اقتناء الكثير منها كما فعل حين دخل تونس فقد استنسخ له مصطفى بن قاسم المصري كاتب الباي التونسي عددا من المؤلفات القيمة منها: ابن الشاط على فروق القرافي، والوانوغي على المدونة، وزروق على البخاري، وغير ذلك من الكتب النادرة النافعة القليلة في ذلك الوقت،

كما نوه بخزانة الشيخ مرتضى الزبيدي، وخزانة مصطفى خوجة التونسي.

ومما ألفه رحمه الله بنفسه وضمنه أفكاره ومواقفه عدة كتب غاية في الجمال لا زال عدد منها حبيس المخطوطات منها ما يلي:

1. الرحلة الناصرية الكبرى.
2. الرحلة الحجازية الصغرى.
3. الدر النفيس في ذم التنكيس، أو الدر النفيس في تفسير القرآن بالتنكيس، والمراد بالتنكيس قراءة السور على غير ترتيب المصحف صاعدا من أسفل إلى أعلى.
4. المزايا فيما أحث من البدع بأم الزوايا.
5. شرح أربعين حديثا في ترك الظلم لشيخه محمد بن أحمد الجوهري.
6. قطع الوتين من المارق في الدين، أو الصارم البتار فيمن أفتى ببيع الأحرار.
7. تقاييد وفوائد وإجازات.
8. مناقب الأولياء.
9. المستصفى في حلية السكر المصفى.
10. كتاب البيوع من نوازل فقهية.
11. فهرسة نسبها له تلميذاه السنوسي ومحمد بن قدور الزرهوني.
12. كناشة ابن عبد السلام الناصري.
13. النوازل في جزأين كما ذكر الزركلي.
14. نظم في موجبات الفقر والهم.

- **تصوفه وشعره:**

إن تصوف ابن عبد السلام رحمه الله كان يظهر من خلال كتبه تصوفا سنيا رافضا للبدع والانحرافات، وقد ألف في ذلك كتابه "المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا" متحدثا عن

مجموعة من البدع التي أحدثت في الزاوية الناصرية، خاصة أن عصره عرف فيه التصوف الطرقي أزمة أدت إلى الخلط بين مبادئ التصوف الشاذلي مع سائر أفكار التصوف القديم فشاع بين أتباع الطرقيين الترف والكسل، واهتموا بجمع الأموال، وتولي المناصب، وكسب المزيد من الامتيازات، ومحمد بن عبد السلام اعتبر مثل هذه التصرفات خرقا سافرا للدين وتعاليم الإسلام فتصدى لها بالنقد اللاذع واعتبرها من البدع الضالة عن جادة الحق والصواب، وإذا أردنا أن نتتبع تصوفه وآراءه في هذا المجال فإن ذلك سيطول، ولكن حسبنا أن نشير إلى شذرات من ذلك. [أنظر كتاب المزايا ص 26].

وأما قريحته الشعرية فكانت مسعفة له في بعض المواقف بيد أنه لم يكن مكثرا من الشعر ولا مهتما به، إنما كان على عادة كثير من العلماء يقرض بعض القصائد والأبيات في بعض المعاني والمناسبات، وقد جاءت هذه الأبيات قصائد متوسطة، ونتف شعرية، اعتنت بالوعظ والحكمة والمناجاة ومما ذكر له من أبيات قوله رحمه الله:

لله في الخلق ما اختارت مشيئته ... ما الخير إلا الذي يختاره الله
إذا قضى الله أمرا فاستسلم لقدرته ... ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
تجري الأمور بأسباب لها علل ... تجري الأمور على ما قدر الله
إن الأمور وإن ضاقت لها فرج ... كم من أمور شداد فرج الله
إذا ابتليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله
يا صاحب الهم إن الهم منفرج ... أبشر بخير فإن الفاتح الله
والله مالك غير الله من وزر ... ولا يصيبك إلا ما قضى الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ... لا تيأسن فإن الصانع الله
الله لي عدة في كل نائبة ... أقول في كل حال حسبي الله
ثم الصلاة على المختار ما تليت ... في محكم الذكر قدما قل هو الله
والآل والصحب ما طابت حياتهم ... ثم استقاموا فقالوا ربنا الله

ومما قاله وهو مريض يناجي الله عز وجل:

عقدت عليك مكمنات ضـــمائري ... عقـد الرجـاء فـألزمتـك حقوقـا
إن الـزمـان عـدا عـلـي فـزادني ... علـمـا بـأنـك مـالـكي تحقيـقـا
مـا نـابني ضـــيم بوجـه مســـاءة ... إلا عـبرت بـه إلـيـك طـريـقـا
امض القضـــاء على الرضـــى مني ... بـه إني وجـدتـك بـالعبـاد رفيقـا

ومن نظمه أيضا قوله:

قـد اســتجرت من البرغوث بـالله ... فهو الوقـايـة من ضـــروب أدواء
فـكـيـف يـعـدو عـلـي بجـنـود لـه ... لا لي بهـا تـردى بـأعضـــاء
وأتـقـلـب طـورا بـعـد طـور كـمـا ... النـخـاس ينـخســـني محـد أبـداء
لا مقلتي اكتحلـت بـالنوم تفق لا ... راح لجســـمي الكئيـب بمـا إيـذاء
يـا رب فـاجعلـه حظي من عـذاب ... كما جعلت حمى امرئ حظا من الداء
مـا عـز عـنـك إلهي أن تـنـجـيـني ... من كـلـيـهـمـا من مـبـلـغ الأنـبـاء
عـلـيـه مني صـــلاة أبـدا دائـنـا ... (.....)[1]

• وفاته:

بعد حياة عمَّرها الترحال والعلم والعبادة انتقل ابن عبد السلام رحمه الله إلى جوار ربه عز وجل ليلة السبت ثاني عشر صفر سنة 1239هـ عن عمر جاوز 90 سنة بقليل، 94 سنة إذا اعتبرنا تاريخ ولادته الذي ذكره الجشتيمي في كتاب "الحضيكيون"، و97 سنة إذا اعتبرنا التاريخ الذي ذكره محقق كتابه "الدر النفيس" الدكتور طه فارس مخلفا تراثا علميا واسعا، ولم يختلف أحد في تاريخ موته فمعظم المترجمين ذكروا هذا التاريخ أعني 1239هـ، وقد غسله وكفنه تلميذه محمد العمري التمكروتي بوصية منه، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر لنا وله.

[1] شطر مفقود

20. فريد الأنصاري

(1960/2009م):

هو **أبو أيوب فريد بن الحسن الأنصاري المغربي**»[1]، العالم العلامة الفقيه الأصولي الدكتور الشيخ المفتي الواعظ، كان رحمه الله يرجع نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة رضي الله عنه بناء على بحث قام به بنفسه كما ذكر أخوه عبد الحميد الأنصاري.

---

[1] أنظر ترجمته في:

- ترجمة الشيخ فريد الأنصاري للدكتور عبد الحميد الأنصاري شقيق فريد رحمه الله، جريدة المحجة العدد 330-331.
- آثارك تقول ما رحلت للدكتور إدريس مولودي، موقع جريدة المحجة العدد 330-331.
- أحقا خبا من مغربنا العزيز نوره؟ للدكتور ميمون بريسول، جريدة المحجة العدد 330-331.
- رحل العالم الجليل الزاهد حامل الرسالة القرآنية: فريد الأنصاري فهل من معتبر؟ للدكتور إدريس الأنصاري! موقع جريدة المحجة العدد 330-331.
- رحيل رجل من أهل الله للدكتور امحمد العمراوي موقع جريدة المحجة العدد 330-331.
- فريد الأنصاري، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
- مرثية في حق فريد الأنصاري توديع عالم للدكتور محمد الروكي موقع جريدة المحجة العدد 330-331.
- مصباح انطفأ ولسان سكت للدكتور مصطفى بن حمزة موقع جريدة المحجة العدد 330-331.
- مصيبة موت العلماء للدكتور أحمد عزيوي موقع جريدة المحجة العدد 330-331.
- نم يا فريد للدكتور حمو أرامو موقع جريدة المحجة العدد 330-331.
- الراحل الدكتور فريد الأنصاري كما عرفته للدكتور صالح أيت خزانة موقع جريدة هسبريس.
- سيرة ومسيرة الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله لعبدلاوي لخلافة موقع الألوكة المجلس العلمي بإشراف الدكتور سعد بن عبد الله الحميد.
- ترجمة الداعية المغربي الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، موقع أئمة المغرب، بتاريخ 2 فبراير 2015م.
- فريد الأنصاري المكتبة الشاملة.
- فريد الأنصاري مجدد زمانه عند الأربعين لمحمد برادة على موقع هسبريس.
- إضافة إلى كتاب فقه التاريخ عند الدكتور فريد الأنصاري المفهوم والمنهج والقضايا، لسعيد بنحمادة ومحمد البركة.
- وكتاب فقه الدعوة عند الدكتور فريد الأنصاري، وهو مؤلف جماعي من تنسيق الدكتور محمد البركة، غير أنني لم أعتمد عليهما في هذه الترجمة لأنني لم أقف عليهما.
- مقال بعنوان لله ثم للعلم تصور مجمل عن شيخي العالم الرباني فريد الأنصاري لمطيع الطيب الغيثي.

من خلال هذا البحث المتواضع كنت أقف على أقوال لعلماء في غيرهم من شيوخهم، أو معارفهم من أهل العلم، أو حتى تلاميذهم، فأجد أحيانا الكلمات والأوصاف التي قالوها فيهم من قبيل المبالغة، وما هي إلا خيال كاتب يظهر فيه براعته في استخدام الألفاظ وإيراد المفردات ليضفي على أقواله نوعا من الذوق والجمالية الأدبية، ولما حان الوقت لأكتب عن الشيخ فريد هذه الترجمة التي لا ترقى لمقامه السامي وعلو كعبه في العلوم، أحسست بإحساس غريب لم أعهده ولم أشعر به عند كتابة التراجم الأخرى إن جاز تسميتها بذلك، إذ ذاك تذكرت أولئك فعذرتهم وعرفت شعورهم، وأنا الذي لم ير الشيخ فريد مباشرة مطلقا، ولكنني سمعت الكثير من دروسه ومواعظه واستنباطاته وفتاويه المسجلة، والتي ظهر فيها فقيها متمكنا، وأصوليا مفوها، ومقاصديا بارعا، ومفسرا متقنا، ومفتيا ورعا، وواعظا رؤوفا، ومرشدا حليما حكيما، كل هذا أظهره بكلام أدبي وعلمي منسق لا أذكر لحد كتابة هذه السطور أني سمعت من يتكلم مثله وبطريقته، كان رحمه الله حلو المنطق، عذب الكلمات يزواج بين الألفاظ العلمية المقاصدية ويشرحها شرحا مبسطا فيصيب الهدف وبين غيرها، حسن الصورة، جميل الطلعة في الأشرطة المسجلة فقط، فكيف بمن رآه وسمعه، وجلس بين يديه وتكلم معه، لا يمل السامع من سماع كلامه، ورؤية صورته رحمه الله رحمة واسعة.

- **مولده:**

ولد مترجمنا في التاسع عشر من ربيع الثاني سنة 1380هـ 1960م بقرية أنِّيف إقليم الراشيدية

جنوب شرق المغرب، لأب مثقف تخرج من القرويين واشتغل معلما، وأم متدينة السيدة عائشة مهاجر التي تربت في كنف جدتها لأمها الأمازيغية التي لم تكن تفتر عن الذكر، فتعلمت منها التدين والصلاح فعلمته بدروها لأبنائها ومنهم الشيخ فريد الأنصاري الذي كان يرجع بذرة التدين فيه إلى أمه كما يحكي شقيقه عبد الحميد.

- **مراحل دراسته:**

لما مرت بعض الأعوام القلائل على ولادة مترجمنا انتقلت الأسرة إلى مدينة الجُرف، وبهـــا قضى مترجمنا طفولته، وهناك قضى مرحلته التعليمية الابتدائية تحت أنظار والده المعلم الذي قام بترسيبه سنتين اثنتين تشديدا منه عليه في التحصيل والتأهيل العلمي، وشحذ الهمة وتقوية العزيمة، الشيء الذي سيكون له بعد الأثر الإيجابي في حياته.

ولما أتم مرحلته الابتدائية سنة 1974م، غادر منزل الأسرة الصغير بالجُرف ليكمل مرحلته الإعدادية بمدينة أرفود القريبة، فأقام مدة في بيت عمته، ومدة في السكن الداخلي التابع للمؤسسة التعليمية.

ولما أنهى مرحلته الإعدادية سنة 1978م شد الرحال صوب مدينة كلميمة، وقد أظهر رحمه الله نجابة وذكاء وحبا للقراءة والمطالعة فلم يكن يهمل أي كتاب تقع يده عليه، فقرأ وهو في المرحلة الإعدادية كتابا في الشعر الجاهلي، وروايات المنفلوطي، وروايات جرجي زيدان وغيرها من الكتب التي نمت حسه الأدبي الذي بقي ملازما له إلى أن مات رحمه الله.

وفي سنة 1981م أتم مرحلته الثانوية وحصل على شهادة البكالوريا، فاختار مدينة فاس العلمية ليكمل فيها تحصيله العلمي والأدبي والأخلاقي فالتحق بجامعة ظهر المهراز واختار شعبة الدراسات الإسلامية مسلكا علميا له، وكانت هذه الشعبة قد أسست قبل عام فقط من التحاقه بها، ومن هنا بدأت شخصيته العلمية تتكون وتتبلور، تصقلها التجارب، ويقويها الاحتكاك مع الغير ممن يوافقه في آرائه أو يخالفه، وفي سنته الأولى في الجامعة ألقى أول درس

لــه في مسجد قرب الجامعة وقد تحرج كثيرا وطلب الإعفاء من ذلك غير أنه لــم يعف فأعد درسه حول شخصية عمر بن الخطاب معتمدا في ذلك على كتاب عبقرية عمر رضي الله عنه لعباس محمود العقاد، وقد كان هذا الدرس أول تجربة دعوية له تركت آثارا حميدة على شخصيته الدعوية الفريدة.

وبمجرد حصوله على شهادة الإجازة سنة 1985م حصل على امتياز منحة دراسية لإتمام الدراسة في فرنسا، لكنه نظر للأمر نظرا مقاصديا، فآثر السير في طلب العلم الشرعي، حيث الجودة فيه هنا في المغرب لا هناك في الغرب، وتيسر له الالتحاق بما كان يُسمى "تكوين المكونين"، وحينها بدأ مشوار البحث العلمي الجاد، وفي السنة الثانية من "تكوين المكونين" سنة 1987/1986م، قدر الله له أن يختار الإمام أبا إسحاق الشاطبي موضوعا ومنهلا، والأستاذ الدكتور الشاهد البوشخي مرشدا ومشرفا، والدراسة المصطلحية أداة ومنهجا، ثم واصل على هذا المنوال في بحث الدكتوراه حتى ناقشها سنة 1999م، وقد حصل مترجمنا خلال حياته العلمية على شهادات عدة هي:

- ✓ شهادة الباكالوريا.
- ✓ شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية من جامعة محمد بن عبد الله كليــة الآداب بمدينة فاس.
- ✓ دبلوم الدراسات الجامعية العليا "نظام تكوين المكونين"، الماجستير في الدراسات الإسلامية تخصص أصول الفقه من جامعة محمد الخامس كلية الآداب بالرباط.
- ✓ دبلوم الدراسات العليا، دكتوراه السلك الثالث في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه من جامعة محمد الخامس كلية الآداب بمدينة الرباط.
- ✓ دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه مـن جامعة الحسن الثاني كلية الآداب بالمحمدية.

- **مهامه الوظيفية:**

لما تضلع مترجمنا رحمه الله من الفكر المقاصدي خاصة، ومن العلوم الشرعية عامة انتقل إلى مرحلة التلقين والتدريس والإفتاء والبحث والوعظ والإرشاد، وما يتصل بذلك فتنقل رحمه الله في حياته بين عدة مناصب نذكرها جملة، وإلا فإن التفصيل فيها وتتبع سنوات مزاولته لها يعد عسيرا نوعا ما، خاصة أنه رحمه الله لم يترك سيرة ذاتية تحكي مراحل طلبه وطفولته ومشيخته ومهامه الوظيفية، فكان رحمه الله:

- ✓ أستاذا زائرا بدار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا بالرباط بين سنتي: 2005/2003م.
- ✓ وأستاذا بمركز تكوين الأئمة والمرشدين بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط.
- ✓ وأستاذا محاضر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية.
- ✓ وأستاذا لأصول الفقه ومقاصد الشريعة بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس.
- ✓ وأستاذا لكرسي التفسير بالجامع العتيق بمدينة مكناس.
- ✓ وخطيبا للجمعة وواعظا بعدة جوامع مدينة مكناس.
- ✓ ثم عضوا في المجلس العلمي الأعلى.
- ✓ ورئيسا للمجلس العلمي المحلي لمدينة مكناس.
- ✓ وعضوا في اللجنة العلمية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس.
- ✓ وعضوا مؤسسا لمعهد الدراسات المصطلحية، التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد بن عبد الله بفاس.
- ✓ وعضوا في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- ✓ ورئيســـا لشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل بـمكناس

بين سنتي 2003/2000م.

- ✓ ورئيسا لوحدة الدراسات العليا الاجتهاد المقاصدي التاريخ والمنهج، بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس.

- **شيوخه وتلاميذه:**

من العسير جدا ذكر شيوخه وتلاميذه رحمه الله، فهو قد تتلمذ وتعلم على الكثير، والنظام المدرسي المتبع في المغرب يجعل أساتذة الطالب لا حصر لهم ويصعب تتبعهم، ولم يذكر أي ممن تكلم عن الشيخ فريد بحسب ما وقفت عليه أسماء شيوخه وأساتذته ومعلميه، لأنهم ركزوا على جانبه العلمي والأخلاقي المتميز، وما قدمه من خدمة للدين ونفع للناس، وقد رمت أن أتجاوز هذا الأمر غير أنني لـم أستطع فالنظام الذي اتبعته في هذا البحث يدفعني إلى الإشارة إلى بعض شيوخ وتلاميذ المترجم، وإلا فإن الرجل الذي دَرس ودرَّس في عدة جامعات ومعاهد ومدارس وأقام الحلق العلمية والوعظية في المساجد وغيرها شيوخه وتلاميذه لا يحصيهم ديوان كاتب، وقد وجدت في ترجمته اسما علميا وعلما مغربيا بارزا يتردد كثيرا في مشيخته وعليه اعتمد في مرحلته الجامعية المعمقة وهو الشيخ الدكتور **الشاهد البوشيخي** الذي أطره في بحثه وتعلم منه مترجمنا الشيء الكثير، إضافة إلى والده السي **حسن الأنصاري** الذي قام بترسيبه مرتين في المرحلة الابتدائية كما سلف فهو معلمه الأول وغيرهم.

وأما تلاميذه فعدد ولا تتوقف، ويقدرون بالمئات إن لم أقل الآلاف، وممن وقفت على أسمائهم الدكتور **صالح أيت خزانة** الذي يقول: "عرفت الدكتور الداعية فريد الأنصاري رحمه الله منذ سنوات طويلة (...) وهو أستاذي وشيخي، تتلمذت على يديه منذ أزيد من 18 سنة خلت يوم كان أستاذا محاضرا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمدينة المحمدية"، والدكتور **إدريس مولوي** رئيس المجلس العلمي المحلي للراشيدية يقول: "إنه أستاذي الحبيب فريد الأنصاري الذي أشرف على بحثي لنيل شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية، والذي رافقني في دروب

الأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، ومن ثم كانت لي معه ذكريات لا تنسى"، و**مطيع الطيب الغيثي** الذي يقول: "وفي الأخير كان هذا العرض المتواضع رغبة خاصة في التنبيه إلى أهمية تراث وفكر شيخنا الفاضل العلامة فريد الأنصاري رحمه الله الذي أكرمني الله وشرفني بالتتلمذ على يديه"، و**إسماعيل الرملي** ظهر في التقرير الذي أعدته قناة الأولى عند دفن الشيخ فريد رحمه الله، وغيرهم كثير وكثير.

- **كتبه ومؤلفاته:**

كان الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله رغم انشغاله الكثير وامتلاء جدول أعماله ما بين إلقاء المحاضرات في الجامعة وما يصاحبها من إعداد وبحث، والإشراف على بحوث الطلبة، وإعداد دروس الوعظ والإرشاد، وتنظيم الحلق العلمية في المساجد، إضافة أعباء أسرته الصغيرة والقيام بحاجياتهم المهمة، يجد وقتا كافيا للتأليف والكتابة، وقد نظم وقته جدا، واستغل كل ساعة ودقيقة فيما ينفعه مستفيدا من قول القائل:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

وقد بارك الله له في عمره فألف كتبا عز نظيرها، ألف في الأدب وكان فحلا، وألف في العلم الشرعي فكان سباقا للمصطلحات العلمية الدقيقة، وألف في السياسة وكان خير معلم ومرشد، وفي أواخر حياته رحمه الله ترك كل ما في يده من أعمال واتجه إلى كتاب الله تعالى تفسيرا وشرحا ومدارسة وتعليما ففتح الله عليه فيه، ونور بصيرته وفتح مداركه، وأجرى الله على لسانه كلاما عذبا حلوا قل أن تسمعه من أحد من المتأخرين، فاستحق بأن يكون في خانة المفسرين العظام، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قال محمد برادة:" لما كان القرآن الكريم، كلام الله والمصدر الأول للتشريع فقد جعله الأنصاري رفيقه طوال حياته، فالكلام الإنساني كيفما كان مؤثر في إنتاج الفعل الإنساني، بل هو عين الفعل الإنساني، ولكن كلام الله هو الدال على الله، وهو معجزة هذا العصر بما يملكه من قوة خارقة في تحرير الإنسان من كل آلهة العصر، لذلك كان رجل القرآن بامتياز، كان نورا أضاء جبال الأطلس الشامخة،

فبيان الألفاظ القرآنية، والهدي المنهاجي الذي ييسر رسالات القرآن ومسلك التخلق بالقرآن جعلت مجالس القرآن الخالدة تحيا من جديد بعدما أفسدت السياسة أذواق الروح"، ومما ذكر له مؤلفات رحمه الله ما بين العلوم الشرعية والأدبية والمؤلفات السياسية ما يلي كما ذكرتها المقالات التي ترجمت له:

1. مصطلحات أصولية في كتاب الموافقات للشاطبي، رسالة شهادة الدراسات العليا، نوقشت سنة 1989م بكلية الآداب بالرباط.
2. المصطلح الأصولي عند الشاطبي وهو الكتاب الذي نال به درجة الدكتوراه.
3. مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية، وقد تُرجم للفرنسية تحت عنوان: Autour du Coran.
4. مفهوم العالِمية من الكتاب إلى الربانية.
5. مفاتح النور نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لسعيد النورسي، وقد تُرجم للتركية بعنوان: Risale-i Nur'un Anahtar Kavramları.
6. ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله.
7. جمالية الدين: كتاب في المقاصد الجمالية للدين.
8. بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق.
9. مجالس القرآن من التلقي إلى البلاغ: مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ.
10. كاشف الأحزان ومسالح الأمان.
11. تفسير سورة البقرة وجزء من سورة آل عمران وسور ق والذاريات والطور والنجم.
12. قناديل الصلاة: مشاهدات في منازل الجمال، وهو كتاب في المقاصد الجمالية للصلاة.
13. أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي.
14. سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة، وقد تُرجم للفرنسية تحت عنوان: Les Secrets du Hijab.

15. الدين هو الصلاة والسجود لله باب الفرج.

16. الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب: دراسة في التدافع الاجتماعي.

17. الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب.

18. التوحيد والوساطة في التربية الدعوية.

19. البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية.

20. الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام.

21. ديوان القصائد.

22. الوعد.

23. جداول الروح، بالاشتراك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح، ديوان الإشارات.

24. كشف المحجوب رواية.

25. مشاهدات بديع الزمان النورسي، ديوان شعر.

26. آخر الفرسان، رواية.

27. ديوان المقامات.

28. ديوان المواجيد من يحب فرنسا؟، شعر مشترك مع الشاعر عبد الناصر لقاح.

29. عودة الفرسان، رواية ألفها سيرة لمحمد فتح الله كولن.

30. وله عدد كبير من المقالات متعلقة بعدة مجالات نُشرت بجرائد ومجلات محلية ووطنية ودولية، وقد كان رحمه الله مشرفا مؤسسا لمجلة رسالة القرآن المغربية، ومن بين الجرائد التي نشرت مقالاته نجد: التجديد المغربية، والمحجة المغربية، والمساء المغربية، وغيرهم، وأما المجلات فنذكر: حراء التركية، وإسلام أونلاين الالكترونية، ورسالة القرآن المغربية وغير ذلك، كما يحوي موقع الفطرية الذي أسسه عددا من مقالاته، وتتميز مقالاته بالحس

الأدبي الجميل، والذوق الثقافي الرفيع، وقد شرح الشيخ محمد إسماعيل المقدم بعض مقالات الدكتور في بعض دروسه.

31. إضافة إلى دروسه الصوتية والمرئية التي لا تحصى عددا.

- **شعره:**

كان رحمه الله في بداية حياته متجها إلى المجال الأدبي والاعتناء بالأشعار ونظمها، وقد حكى عن نفسه أنه لم يترك أيام الطلب ديوانا شعريا في مكتبة الجامعة لم يقرأه، وحفظ من الشعر الكثير ثم نسيه على عادة الشعراء في تعلم الصناعة الشعرية، وقد بدأ يكتب الشعر في المرحلة الثانوية وتمكن منه في المرحلة الجامعية فأرسل في هذه الفترة قصيدة لإحدى المجلات لنشرها بيد أنها لم تنشر وأجيب في ركن الردود: "نتمنى أن تكون هذه القصيدة لك!" مما يدل على فحولته الشعرية وهو ما يزال شابا طالبا، وقد نظم أشعارا كثيرة جمع بعضها في دواوين سواء ما نظمه لوحده أو ما جمع في ديوان مشترك مع غيره كما مر معنا في مؤلفاته، ومن عيون شعره رحمه الله قصيدة شعرية جميلة بعنوان: "كيف تلهو وتعلب؟"، نظمها يستنهض بها الهمم، ويتحسر على ما آل إليه أمر الأمة الإسلامية من ذل بعد عز، وهزيمة بعد نصر يقول:

بربك قل لي كيف تلهو وتلعبُ ... وجُرحُ حِمانا غائرٌ ليس ينضُبُ
أتهنأُ حَقاً والحصونُ تهدمتْ ... وصار غُرابُ الخِزيِ فوقك يَنْعبُ
وساغَ لك الأكل الشهي وأُسُنا ... يُهزُ بِزلزال العدو ويُقلبُ
تبيتُ هنيء البالِ غيرَ مُرَوعٍ ... وتغدو فسيح النفس تشدو وتَطْرَبُ
وهذي يهود المكر باتتْ لِسُحقنا ... تُعِدُ قُواها خلفنا وتهِّبُ
إذا لاح وجه الصبح تطفئ نوره ... غيوم تغطي الأفق عنا وتحجب
فثارت شجون الكون قبل شجوننا ... ودق فؤاد الأرض للذل يغضب
وسالت دموع القهر والليل ساكن ... وناحت طيور البحر والبحر يصخب
ودمدمت الصحراء والريح لافح ... يدوي بأقطاب النخيل ويضرب
وصاحت دماء في العروق من الأسى ... وقد مزق الأطفال ناب ومخلب
ورددت البطحاء رجع صياحها ... فخر له شرق طعين ومغرب

فكيف إذن تهوى الحياة وظلها ... وتأكل فيها ما اشتهيت وتشرب
وهذي أحابيل الأعادي كثيرة ... تقام لنا حتفا رهيبا وتنصب
تداعى بناء المجد بعد حضارة ... أغار عليها الذئب والذئب ينهب
وصرنا لذل لم نعش قبل مثله ... فكيف يطيب العيش بعد ويعذب
وكيف أناجي في الليالي أمانيا ... لدنيا فناء عزها اليوم يسلب
أفق فالدجى ولى مع الأمس مدبراً ... ولاح نهار المجد والمجد أصعب
وودع فراش النوم وانفض خموله ... ودنيا ظلال الذل فالموت يقربُ
وخض بفؤاد الصبر عاصفة الردى ... فخوض دواهيها أعز وأصلبُ
أفق من سباتٍ مل ذا الكون طوله ... فحولك آلاف المذابح تندبُ
فيا ضائعا في التيه من غير مقصدٍ ... تعلق بركبِ النور فالتيه مرعبُ
فقد ضل من سارت خطاه بلا هدى ... وليس له بين الخلائق مأربُ

- **مناقبه:**

عرف عن الشيخ فريد رحمه الله صدق إيمانه، وإخلاص نيته، وحسن خُلُقه وتواضعه مع الناس، مُطَلِّقا للدنيا، فرغم تقلده لعدة مناصب إلا أنه كان يعيش حياة بسيطة من حيث المسكن والمأكل والملبس، كانت رسالته في الحياة دعوة الناس إلى الفطرة السليمة، وإرجاع الناس إلى القرآن مذاكرة وسلوكا، وهذا ما يتجلى في مختلف مؤلفاته ككتاب "مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية"، وقد كان رحمه الله تعالى عالما ربانيا فريدا، شهد له بذلك علماء المغرب والمشرق، وفي مقدمتهم أستاذه ومربيه فضيلة الدكتور الشاهد البوشيخي الذي أشاد بشخصه وعلمه في العديد من المناسبات، فمما قاله فيه وهو يقدم لأطروحته الفريدة "المصطلح الأصولي عند الشاطبي": "أما ابني البار فريد فهو كاسمه فريد، وقد قلت له هذا غير مجامل في أول عمل علمي قدمه، وأقوله له اليوم بتوكيد أكثر، لأن هذا العمل الثاني أعمق وأدق، وأكثر عطاء، وأبعد أثرا إن شاء الله تعالى، ثم إن فريدا الفريد لم يكد يخلق إلا للعلم والبحث العلمي في حدود عشرتي له، ولذلك فإني أهنئه من سويداء القلب، وأدعو له بمزيد من التوفيق، وأحثه على السير في هذا المجال بنفس الجهد، وبنفس العناية، وبالحرص الشديد الذي كان له قبل

انجاز هذه الرسالة".

وقال أخوه عبد الحميد: "كان رحمه الله ذا طابع شاعري في حياته وفي جميع أحواله مما يعرفه عنه كل من رافقه، وكان يتأمل تأملات حتى يحدث له شبه فناء غير متكلف عما حوله، قد يحاضر في الكلية فيجلس على سطح مكتبه حينا، وحينا يرفع قدميه متربعا فوقه كما لو كان جالسا على الأرض يحدث كل ذلك بتلقائية تامة، ولو فعلها غيره لبدا عليه التكلف وربما التعالي، وكان مرة في مكان عام يناقش أمرا فجلس القرفصاء بطريقة صحراوية، فأُحرجت وعرضت عليه إحضار كرسي فرفض متعللا بارتياح نفسه لجِلسته تلك، كان رحمه الله يتحاشى أن يحرج أحدا، صغيرا كان أم كبيرا، وكان ينتبه إلى انفعالات الناس غير الظاهرة فيتفرسها ليرفع عن مخاطبه الحرج الذي لم يستطع البوح به، وذلك من بالغ الأدب منه رحمه الله، وكان شديد البعد عن سوء الظن، حليما عمن يتحايل عليه مع افتطانه إلى حباله الخفية (...) في صغره كان يساعد والدته في أشغال البيت مساعدة عجيبة وكذلك كان يصنع مع أهله بعد زواجه، ربما أتى عليه حين تجده فيه حاملا بيده ريشة يرسم بها مواجيده أصباغا على لوحة بين يديه، لم تكن يده ماهرة جدا في فن الرسم، لكنها كانت تتحرك بوحي من روحه".

- **قربه من مشاكل المجتمع واختلاطه بالناس:**

كان الدكتور فريد رحمه الله قريبا من هموم الشعب، عالما مقاصديا يختلط بالناس، ويعرف همومهم ومشاغلهم ويرى معاملاتهم، يسمع مشاكلهم فيصحح منها الخاطئ، ويشجع الصحيح، ويقوم المعوج، ولم يكن عالما يدور في فلكه الخاص، يطل على الناس من برجه العالي ولا يختلط بهم، ولا يسمع همومهم، بل كان قريبا منهم يشكر محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وخير دليل على معرفته بأحوال الناس، وما يدور في مجتمعه من معاملات، فتواه المشهورة في الرهن، فالرهن المتعارف عليه في مجتمعنا يكون بهذه الصورة:

أن يأتي إنسان إلى صاحب محل أو صاحب منزل يستأجر منه محله أو منزله بمبلغ كبير ناجز،

ثم يُبقي له أقساطا على كل شهر أقل بكثير مما كان سيدفعه لو لم يدفع له المبلغ الناجز، فإذا أراد هذا الإنسان أن يخرج من هذا المحل أو هذا المنزل بعد انتهاء المدة المحددة بينهما إن كان قد حدداها في بادئ الأمر، يعيد صاحب المحل أو صاحب المنزل المبلغ الناجز الكبير التي أمسكه في بداية الأمر.

مثال ذلك: زَيْدٌ له منزل من طابقين، ثمن كراء الطابق الواحد منهما 1000 درهم شهريا، وهو –أي زيد– محتاج إلى مبلغ مالي معين لينفقه في شيء ما (5 ملايين سنتيم مثلا)، فجاء عنده عمرو فقال له: أعطيك هذا المبلغ المالي الكبير (5 ملايين سنتيم) على أن تجعلني أسكن في طابق معين من منزلك [الذي يساوي ثمن كرائه 1000 درهم] وأدفع لك مبلغ مالي شهري رمزي يقدر بـ(300 درهم مثلا) لمدة ثلاث سنوات، فإذا جاء رأس السنة الثالثة أغادر منزلك شريطة أن تعيد إلي المبلغ المالي الكبير (5 ملايين) الذي دفعته إليك أول الأول.

فهذه الصورة الشائعة في الرهن والمخالفة للرهن الشرعي المتعارف عليه عند الفقهاء حرمها الدكتور فريد وشدد في تحريمها، وهو الذي يبحث عن أيسر السبل وأسهل الطرق، ينبذ التشدد، ويحارب الغلو، قال رحمه الله:

"إذا لم يكن الرهن بهذه الصورة حرام فإن الحرام لم يبق في الأرض بالمرة (...) لأن الرهن ما هو؟ إنسان يريد أن يقترض مالا، غير أنه لم يجد من يقرضه، فيقترضه بالحيلة، فيأتي عند إنسان ويقول له: أعطني خمسة ملايين وانتقل لتسكن عندي في داري بالمجان أو أعطني 100 درهم شهريا كثمن للكراء، وذلك المنزل يساوي 1500 درهم شهريا، وبالتالي فإن هذا هو السلف الذي جر نفعا، لو كانت هذه الخمسة ملايين يقتطع منها صاحب المنزل كل شهر الثمن الحقيقي للكراء فلا إشكال، ولكن عندما تنتهي المدة المحددة يطالب صاحب المبلغ باسترجاع مبلغه، فإذن هذا هو السلف، وقد نهى النبي ﷺ في المداينة عن الهدية فما بالك بهذا؟ يعني لو أن أحدا أقرضك فحرام عليك أن تعطيه هدية، قال الفقهاء: "اللهم إلا إذا

كان التهادي جاريا بينهما" أما إذا لم تكن تهديه إلا عندما أقرضك فقد أهديته سُمَّا والآخذ والمعطي سواء، أما قضية الرهن فهي قضية ظاهرة للعيان كبيرة أكثر خطرا من الهدية لأن ذلك يكون بالشرط، ويقولون نحلل ذلك بـ100 درهم شهريا يعني أنهم يُقرُّون أن الأمر حرام، لذلك فإن الرهن بهذه الصورة هو الحرام عينه، ولو أنكره من أنكره من الناس فالعبرة بالدليل، ويتحججون بالاضطرار فالمضطر له حكم آخر، وله فتوى خاصة به هو وحده بعد أن يسمع الفقيه منه كل التفاصيل، فيعطيه فتوى خاصة غير عامة لا تتعداه أبدا (...)"»[1].

- **مرضه ووفاته ومكان دفنه:**

في أواخر عمره رحمه الله أصيب بمرض السرطان الذي أنهك جسمه وأتعب جسده غير أنه لم ينل من يقينه وعزمه وشكره لله شيئا، بل دفعه لأن يترك كل ما بيده من أعمال علمية، ويتفرغ للقرآن الكريم يتشرب معانيه، ويفسر آياته، ويسبح في أنهاره وبحاره، ويطوف في بساتينه، قال الدكتور إدريس الأنصاري: "ثم لازلت أيضا أذكر الشيخ رحمه الله تعالى وهو في آخر لحظات العمر يتبادل أطراف الحديث مع جدي إذ قال له وهو يحاوره: مالك ولهذه الكتب الكثيرة، وهذه الكتابة!؟... فقال له مجيبا على سؤاله: إنني لأزداد مرضا إن لـم أكتب، وكان رحمه الله تعالى يكتب بالليل والنهار وهو على فراش المرض المرير، ثم تواصل حديثهما فكان أن قال الشيخ لجدي: كيف حالك؟، فأجابه قائلا: لا بأس قليلا، قال الشيخ: ألا تستطيع أن تركع وتسجد!؟ قال: بلى، قال الشيخ: إذن قل الحمد لله كثيرا، وكان الشيخ آنذاك لا يستطيع الصلاة إلا بعينيه، ثم تواصل الحديث بينهم، فقال الشيخ في آخر كلامه مع جدي راضيا بقضاء الله تعالى وقدره: هناك من ولد مقعدا لا يتحرك، أما أنا ولله الحمد والمنة فقد عشت خمسين سنة أتكلم وأتحرك وأمشي، ثم قال بعد هذه الكلمات كلمة خرجت من أعماق مشاعر الوجدان: الحمد لله يكفي ما عشته من هذه السنوات".

---

[1] أنظر شريط فيديو على الأنترنيت للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله مدته خمس دقائق ونصف، بعنوان: "حكم الرهن !!! فريد الأنصاري"، وفيه مصطلحات باللهجة العامية كثيرا غير أني حاولت تدوينها باللغة العربية.

وقد رحل رحمه الله لتلقي العلاج بتركيا وتردد بين مستشفياتها وبين المغرب عدة مرات، إلى أن جاء الحق، وحل وقت الرحيل فأسلم رحمه الله روحه إلى باريها يوم الخميس 5 نونبر 2009م بمستشفى سماء بمدينة إسطنبول بتركيا، ومن الموافقات العجيبة أن يموت مترجمنا أبو أيوب الأنصاري فريد بن الحسن في نفس البلد الذي مات فيه الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد، وتم نقل جثمانه إلى المغرب ليدفن بمدينة مكناس يوم الأحد 8 نونبر 2009م في مقبرة سيدي عياد بحي الزيتون، بعد أداء صلاة الجنازة بعد صلاة الظهر بمسجد الأزهر المعروف بجامع الأروى بحي السلطان محمد بن عبد الله، وقد كانت جنازته مشهودة حضرها الكثير من الناس والعلماء والمثقفين، وبعث ملك البلاد برقية تعزية لأهله، وقد خلف موته رحمه الله حالة من الحزن الشديد على فقد علم مثله، يقول الدكتور امحمد العمراوي: "كنت في مدينة رسول الله ﷺ حين التقيت أخا كريما سلمت عليه فلم يرد، التفت إليه فإذا عيناه تذرفان سألته: ماذا في الأمر؟ ماذا وراءك؟، أجابني بحروف متقطعة: رحل أخونا فريد، عجزت رجلاي عن حملي، وتوقف عن الكلام لساني، وغالبت الدموع فغلبتني، ظننت في البداية أنا نحن الاثنين فقط نبكي فريدا، لكن ما هي إلا دقائق معدودات حتى شاع الخبر الفاجعة، وإذا بالمحبين لفريد في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة يبكون فريدا بالمئات، ألم كبير يعتصر الأفئدة، وحسرة شديدة تمزق القلوب، وبكاء تساوى فيه الرجال والنساء، وعزاء متبادل بين الشيب والشباب، سألني أحدهم وهو يتعجب من كثرة الباكين والمعزين والمحبين: أي شيء كان هذا الرجل الذي ملك القلوب إلى هذا الحد، وأبكى كل هؤلاء الناس؟ قلت: لم يكن صاحب مال ولا جاه، ولم يكن صاحب دنيا ولا منصب، قال فماذا كان إذن؟ قلت: كان رجلا مسكينا ضعيفا متواضعا، لكنه كان صادقا مع الله، وهذه التي بلغت به هذا المبلغ، وبها رزق ما رزق من القبول"، فرحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه، وغفر لنا وله إنه ولي ذلك والقادر عليه.

- **ثناء العلماء عليه ورثاءه:**

- قال الدكتور مصطفى بن حمزة: "والمغرب قد فقد رجلا من رجال العلم المتمكنين، ورجلا داعية خدم الإسلام بحكمة وبعمق، وقدم لهذه الأمة الشيء الكثير، ولذلك حظي في قلوب معارفه وفي قلوب المؤمنين جميعا بهذه العاطفة الجياشة التي عبر الناس عنها بخروجهم هذا الخروج الحاشد".
- وقال الدكتور طارق السويدان: "التقيت ببعض العلماء مثل الدكتور فريد الأنصاري شيء رائع من التمكن العلمي، وتعلمت ليس فقط العلم تعلمت منه الأدب، ووجدت عنده من العلم في أصول الفقه، وفي أصول الدين ما لم أجده في المشرق".
- وقال تلميذه مطيع الطيب الغيثي: "فضيلة العلامة المفسر الفقيه الأصولي الشيخ الدكتور فريد بن الحسن الأنصاري رحمه الله تعالى من أولئك الصفوة الذين ارتفعوا بالعلم النافع والعمل الصالح إلى مراتب عظيمة ومنازل سامية في العلم والتربية والمنهج حتى ارتقى إلى مصاف العلماء الربانيين المجددين الذين لا يمكن أن يستوعبهم حزب أو يؤطرهم تنظيم أو تحدهم جماعة، إنه عالم أمة، وحامل لواء بلاغ الرسالة القرآنية وما مشروعه الرباني "من القرآن إلى العمران" إلا دليل قاطع وبرهان ساطع على ذلك الاصطفاء والارتقاء".
- وقال فيه الدكتور أحمد الريسوني: "كان مثاليا في طموحاته، وطموحا في مثاليته، ولذلك كان يطرق بابا بعد باب، ويفتح مشروعا تلو مشروع، ويرتقي سلما بعد آخر، ولكن الباب الذي أطال الوقوف عنده حتى عرفنا أنه لن يبرحه هو باب القرآن الكريم، ومن خلال القرآن بدأ يفتح الأبواب ويستطلع الآفاق، فصارت قضاياه قرآنية، ومجالسه قرآنية، ومصطلحاته قرآنية، وبرنامجه قرآنيا، وشعره قرآنيا، وتصوفه قرآنيا".
- وقال الدكتور محمد الروكي: "رحم الله الدكتور فريد الأنصاري كان في سنواته الأخيرة من عمره يطيل النظر في القرآن الكريم ويكثر معاشرته والعكوف على تأمله وتدبر آياته حتى

أشبع منه علما، وازداد منه نورا، اغترف من معينه واقتبس من أنواره، فكان القرآن الكريم لسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي ينبض به".

- وقال فيه أيضا يرثيه بقصيدة تحت عنوان "توديع عالم": "إلى الذي وهب فكره للقرآن، فعاش بالقرآن للقرآن، إلى الذي منح حياته لبلده فعاش في بلده لبلده، إلى الداعية المجاهد، العالم المنافح، الواعظ المربي، إلى الأخ العزيز، والصديق المخلص، الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، أهدي هذه القصيدة تعبيرا عن مشاعر الحب وعزاء في المصاب:

دمـــاء القلب تضطرب اضطرابـــــــا

وفي الأحشاء والأنفاس نـــــــــــارٌ

تجَهَّمتِ الـــمنابر عابســـــــــــاتٍ

وفي مكناســة حُزنٌ عميـــــــــــقٌ

على من مـات داعية خطيبـــــــــــا

على مـــــــــــن عاش للقرآن إِلْفًا

ويجني من معـــــارفه ثمـــــــــــارا

ويَقْبِسُ مـــن لآلِئه شُعاعـــــــــــا

ويغرف من منابعـــه مَعِينـــــــــــا

إلى مـن عاش للقرآن حَبْـــــــــــراً

إلى مـن عاش للقـــــــــــرآن طيرا

إلى مـــــــــــن عاش محبوبـا عزيزا

وها الآلافُ قـد جاءت إليـــــــــــه

تقاطـــرت الوفودُ إلى فريـــــــــــدٍ

وتَمحضُـه المحبـــةَ والتحايـــــــــــا

ألا يا معشـــر الأحباب إنـــــــــــا

نودع عالـــــــــما حـــــــــرُا أَبيّاً

نودع عالـما بطلا غيـــــــــــــورا

نـودع عالـما شهمـــا كريمـــــــــــا

نـودع عالـما فـــــذا فريـــــــــــدا

نودع عالِماً يَقِظاً دعـــــــــــــاه

وها نحن امتثلنا واستجبـــــــــــــنا

فإن عدنا وما معنا فريـــــــــــــدٌ

وإن عدنا ومـــــــــــــا معنا فريدٌ

فللرحمن أودعناك يـا مـــــــــــــن

وَهَوَّنَ مِنْ مُصيبتنا عـــــــــــــزاء

عـزاء حائزٌ شرفا وأعطـــــــــــــى

ودمع العين ينسكب انسكـــــــــــابا

كَمِثْلِ المـاء ينساب انسيـــــــــــابا

ودُور العلم تكتئب اكتئـــــــــــابا

يُفَتِّتُ من فَداحَتِه الصِّلابـــــــــــا

يُفَتَّح للهدى عشـرين بابـــــــــــا

يُرَوِّي من مناهله الصحـــــــــــابا

مباركة فيعصـــرها رُضابـــــــــــا

يزيح به الغياهـب والضبابـــــــــــا

فيُحيي مـِنْ تَدَفُّقِهِ اليَبَابَـــــــــــــا

يُفَسِّرُهُ فيُسمعُنـا العُجابـــــــــــــا

يُعَرِّدُ فـوقَ أيكتـــــــــــــه العِذابَا

يُسامِقُ في مكانته السحابـــــــــــــا

وقد فُجعت وعاينت المصابـــــــــــــا

تُشَيِّعُـهُ وتلتهـــب التهابـــــــــــــا

وتَرمُقُه تكاشفــه الحـــــــــــــجابا

نودع عالـــما ولىَ وغابـــــــــــــا

تُسَنَّـــــــــــــم في رسالته القِبَابَـا

على الإسلام عاش له ثيابـــــــــــــا

إلى الأنصـــــــــــــار ينتسب انتسابا

أديبا شاعــرا نجمـــــــــــــا شِهَابَا

إلى الله المنـــــــــــــادي فاستجابا

بأيدينا نُوارِيـــــه التُّرابـــــــــــــا

فعنـد الله يُحْتَسَبُ احتسابـــــــــــــا

فللفردوس قد أخذ الرِّكَابـــــــــــــا

إلى الرحمن آثـــــــــــــرتَ اقترابـا

توافدت الجمــوع له انكبابـــــــــــــا

أمير المومنين بـــــــــــــه كتابـا

- ورثاه الدكتور حمو أرامو بقصيدة عنوانها: "نم يا فريد" جاء فيها:

الله أكـبر وا مصـــــابَ النـــــــادي

خـــــرت علينـــــــا بغتة شرفـــــاته

نبكـي بأفئدة تكـــــــاد لهـولـــــــه

نشطـــــــت براكين الأسـى بقلوبنـــــا

فسحاب حـــــزن ممطر بغـــــــــزارة

هبـــــت أعاصير الـــمصاب فلـم تَذَرْ

ولكم رجونا رعي زهـــرة غيثهـــــــــا

أو كلـمـــــــــا مُدّت يد لوصالنـــــا

يا من يرى مسترســـــلا في غيـــــــــه

كـــــــــم ضاحـك مستبشر في غفلة

يا من غدا في نعشـــــه متلفعـــــــــا

إنا احتسبنـــــــــا ما أصـــاب قلوبنا

إنا نـرى لك في الـــــمبرة صـولـــــــــة

إنا لنرجـــــــــو أن تكـون وقـــــــاية

حتى تقـــــر العين يوم بلـوغهـــــــــم

حتى يـــــــــرى الآباءُ فضلَ دعائِهـم

الله يعلم وحـــــــــده مـا صنتـــــــــه

خففت رحـــــــــلك فانطلقت مبكـرا

لو كانت الأيـــــام تقبل قسمـــــــــة

لبذلت ما في صـــــرتي منها بـــــــــلا

حتى تسيـــر بركبنـــــا متوجهـــــا

كنـــت النذيـر ولـم أزل مستلقيـــا

وزري الـــــذي حملت أنقـــض ثقلـــه

نفسي استلـــذت غـــيها فأطعتهـــــا

سـمعت نـــــــداء الحق إلا أنهـــــا

تبعـــت هـــواها حقبـــة فتبعتهـــا

قـــــدْ أدبرت وتكاسلـــــت فصحائفي

ماذا أقـــول إذا نظـــرت سطورهـــا

لـو كـــان غيري من جـــنى لرفعتـــــه

لكنهـــــا أمارتي هـــي من دعـــــت

فإليك وعـــــد الحر إنـــي مقبـــل

نـــم يـــا فريد فكـــم سهرت لأجلنا

فرددت كيـــــد الكائدين ومكر مـــن

وصـــدعت بالقرآن غُلْـــف قلوبهـم...

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات:

إن الحديث عن علماء المغرب وما ساهموا به في إثراء المكتبة الإسلامية من كتب ومؤلفات يحتاج إلى بحوث كثيرة، وكتب طويلة ينبري لها أهلها الذين يجيدون الدخول والخروج من الكتب والمخطوطات، وما هؤلاء الأعلام الذين تكلمنا عنهم إلا نموذج صغير، وقطرة ضئيلة من بحر كبير يغصُّ بالدرر والجواهر، تحتاج فقط إلى من يمد يده فيستخرجها ويعرضها عرضا يليق بها لتبهر الناظرين بجمال صورتها، وحلو مأخذها، ورقة ملمسها، وإلا فإن تاريخ المغرب مليء بالشخصيات العلمية والثقافية الكبيرة الذين طاولوا الجبال فطالوها والتي تحتاج إلى مزيد من التعريف والتشهير بها وبإنتاجاتها ومناقبها، وإخراجها من بين أسطر الكتب التي ذكرتها بقليل أو بكثير ليظهر بريقها الذي يسحر الناظرين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج المشهور بابن الياسمين الفاسي (ت 601هـ) عالم رياضي برع في الهندسة والتنجيم والحساب كما كانت له مشاركة في الأدب ونظم الشعر، والمؤرخ **عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي** (ت 647هـ) صاحب الكتاب الشهير "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، و**قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط** (ت 723هـ) الذي قال فيه العلامة ابن رشيد السبتي كما في "نيل الابتهاج:" لم أر عالما بالمغرب إلا رجلين: ابن البنا العددي المراكشي، وابن الشاط بسبتة"، و**أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المشهور بابن الحاج** (ت 737هـ) صاحب كتاب "المدخل" الذي نبه فيه على كثير من البدع، وضمه علما غزيرا، و**يحيي بن أحمد بن محمد بن حسن المعروف بالسراج** (ت 805هـ) كان مسند فاس والمغرب في عصره كما قال الزركلي، و**عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي أبو زيد** (ت 807هـ) شارح ألفية بن مالك والآجرومية،

و**علي بن محمد بن عبد الرحمن الأقاوي الأصل المعروف بالمراكشي** وهو من بني صالح بالسوس الأقصى المتوفى سنة 910هـ عالم توقيت ونحوي وفقيه كما قال فيه عمر كحالة في "معجم المؤلفين"، و**محمد بن محمد بن عبد الله بن علي الصغير الإفراني** المؤرخ الشهير، و**محمد بن أحمد الرهوني الوزاني** (ت 1230هـ)، و**أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي** (ت 1102هـ) الذي قال فيه الشيخ عبد الله كنون كما في "النبوغ": "نابغة علماء هذا العصر، ومن أفضل المتحققين بالعلوم العقلية والنقلية على سبيل العموم".

ومن علماء العهد الأخير: المؤرخ المغربي **أحمد بن خالد الناصري** صاحب "الاستقصا بأخبار دول المغرب الأقصى"، والفقيه الأديب **عبد الله كنون الحسني** صاحب المؤلفات الفريدة والكتب المفيدة، والفقيه الأديب **محمد المختار السوسي** (ت 1383هـ)، والعلامة **أحمد بن الصديق الغماري**، والمحدث **عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني**، والمفسر **محمد المكي الناصري** صاحب "التيسير في أحاديث التفسير"، والمخترع الشاب **عبد الله شقرون** صاحب الاختراعات والابتكارات العلمية والرقمية المتوفى سنة 2015م وهو في ريعان شبابه وعطائه، وغيرهم كثير ممن جادت بهم هذه التربة المعطاء من فقهاء، وأدباء، ومخترعين، ومحدثين، وأصوليين، ولغويين، وشعراء، وغير ذلك ممن برزوا في مختلف المجالات العلمية.

قناديل دين الله تسعى بحملها ... رجال بهم يحيا حديث محمد
هم حملوا الآثار على كل عالم ... تقي صدوق فاضل متعبد
محابرهم زهر تضيء كأنها ... قناديل حبر ناسك وسط مسجد
تساق إلى من كان في الفقه عالما ... ومن صنف الأحكام من كل مسند»[1].

والعلماء عموما لم يبلغوا هذه المنزلة العلمية الكبيرة، والمكانة الثقافية المتميزة التي أورثتهم ترحم الناس عليهم كلما ذكرت أسماءهم وأخبارهم، وكتب الله القبول لكتبهم ومؤلفاتهم

[1] من أعيان السلف: 10/1.

فاشتغل الناس بها حفظا ودراسة ومدارسة إلا بالجهد والكد والتعب، والأخـذ العلمي القوي، ومقاومة البرد والجوع، والصبر على المحن والشدائد، وقطع المسافات الطوال في سبيل طلب العلم وتقييده:

لولا المشقة ســـاد النـاس كلهـــمُ الجـــود يُفقـــر والإقـــدام قتَّـــالُ

وقال الشاعر:

لا تحسبن المجد تمرا أنـــت آكلـــه لن تبلغ المجد حتى تلعـــق الصـــبرا

وقال القائل:

ما ابيضَّ وجه باكتســـاب كريـــــمة حتى يســـوده شـــحوب الـــــمطلب

فكان من ثمرات هذا الجهد الكبير، والتعب المضني، والكد المتواصل، والأخذ الصادق القوي أن سُموا علماء يأتمر الناس بأمرهم، ويقصدونهم عند المدلهمات التي لا حل لها إلا عندهم، وجعل الله لهم القبول في أرضه حتى إنهم لَيحكمون على الملوك والأمراء بعلومهم:

إن الـملوك لَيحكمـــــون على الورى وعلى الـــملوك لَتحكـــم العلمـــاء

وصدق من قال:

يـموت قـــوم فيحيي العلـــم ذكرهـم والجهـــل يلحـــق أمواتـــا بأمـوات

هذا ما تيسر إيراده، وتهيأ إعداده وأعان الله على جمعه وترتيبه، فما كان فيه من صواب فهو من الله وحده وما كان فيه من خطأ وسهو وزلل فهو مني، وأسأل الله منه الغفران، والحمد لله رب العالمين.

كان تمامه يوم 1 رمضان 1440هـ،

الموافق لـ 7 ماي 2019م.

فهرس الفهارس:

- فهرس الآيات.....256
- فهرس الأحاديث.....257
- فهرس الأبيات الشعرية.....258
- فهرس المدن والبلدان.....261
- فهرس المصادر والمراجع.....262
- فهرس التراجم.....269

فهرس الآيات:

الآية: يقول الله عز وجل:	سورتها ورقمها	صفحة ورودها
➢ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾	آل عمران الآية: 7	05
➢ ﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما﴾	طه الآية: 114	05
➢ ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾	القصص الآية: 68	134
➢ ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد﴾	سبأ الآية: 6	05
➢ ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾	فاطر الآية: 28	05
➢ ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾	المجادلة الآية: 11	05

فهرس الأحاديث:

الحديث: يقول رسول الله ﷺ:	صفحة وروده:
➢ «أبا عمير ما فعل النغير»	134
➢ «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».	06
➢ «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسُلِّطَ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»	06
➢ «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله عز وجل به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».	05
➢ «من يرد الله به خيرا يفقه في الدين (...)»	06

فهرس الأبيات الشعرية:

➢ قـد استجرت من البرغوث		فهو الوقاية من ضروب أداوء	230
➢ بربك قل لي كيف تلهو وتلعب		وجرح حمانا غائر ليس ينضب	240
➢ لله في خلقه من صنعه عجب		حقائق كادت في الوجود تنقلب	190
➢ عاهدتهم أن أوفي والصدق من شيمي		إن المحب صدوق في المودات	78
➢ وأزكى ســلام طيــب نشــره على		إمـامي وشيخي ذي التقى والفتوة	200
➢ ويرفلن في الحلات يختلن في الحلى		وفيهن أنواع الجمال وضوح	165
➢ قال ابن غازي واسمه		محمد ربي الله الكريم أحمد	143
➢ وسقى الله عهودا بمنى		أظفرتنا بالمنى سكب العهود	77
➢ إن سرت من طيبة لي نسمة		أخمدت ما بفؤادي من وقود	77
➢ دع الدمع يجري من أمـاق على خـد		وتســكبـه عينـاك من لوعـة الوجـد	219
➢ قصدت إلى الوجازة في كلامي		لعلمي بالصواب في الاختصار	64
➢ خط الغرام على المشوق مثلثا		متساوي الأضلاع خط مبرز	64
➢ أقول إذا هب النسيم المعطر		لعل بشيرا باللقاء يبشر	78
➢ كذا ابن غازي المحقق الشهير		العالم العلامة البحر الخطير	136
➢ فكان ما كان مما لست أذكره		فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر	139
➢ وأحمد إمامنا المنجور		سؤدده بين الورى مشهور	166
➢ قد حاك شقة العلوم أيمة		وكسوا بالفضل من هو عار	183
➢ يقول عبد الواحد بن عاشر		مبتدئا باسم الله القادر	186
➢ يزهدني في الفقه أني لا أرى		بسائل عنه غير صنفين في الورى	189
➢ دمـاء القلب تضطرب اضطرابا		وفي الأحشاء والأنفـاس نـارٌ	247
➢ أمـا الزكاة فإن النفس تأنف أن		يلوث الكف من أوساخها قنص	205
➢ تعرفت أمرا ساءني ثم سرني		وفي صحة الأيام لابد من مرض	119
➢ ما اسم لأرض فريد		وإن تشأ فهو جمع	77
➢ حسبما قرأت بالجمع		عن ابن حمدون أبي الربيع	95

➢ دونك عشر طرق لنافع		تنشر طي الدرر اللوامع	143
➢ ثم لتسع بقيت في التاسع		من القرون ذا حباء واسع	143
➢ السمن والزبد والأجبان مع أقط		لا تبتعن بعضها بالبعض إذا منعا	145
➢ إذا عدد قد حل سفر بعدوه		فعشر له والخمس والنصف في الطبع	146
➢ والوقت أنفس ما عنيت بحفظه		وأراه أسهل ما عليك يضيع	237
➢ أيا إماما ندى كفيه قد وكفا		حسبي اعتصامي بحبل منكم وكفا	123
➢ واعن بقول الشعر فالشعر كما		ل للفتى إن به لم يرتزق	48
➢ شباب ثوى شابت عليه المفارق		وغصن ذوى تاقت إليه الحدائق	78
➢ حبر تثبت والإنصاف شيمته		أكرم به طاب من خلق ومن خلق	135
➢ جوابك في الأولى إباحة أكلها		ومستقذر كل يباح فصدق	164
➢ سل ابن خلدون علينا فلنا		بيمن موثر لم تمحق	203
➢ وهل أنا إلا ابن ونان الذي		قربه كم من أمير مرتق	204
➢ مهلا على رسلك حاذي الأينق		ولا تكلفها بما لم تطق	207
➢ إذا رتل القرآن في جنح الليل		أبي بن كعب لم يغن مخارق	49
➢ إلى علمك العالي المسائل ترتقي		تفطن لها يا حميدي وأصدق	164
➢ عقدت عليك مكمنات ضمائري		عقد الرجاء فألزمتك حقوقا	230
➢ ومهند لزم التجرد فهو لا		ينفك مسلولا لغير قتال	49
➢ يا طالبا علم الحساب وكنهه		وأصالة البرهان في الأعمال	58
➢ يا سائلا عن ألفات الوصل		في الحرف أو في الاسم أو في الفعل	87
➢ ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة		كفاني ولم أطلب قليل من المال	89
➢ هيهات لا يأتي الزمان بمثله		إن الزمان بمثله لبخيل	131
➢ فهذا ضريح الإمام الهمام		عنيت ابن غازي سراج النظام	147
➢ أقمت بمكناسة مدة		أعلم أبناءها ما الكلام	145
➢ وأيم الله إبرارا لأنيم		لقد جلى كتابك كل غم	120
➢ ألا فاقدروا قدر هذا المقام		فهذا الإمام وهذا الإمام	48
➢ ها أنت ذا فينا أبا عمران		تحيا بداخلنا بعمر ثان	24

➢ بالحسن من مكناسة الزيتون		قد صح عذر الناظر المفتون	145
➢ عليك إذا رمت الهدى وطريقه		وبالدين للمولى الكريم تدين	186
➢ الحمد لله الذي أورثنا		كتابه وعلمه علمنا	103
➢ الله أكـبر وا مصاب النادي		خـــرت علينا بغتة شرفاته	250
➢ لله في الخلق ما اختارت مشـيئته		ما الخير إلا الذي يختاره الله	229
➢ خليلي خليل قد شـغفا بحســنه		وتوضـيحه صبحا بزينة حاجبه	190
➢ مرغ الجيد والزم		تربة ابن غازي الأنوه	147
➢ طلقت مكناسة ثلاثا		والشرع يأبى الرجوع فيه	145
➢ ما قاله وحكاه كاتبه		عمرو صحيح لا استرابة فيه	103
➢ صافحتهم متبركا بأكفهم		إذ صافحوا كفا علي كريمه	77
➢ لم تعثر البغلة السفواء إذ عثرت		من ضعف أيد ولا من أنها خرقه	49
➢ أقول والنفس حرى منك والهة		مما تحاذره من فقد محياها	27
➢ حياك ربك من خل أخي ثقة		وصان نفسك بالتكريم مولاها	27
➢ وافت يجر الزهو فضلة بردها		حسناء قد أضحت نسيجة وحدها	123
➢ أيا من تصدى للقراءة قاصدا		لتحصيل مذهب الإمام أبي عمرو	142
➢ هنيئا لعيني أن رأت نعل أحمد		فيا سعد جدي قد ظفرت بمقصدي	76
➢ يا أشهر الحج قد هيجت لوعاتي		فعبرتي لم تطق نفعا لغلاتي	77
➢ أهوى الحجاز وإن لم يمس لي وطنا		ولم يكن أهله أهلي وجيراني	77
➢ يقول من عفو الإله راجي		وعونه محمد الصنهاجي	86
➢ من ذا يعد فضائل الفشتالي		والدهر كاتب آيها والتالي	119
➢ تكلم في الحقيقة والمجاز		فما في الأرض مثلك يا ابن غازي	135
➢ يقول راجي العفو والمفاز		محمد بن أحمد بن غازي	142
➢ يا سيدي سبط النبي		أبو الشمقمق أبي	205

فهرس المدن والبلدان:

المدينة	الصفحة	المدينة	الصفحة
فاس	170/105/84/53/40/17	المغرب	212/125/8/1
قرطبة	18	مصر	225/212/171/83/18
الحجاز	210/68/19	العراق	19
بغداد	19	البصرة	28
مراغة	33	إيران	33
مراكش	210/174/172/74/52/41	سجلماسة	221/42
سبتة	108/67	المرية	68
تونس	225/225/68	الإسكندرية	68
القاهرة	83/68	دمشق	68
نابلس	69	الجزائر	225
حرم الخليل	69	المدينة	212/69
طرابلس	225/69	المهدية	69
مالقة	70	مكة	210/71
غرناطة	95/72	صفرو	82
الأندلس	82	تازة	225/96/94/91
الراشيدية	233	إشبيلية	125
القيروان	18	مكناس	235/169/139/136/127
كتامة	147	سلا	210/174
القصر الكبير	152/174	تافراوت	209
السوس	221/218/209	الرباط	234/221/210
درعة	221	تادلة	221

فهرس المصادر والمراجع:

1. أزهار الرياض في أخبار عياض: لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني.
2. أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي: بحوث الندوة العلمية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء بمناسبة مرور ألف عام على وفاة أبي عمران الفاسي، يوم الخميس 4 جمادى الأولى 1430هـ، الموافق 30 أبريل 2009م، الرباط، ط.1. 2010م.
3. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لإسماعيل باشا البغدادي، طبع وتصحيح محمد شرف الدين.
4. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: للأمير أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، ط.2. 1987م.
5. إيليغ قديما وحديثا: لمحمد المختار السوسي، علق عليه محمد بن عبد الله الروداني،1966م.
6. إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ: للإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي (ت 570هـ)، تحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرقاوي.
7. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: لابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي (ت 1365هـ)، تحقيق د. علي عمر، ط.1. 2008م.
8. آسفي وما إليه قديما وحديثا: لمحمد بن أحمد العبدي الكانوني.
9. الإحاطة في أخبار غرناطة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت 772هـ)، ضبط وتقديم د. يوسف علي الطويل، ط.1. 2003م.
10. الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام: للقاضي العباس بن إبراهيم السملالي، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ط.2. 1993م.
11. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لخير الدين الزركلي، ط.15. 2002م.
12. الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر: لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الفهري (ت 1131هـ)، تحقيق فاطمة نافع، ط.1. 2008م.
13. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، 1997م.

14. بـــذل المجهود في إفحام اليهود: للحكيم السموأل بن يحيى المغربي (ت 570هـ) قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه عبد الوهاب طويلة، ط.1. 1989م.

15. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1. 1964م.

16. بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام: للحافظ ابن القطان الفاسي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك (ت 628هـ)، تحقيق د. الحسين آيت سعيد، ط.1. 1997م.

17. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ).

18. تاريخ الحكماء للقفطي.

19. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط.2. 1983م.

20. تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع أو إمتاع أولي النظر ببعض أعيان القرن الرابع عشر وفيه جل مشايخ مسند العصر العلامة محمد ياسين الفاداني المكي: للدكتور محمود سعيد الشافعي، ط.2. 1434هـ.

21. تاريخ الفكر الأندلسي: لحسين مؤنس.

22. تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: للشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط.5. 1983م.

23. تعريف الخلف برجال السلف: لأبي القاسم محمد الحفناوي.

24. توشيح الديباج وحلية الابتهاج: لبدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي (ت 1008هـ)، تحقيق د. علي عمر، ط.1. 2004م.

25. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا: تأليف د. محمد بن رزق بن طرهوني، ط.1. 1426هـ.

26. التكملة لكتاب الصلة: للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، تحقيق د. عبد السلام الهرامش، طبعة سنة 1995م.

27. التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي: لابي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (ت 617هـ)، تحقيق أحمد التوفيق، ط.2. 1997م.

28. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: لأحمد بن القاضي المكناسي (ت 1025هـ)، طبعة سنة 1973م.

29. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضـــل

إبراهيم، ط.1. 1967م.
30. الحركة الفكرية في عهد السعديين: للدكتور محمد حجي.
31. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: للمحبي.
32. خلال جزولة: لمحمد المختار السوسي.
33. درة الحجال في أسماء الرجال: لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (ت 1025هـ)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور.
34. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دليل ابن سودة: لعيد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، ويليه ذيل مؤرخ المغرب الأقصى، ط.1. 1997م.
35. دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق محمد حجي، 1977م.
36. الدر النفيس في تفسير القرآن بالتنكيس أو الدر النفيس في ذم التنكيس: لمحمد بن عبد السلام بن عبد الله الدرعي الناصري (ت 1239هـ)، تحقيق د. طه فارس.
37. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: للعلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852هـ).
38. الـديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: لابن فرحون المالكي (ت 799هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور.
39. الدر الثمين والمورد المعين: لمحمد بن أحمد بن محمد المالكي أبو عبد الله الشهير بميارة شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين: للإمام أبي محمد عبد الواحد بن عاشر، تحقيق عبد الله المنشاوي، 2008م.
40. ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: للعلامة الأديب عبد الله كنون، اعتنى به وقدم له د. محمد بن عزوز، ط.1. 2010م.
41. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، و د. محمد شريفة، و د. بشار عواد معروف، ط.1. 2012م.
42. رجز ابن بري بتحقيق توفيق العبقري.
43. رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة: للدكتور عبد الهادي التازي، مراجعة د. عباس صالح طاشكندي، 2005م.
44. رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر: دراسة وتحليل د. لأحمد حدادي، 2003م.
45. الرحلـة الحجازية: للعلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت 1189هـ)، ضبط وتعليق

د. عبد العالي لمدبر، ط.1. 2011م.
46. الرحلة الناصرية الكبرى: لمحمد بن عبد السلام الناصري (ت 1239هـ)، دراسة وتحقيق د. المهدي الغالي، ط.1. 2013م.
47. الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون: للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي، طبع بعد الاعتناء بتصحيحه سنة 1952م.
48. الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي: للدكتور محمد حجي، 1964م.
49. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق د. الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني.
50. سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمـــد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، ط.11. 1996م.
51. سوس العالمة: لمحمد المختار السوسي.
52. السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية: لمحمد بن محمد بن عبد الله الموقت المراكشي (ت 1369هـ)، تعليق ومراجعة أحمد متفكر، ط.3. 2011م.
53. شرح متن الآجرومية: لحسن بن علي الكفراوي (ت 1202هـ).
54. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089هـ)، تحقيق محمد الأرنؤوط بإشراف عبد القادر الأرنؤوط، ط.1. 1986م.
55. شرح الإعلام بحدود قواعد الإسلام: للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ): تأليف الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن القاسم الجذامي المعروف بالقباب الفاسي (ت 778هـ)، تحقيق د. عبد الله بنطاهر التناني السوسي، ط.1. 2014م.
56. شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع: للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري القيسي (ت 834هـ)، تحقيق الأستاذ الصديقي سيدي فوزي، ط.1. 2001م.
57. شرح الشمقمقية: لعبد الله كنون الحسني، ط.5. 1989م.
58. شرح مسائل ابن جَماعة التونسي في البيوع: لأبي العباس أحمد بن قاسم الجذامي الفاسي القباب (ت 778هـ)، تحقيق علي محمد إبراهيم بوروبية، ط.1. 2007م.
59. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: تأليف العلامة محمد بن محمد مخلوف، القاهرة 1349هـ المطبعة السلفية ومكتبتها.

60. صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: لمحمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفراني، تحقيق د. عبد المجيد خيالي، ط.1. 2004م.

61. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

62. طبقات المفسرين: للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت 945هـ)، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

63. طبقات الحضيكي: لمحمد بن أحمد الحضيكي (ت 1189هـ)، تحقيق أحمد بومزكو، ط.1. 2006م.

64. علم علل الحديث من خلال كتاب: بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لأبي الحسن بن القطان الفاسي (ت 628هـ) للأستاذ إبراهيم بن الصديق، 1995م.

65. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة، تحقيق د. نزار رضا.

66. غاية النهاية في طبقات القراء: للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الحنبلي (ت 833هـ)، طبعة سنة 2006.

67. فهرسة الشيخ محمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت 1072هـ)، تقديم وتعليق بدر العمراني الطنجي، ط.1. 2009م.

68. فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها تطورها قيمتها العلمية: للدكتور عبد الله المرابط الترغي، ط.1. 1999م.

69.فهرس ابن غازي، تحقيق محمد الزاهي.

70.فهرس أحمد المنجور: تحقيق محمد حجي، 1976م.

71. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء إحسان عباس، ط.2. 1982م.

72. فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني: للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المشهور بان آجروم (ت 723هـ)، تحقيق عبد الرحيم النبولسي، 1997م.

73. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي.

74. قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري: تأليف الدكتور عبد الهادي حميتو، 2003م.

75. قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان اختصار زهر الأفنان من حديقة ابن الونان: لأحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجنكي، نشر وتوزيع عمر بن أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي، ط.2. 1999م.

76. القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن الحسن التازي (ت 731هـ)، شرح الإمام محمد بن إبراهيم الشريشي (ت 718هـ)، تحقيق التلميدي محمد محمود، ط.1. 1993م.

77. القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب، ط.1. 1990م.

78. كتاب وفيات الونشريسي: لأحمد بن يحي الونشريسي، تحقيق محمد بن يوسف القاضي.

79. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة.

80. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج: لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق محمد مطيع، 2000م.

81. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت 1061هـ)، وضع حواشيه خليل منصور، ط.1. 1997م.

82. كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء: للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي (ت 646هـ)، عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي الكتبي، طبعة سنة 1326هـ.

83. المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، طبعة 2000م.

84. منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي ويليه كتاب الحجة المبينة لصحة فهم عبارة المدونة: وكلاهما لعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري.

85. معجم المطبوعات المغربية: لإدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني الحسني، تقديم الأستاذ عبد الله كنون، ترتيب وطبعه ولد المؤلف المسمى عبد الوهاب.

86. مقدمة في دراسة تقييد وقف الشيخ الهبطي والمنهاج المتبع في نقده وتحقيقه: للأستاذ حسن وكاك، ط.1. 1991م.

87. مؤرخو الشرفاء: لليفي بروفنصال، تعريب عبد القادر الخلادي، 1977م.

88. موسوعة أعلام المغرب تتألف من تسعة نصوص تراثية ينشر بعضها لأول مرة وتترجم لأبرز الشخصيات المغربية حسب تسلسل سنوات وفياتهم من بداية الإسلام إلى نهاية القرن الرابع الهجري: تنسيق وتحقيق محمد حجي.

89. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: للإمام شمس الدين الذهبي.

90. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الدباغ وأكمله وعلق عليه أبو الفضل التنوخي: تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح، ط.2. 1968م.

91. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: لياقوت الحموي الرومي، تحقيق د. إحسان عباس، ط.1. 1993م.

92. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: لعمر رضا كحالة.

93. معلمــة الـمغرب قاموس مرتـب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى: إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1989م.

94. مراقي السعد لآيات المجد لأبي العباس أحمد بن علي المنجور (ت 995هـ)، تحقيق د. مبارك الحبيشي، ط.1. 2009م.

95. مختصر خليل: للشيخ خليل بن إسحاق الجندي (ت 776هـ) ومعه شفاء الغليل في حل مقفل خليل: لمحمد بن أحمد بن غازي العثماني (ت 919هـ)، تحقيق د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط.1. 2008م.

96. المعسول: لمحمد المختار السوسي.

97. المزايا فيما أحدث من البدع في أم الزوايا الزاوية الناصرية: لمحمد بن عبد السلام الناصري، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط.1. 2003م.

98. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، 1968م.

99. نيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ)، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط.1. 1989م.

100. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، 1977م.

101. نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: لمحمد الصغير الإفراني، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط.1. 1998م.

102. النبوغ المغربي في الأدب العربي: لعبد الله كنون، ط.2. 1960م.

103. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل باشا البغدادي.

104. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، 1978م.

105. الوفيات: لتقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع السلامي (ت 774هـ)، تحقيق صالح مهدي عباس، ط.1. 1982م.

106. الوفيات: لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11 إلى 807هـ تحقيق عادل نويهض، ط.4. 1983م.

فهرس التراجم:

إهداء:	02
مقدمة:	05
1. أبو عمران الفاسي (368/430هـ):	16
➢ اسمه ونسبه	16
➢ مولده ودراسته	17
➢ عودته إلى فاس وجلوسه للتدريس وخروجه إلى القيروان	19
➢ تصدره للإقراء بالقيروان وتلاميذه	21
➢ تزكية العلماء له	22
➢ بعض فتاويه واجتهاداته	24
➢ مؤلفاته	25
➢ وفاته ومكان دفنه	26
2. السموأل بن يحيى المغربي (.../569 أو 570هـ):	28
➢ اسمه ونسبه ومولده وشيوخه ودراسته	28
➢ كراهيته للتقليد والجمود وقصة إسلامه	31
➢ مؤلفاته وأقوال العلماء فيه	34
➢ وفاتــه	36
3. ابن القطان الفاسي (562/628هـ):	38
➢ اسمه ونسبه	38
➢ مولده وشيوخه	40
➢ وظائفه التي تقلدها	41
➢ تلاميذه	43
➢ مؤلفاته	44
➢ شعره	48

➢ محنته ووفاته	49
4. **ابن البنا المراكشي (654/721 هـ):**	51
➢ اسمه ونسبه ومولده وشيوخه	51
➢ تدريسه وتلاميذه	53
➢ ألمعيته ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه	55
➢ شعره ووفاته ومكان دفنه	64/63
5. **محمد بن رُشيد السبتي (657/721هـ):**	66
➢ اسمه ونسبه ومولده	66
➢ رحلته	68
➢ شيوخه	70
➢ مهامه وجلوسه للتدريس وتلاميذه	72
➢ محنته وعودته إلى المغرب	73
➢ مؤلفاته	74
➢ شعره	76
➢ ثناء العلماء عليه	78
➢ وفاته	80
6. **محمد بن داود الشهير بابن آجروم (672/723هـ):**	81
➢ اسمه ونسبه	81
➢ مولده ودراسته وشيوخه	82
➢ تدريسه وتلاميذه	84
➢ كتبه ومؤلفاته	86
➢ ثناء العلماء عليه	88
➢ وفاته ومكان دفنه	90
7. **ابن بري التازي (660/730 أو 731هـ):**	91

➢ اسمه ونسبه	91
➢ مكانته العلمية	92
➢ مولده ودراسته وشيوخه	94
➢ وظائفه التي تقلدها	96
➢ تلاميذه	98
➢ ما خلفه من كتب	99
➢ شعره	102
➢ وفاته ومكان دفنه	104
8. أحمد بن قاسم القباب (778/724هـ):	105
➢ اسمه ونسبه ودراسته وشيوخه	105
➢ مناصبه ووظائفه وتلاميذه	106
➢ رحلاته	109
➢ كتبه ومؤلفاته	110
➢ ثناء العلماء عليه	111
➢ وفاتــه	113
9. محمد بن أحمد الفشتالي (.../777 أو 779هـ):	114
➢ اسمه ونسبه ومولده وشيوخه	114
➢ تدريسه وتلاميذه وتوليه القضاء	116
➢ كتبه وأقوال العلماء فيه	117
➢ محنتـه مع السلطان أبي سالم إبراهيم المريني	119
➢ شعره	122
➢ وفاته	124
10. محمد بن قاسم القوري (872/804هـ):	125
➢ اسمه ونسبه	125
➢ مولده وشيوخه	126

➢ تدريسه وتلاميذه	127
➢ مؤلفاته	129
➢ ثناء العلماء عليه	130
➢ وفاته ومكان دفنه	132
11. **محمد بن غازي المكناسي (841/919هـ):**	133
➢ اسمه ونسبه	133
➢ ثناء العلماء عليه	134
➢ مولده ودراسته وشيوخه	136
➢ جلوسه للتدريس، وخروجه من مكناسة	139
➢ تلاميذه	140
➢ ما خلفه من تراث علمي	141
➢ شعره	144
➢ جهاده ووفاته	146
12. **أبو عبد الله محمد الهبطي (.../930هـ):**	149
➢ مولده ودراسته	152
➢ تلاميذه	152
➢ ما خلفه من آثار	154
➢ ثناء العلماء عليه	155
➢ وفاته ومكان دفنه	156
13. **أبو العباس المنجور (.../995هـ):**	157
➢ اسمه ونسبه	157
➢ مكان وتاريخ ولادته	159
➢ دراسته وشيوخه	159
➢ جلوسه للتدريس وتلاميذه	161
➢ مؤلفاته	162

➢ شعره	164
➢ ثناء العلماء عليه	165
➢ وفاته ومكان دفنه	167
14. **أحمد ابن القاضي (960/1025هـ):**	168
➢ اسمه ونسبه	168
➢ مولده ودراسته وشيوخه	170
➢ رحلته الثانية ومحنته	172
➢ مهامه الوظيفية وتلاميذه	173
➢ مؤلفاته	175
➢ شعره	176
➢ ثناء العلماء عليه	178
➢ وفاته ومكان دفنه	180
15. **عبد الواحد بن عاشر (990/1040هـ):**	181
➢ اسمه ونسبه	181
➢ مولده ودراسته وشيوخه	182
➢ جلوسه للتدريس وتلاميذه	184
➢ كتبه ومؤلفاته	186
➢ ثناء العلماء عليه	188
➢ شعره وبعض فتاويه وأخباره	189
➢ وفاته ومكان دفنه	190
16. **أبو عبد الله محمد ميارة (999/1072هـ):**	192
➢ اسمه وولادته وشيوخه	192
➢ تلاميذه	195
➢ مؤلفاته	196
➢ بعض صفاته وثناء العلماء عليه	198

➢ وفاته ومكان دفنه	200
17. **أحمد بن الونان (.../ 1187هـ):**	201
➢ اسمه ونسبه وما حصل لسيرته	201
➢ مولده ودراسته	203
➢ آثاره	204
➢ الأرجوزة الشمقمقية	205
➢ شروحها	206
➢ بعض أبياتها	207
18. **محمد بن أحمد الحضيكي (1189/1118هـ):**	209
➢ اسمه ونسبه	209
➢ مولده ودراسته وشيوخه	209
➢ رحلته إلى المشرق للحج والدراسة	211
➢ استقراره ومشيخته وتلاميذه	213
➢ كتبه ومؤلفاته	214
➢ تصوفه ومحاربته للبدع	217
➢ ثناء العلماء عليه	217
➢ وفاته	219
19. **ابن عبد السلام الناصري (1239/1145هـ):**	220
➢ اسمه ونسبه وتاريخ ومكان ولادته	220
➢ دراسته وشيوخه	221
➢ تدريسه وتلاميذه	223
➢ رحلاته إلى المشرق	224
➢ كتبه ومؤلفاته	227
➢ تصوفه وشعره	228

➢ وفاته	230
20. **فريد الأنصاري (1960/2009م):**	231
➢ مولده	232
➢ مراحل دراسته	233
➢ مهامه الوظيفية	235
➢ شيوخه وتلاميذه	236
➢ كتبه ومؤلفاته	237
➢ شعره	240
➢ مناقبه	241
➢ قربه من مشاكل المجتمع واختلاطه بالناس	242
➢ مرضه ووفاته ومكان دفنه	244
➢ ثناء العلماء عليه ورثاءه	246
خاتمة:	252
فهرس الفهارس:	255
– فهرس الآيات	256
– فهرس الأحاديث	257
– فهرس الشعر	258
– فهرس المدن والبلدان	261
– فهرس المصادر والمراجع	262
– فهرس التراجم	269